

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله تفسير رسالة الحور العين

### مقدمة المؤلف

أما بعد حمد الله الذي استوجب الحمد بكرمه وجوده، وأوجب المزيد لمن شكره من عباده؛ فإن الأدب لما صار بضاعة، في أهل هذا الوقت مضاعة؛ قد رميت بالكساد، لما شمل أهل الدهر من الفساد؛ وصار العلم عاراً على حامله، والفضل شيئاً لأهليه؛ ولم يبق من أهل المروءات من يوماً إليه، ولا من أهل النخوات من يعتمد عليه؛ وأصبح ملوك العصر بين تاجر ينسب إلى الرياسة، وخمار يملك أمر السياسة؛ ولكل واحد منهما ندامى وأتباع، قد جمعت بينهم الطباع؛ وشرف الله السلطان الفاضل عن جلساء هذه الأجناس الدنية، بالأفعال الحميدة والهمة السنية؛ فأصبح غرة لبهيم زمانه، وذروة يعتصم بها الخائف لأمانه؛ وأضحى نسيج وحده، وسقط ما قدح الدهر من زنده؛ رجوت أن يكون عنده لبضاعة الأدب سوق، ولأغصان دوحته بسوق؛ فبعثت إليه بهذه الرسالة، محذوفة عن الأسباب والإطالة؛ وسميتها رسالة الحور العين، وتنبه السامعين.

وكنيت بالحور العين عن كتب العلم الشرائف، دون حسان النساء العفائف؛ وجعلتها لرياضة الناشئ الصغير، وزيادة العالم التحرير؛ ولم أر وجهاً لإنفاذها بغير تفسير، فرنتها من ذلك بشيء يسير؛ على اشتغال من القلب؛ وتقسيم من اللب؛ بأسباب في الرسالة المذكورة، وأخرى مطوية مستورة؛ تنسى الفطن الذكي اسمه، وتلبس ثوب النحول جسمه. وإني في هذا المقام، لمتثل بقول أبي تمام:

وليس امرؤ في الناس كنت سلاحه ... عشية يلقي الحادثات بأعزلا  
فإن قصرت فيما اختصرت، أو عثرت فيما أكثرت؛ فله المنة بالغمم، في الخطأ والنعمد؛ وما أبرئ نفسي من الزلل، ولا أبرئ السقيم بالعلل. ومن هو من الزلل معصوم؟ مدعى ذلك محجوج مصخوم، وعند العقلاء موصوم.

وهذا أول التفسير، والله ولى التوفيق والتهسير.

### التفسير

قوله: السلام عليك أيتها العقوه، التي لا تلم بما الشقوة؛ والربوه، الموقرة عن الصبوه.  
المراد بذلك السلام على رب العقوة وصاحبها، والعرب تخاطب الديار بخطاب أهلها؛ قال الله تعالى:  
(وأسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها) أي وأسأل أهل القرية وأهل العير. قال الأحوص بن

محمد الأنصاري:

يا بيت عاتكة الذي أتزل ... حذر العدا وبه الفؤاد موكل  
إني لأمنحك الصدود وإنني ... قسما إليك مع الصدود لأميل  
وقال ذو الرمة التميمي:

أداراً بحزوى هجت للعين عبرة ... فماء الهوى برفض يترقرق  
والسلام، اسم من أسماء الله تعالى في قوله تعالى: (السلام المؤمن المهيمن). والسلام: شجر، واحدته سلامة.  
والسلام: السلامة. والسلام: الاستسلام. والعقوة: ما حول الدار، وكذلك العقاة. الشقوة: ضد السعادة،  
وكذلك الشقاوة والشقاء، بمعنى واحد. والربوة: المكان المرتفع من الأرض، وفيها لغات: ربوة وربوة  
وربوة، بفتح الراء وكسرهما وضمهما، وكذلك الرباوة: المكان المرتفع. وربى الشيء يربو، إذا زاد، ومنه الربا  
في البيع، ويشئ ربوان وربيان. وربا الرجل الربابة، إذا علاها. وربا، إذا أصابه الربو، يربو فيهما. قال  
الراجز، فجمع بين اللغتين:

حتى علا رأس يفاع فربا ... رفه عن أنفاسه وما ربا

وربوت في بني فلان، أي نشأت. والموقرة: الموصوفة بالوقار. ومنه قوله تعالى: (وقرن في بيوتكن). قال أبو  
عبيدة: هو عندي من الوقار. ورجل موقر، أي مجرب؛ ورجل موقر، أي مجبل. ومنه قوله تعالى: (وتعزروه  
وتوقروه). والصبوة والصبو والتصابي، كل ذلك بمعنى، وهو الميل إلى الصبا واللهو والحدائث؛ يقال: صبا  
يصبو: صبوا وصبوة، وهو أن يفعل فعل الصبيان. قال أبو إبراهيم: يقال: صبي يصبي صباً، إذا لعب مع  
الصبيان. والصباء، يمد ويقصر، إذا كسرت الصاد قصرت، وإذا فتحتها مددت.  
قوله: (ذات القرار والمعين، والمستقر لخور العين): القرار والمستقر من الأرض: موضع الإقامة. والمعين: الماء  
الجارى؛ يقال: معن الماء يعن معناً، إذا جرى. والمعنان: مجاري الماء. والمعان: المنزل. والمعن: الشيء اليسير  
السهل. قال النمر بن تولب العكلي ثم البصري:  
فإن هلاك مالك غير معن

أي ليس بهين. والخور: جمع حوراء وأحور، مثل أعور وعوراء، وجمعه عور؛ وأسود وسوداء، وجمعه سود.  
وعنى بالخور في هذا الموضع الكتب. والخور: شدة بياض العين في شدة سوادها. قال أبو عمرو: الخور أن  
تسود العين كلها، مثل أعين الأطباء والبقر. وليس في بني آدم حور، وإنما قيل للنساء: حور العين، لأنهن  
شبهن بالطباء والبقر. قال الأصمعي: ما أدري ما الخور في العين. ويقال: حورت الثياب، إذا بيضتها. وقيل  
لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريون، لأنهم كانوا يحورون الثياب، أي يبيضونها.  
والحواري أيضاً: الناصر. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الربير ابن عمي، وحواري من أمي).  
والحواريات: نساء الأمصار؛ سمين بذلك لبياضهن. قال أبو جلدة اليشكري:

فقل للحواريات يبيكين غيرنا ... ولا تبكنا إلا الكلاب النوايح

والحواري من الطعام: ما حور، أي يبيض. ويقال: حور خبزته، إذا أدارها ليضعها في الملة. ويقال: حور عين

بعيرك، أي حجر حولها بكى، وهو شيء مدور. ويقال: أحور الشيء، إذا ابيض. والجفنة الخورة: المبيضة بالسنام. ويقال: نعوذ بالله من الحور بعد الكور، وهو النقصان بعد الزيادة. والأحور، عند العرب: كوكب، وهو المشترى.

والعين، بكسر العين: جميع عيناء، وهي البقرة الوحشية، سميت بذلك لسعة عيونها؛ يقال: بقرة عيناء وثور أعين؛ وقال بعضهم: لا مذكر له. وأما العين، بالفتح، فالعين الإنسان. والعين: مصدر عنت الشيء أعينه عينا، إذا أصبته بعينك وغبطته، فهو معين ومعين، والفاعل عائن. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (قد يضر الغبط كما يضر العضاه الخطب). والعين: المتجسس للخبر. ويقال: بلد قليل العين، أي قليل الناس. والعين: عين الماء. والعين: مطر يدوم خمسة أو ستة لا يقلع. والعين: عين الشمس. والعين: المال الناض. والعين: نفس الشيء. والعين الميل في الميزان. والعين: عين الركبة. والعين: الثقب في المزاة. وانشد ثعلب:

بذات لوث عينها في جيدها

وأسود العين: جبل. قال الشاعر:

إذا زال عنكم أسود العين كنتم ... كراماً وأنتم ما أقام الأثم

لثام والأثم، مثل كرام وأكارم. وعين الشيء: خياره. ويقال: لقيته أول عين، أي أول شيء.

وقوله: بعيدة عن رجم الظنون، كأمثال اللؤلؤ المكنون).

رجم الظن، الذي لا يوقف على حقيقته. والرجم أيضاً: الشتم. والشيطان الرجيم: البعيد عن رحمة الله. والمكنون: المصون؛ ومنه: كنانة النبل، لأنها تصونها. والكانون: الثقيل الملام في المجلس. قال الخطيبه بهجو أمه:

أغر بالا إذا استودعت سراً ... وكانونا على المتحدثينا

قوله: ييض الغرر والترائب، سود الطرر والذواتب.

الغرر هاهنا: الوجوه، وهو جمع غرة، وغرة كل شيء: أوله وأكرمه. والأغر: الأبيض. والغرر: ثلاث ليال

من أول الشهر. وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: (في الجنين غرة: عبد أو أمه). فإنه عبر عن الجسم

كله بالغرة. والغرة: البياض في الجبهة فوق الدرهم؛ وجمع ذلك كله غرر. والغرار، في قول النبي صلى الله

عليه وسلم: (لا غرار في الصلاة) هو ألا يتم ركوعها وسجودها. والغرار: حد السيف والشفرة وغيرهما.

والغريز: الخلق الحسن؛ يقال للشيخ: أدبر غريزه، وأقبل هريزه. والترائب: جمع تريبة، وهي عظام الصدر.

والتريب أيضاً: الصدر. قال الراجز، الأغلب العجلي:

أشرف ثدياها على التريب ... لم يعدوا التفليك في النتوب

وطرة الشعر معروفة، وكذلك طرة الثوب. وطر النبت، إذا اهتز؛ ومن ذلك يقال: طر شارب الغلام، فهو

طار. والرجل الطرير: ذو الهيئة. قال ابن مالك معود الحكماء:

ويعجبك الطرير فنتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطرير

والذواتب: جمع ذؤابة، وذؤابة كل شيء: أعلاه؛ وبذلك سميت الذؤابة.

قوله: مقرونة الحواجب، موشومة الرواجب؛ تفتت عن درر من الثغور، ودراري طالعة لا تغور.  
القرن في الحاجبين: اتصاهما، وهو مصدر: قرن. والذي ليس بأقرن يسمى الأبلد والأبلج، ومصدرهما البلد  
والبلج، وهو الذي بين حاجبيه فرجة لا شعر فيها تسمى البلدة. وبذلك سميت البلدة من منازل القمر، لأنها  
لا نجوم فيها. والقران: الحبل الذي يقرب به شيان، أي يوصل بينهما. والقرن: الحبل أيضاً. قال الشاعر:

أبلع أبا مسمع إن كنت لاقية ... أي لدى الباب كالمشودود في قرن  
والقران أيضاً: أن يجمع بين تمرتين عند الأكل، ومنه: قران الحج بالعمرة. والمقرن: المطبق للشئ، ومنه قوله  
تعالى: (وما كنا له مقرنين).

ووشم اليد: نقشها، وهو أن تغرز بالإبرة ثم يندر عليها النور، وهو دخان الفتيلة. وكفى بالوشم عن الكتابة  
في هذا الموضوع. والرواجب: مفاصل الأصابع كلها، وهي جمع راجبة. تفتت، أي تبسم. والدرر: جمع درة.  
والدراري: جمع دري، وهو الكوكب الثاقب المضيء، شبه بالدررة المضيئة. تغور، أي تغيب؛ يقال: غارت  
الشمس تغور غياراً. قال أبو ذؤيب.

هل الدهر إلا ليلة ونهارها ... وإلا طلوع الشمس ثم غيارها  
أي مغيبها. وغار الماء يغور غوراً. ومنه قوله تعالى: (أ، أصبح ماؤكم غوراً) أي غائراً، أقام المصدر مقام اسم  
الفاعل، كقولهم: جاء القوم ركضاً، أي راكضين. وغارت عينه تغور غوراً. قال العجاج:  
كأن عينيه من الغور ... قلتان أو حوجلنا قارور  
الحوجلة: قارورة صغيرة واسعة الرأس. والغور: قمامة؛ يقال: غار الرجل وأغار، إذا أتى الغور. قال الشاعر  
يصف الخيل:

تغور زماناً ثم تبدو قد اكتست ... من المال جلات العشار القناعس  
ويروى: وتغرى زماناً. وقال آخر:

ليت شعري ما أماتم ... نحن أنجدنا وهم غاروا  
وغور كل شيء: قعره. وأغار الرجل على العدا إغارة. والاسم الغارة.  
قوله: عواطل من الحلي، لا تعرف عدوا من ولي؛ يخلو بها ذو الريب، وهي بريئة الجيب، من التهمة والعيب.  
يقال: امرأة عاطل، إذا كانت غير حالية. والريب: الشك؛ يقال دع ما بريبك إلى مالا يريبك. وريب  
المنون: حوادث الدهر. ومنه قوله تعالى: (نتربص به ريب المنون). وأراب الرجل، إذا صار ذاربية. ورايني،  
إذا أدخل على شكا وخوفاً. والريب: الحاجة. قال كعب بن مالك الأنصاري:  
قضينا من قمامة كل ريب ... وخير ثم أجهنا السيوفا

قوله: لم تطمئ بأنس ولا جان، ولا استترت عن الأبصار بالبراقع ولا الحجان.  
الطمئ: الجماع، مصدر طمئ الرجل زوجته يطمئتها، فهو طامئ، إذا جامعها؛ ويقال: إذا افتضها. ومنه  
قوله تعالى: (لم يطمئهن إنس قبلهم ولا جان). والطمائت أيضاً: الحائض. والطمئ: المس، في كل شيء يمسه.  
قال: ويقال: ما طمئ هذا المرتع قبلنا أحد. قال: وكل شيء يطمئ. قال الخليل: طمئت البعير طمئاً، إذا

علقته. ويقال: ما طمّث هذه الناقة حبل قط، أي ما مسها. والطمّث أيضاً: الدنس. والجن: ما يسترك، وسمي الترس مجناً لستر صاحبه، واختص بذلك لكثرة الاستعمال. والجنة: ما استترت به من السلاح؛ ومنه قوله تعالى: (فلما جن عليه الليل) أي ستره بالظلام. يقال: جن الليل جنوناً وجناناً. قال خفاف بن ندبة:

ولولا جنان الليل أدرك ركضنا ... بذوي الرمث والأرطي عياض بن ناشب  
والجنين: الولد في بطن أمه. والجنين أيضاً: المقبور. والجنان: القلب. واشتقاق ذلك كله من الستر والتغطيه. وسميت الجن جنا لاستنارهم.

قوله: (لا تجزى الحب بنفار، ولا تحرم بنكاح على الكفار؛ تحل بعد ثلاث من الطلاق، بمساس وتلاق؛ لا تنشر من بعل، وإن وطئها بالبعول؛ مقعدة تسير في بعد وقرب، صائمة عن الأكل والشرب).  
النفار: التباعد، وكذلك النفور. لا تشز، يقال: نشزت المرأة على بعلها نشوزاً، إذا عصته. ونشز بعلها عليها: ضربها وجفاها. والنشر: المكان المرتفع. والنشز: الارتفاع. والبعول: الزوج والبعول: الرب. والبعول: الصاحب. يقال منه: بعل يبعول، إذا صار بعلًا. قال الشاعر:

يارب بعل ساء ما كان بعل

والبعول: صم كان يعبد. ومنه قوله تعالى: (أتدعون بعلًا). والبعول: ما يشرب بعروقه من الأرض بغير سقى. وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما شرب بعلًا). والبعول: الأرض المرتفعة لا يصيبها مطر إلا مرة واحدة في السنة. والبعول: ملاعبة الرجل أهله. وفي الحديث: (إنها أيام أكل وشرب وبعول). يعني أيام التشريق.

قوله: (ممنوعة عن اللذات، نقيه العرض والذات؛ لا تغسل من درن، ولا توصف بكسل ولا أرن؛ تنطق بصموت، وتحيا بعد أن تموت؛ يسمع نطقها بالعين، لا تلفظ بلسان ولا بشفتين).

والعرض: النفس والعرض: الحسب. ويقال: بل العرض: كل موضع يعرق من الجسد. ويقال: بل العرض: الجسد، والريح طيبة كانت أو خبيثة.

والدرن الوسخ. والدرين: الحولي من النبات اليبس والإدرون: الأصل. ودرينة. اسم للأحق.  
والأرن والإران: النشاط في الخيل وغيرها. والإران: العيش يحمل عليه الموتى.

قوله: تضحك وتبكي السامر والضجيع، بنظام حسن وتسجيع.

والسامر. واحد السمار. والسامر أيضاً: القوم يسمرون. قال الحارث الجهمي.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامر

بل نحن كنا أهلها فأزالنا ... صروف الليالي والحدود العواثر

والسامر: المكان يجتمع فيه للسمر. قال:

وسامر طال لهم فيه السمر

والسمر: فعل السامر. والسمر أيضاً: سواد الليل.

والضجيج: المضاجع. والنظام: الشعر، شبه بنظام الدر والخرز، وهو ما نظم بعض إلى بعضه، أي جمع بحيط، وذلك الخيط يسمى السلك.

والسجع من الكلام: ما كان له قواف كقوافي الشعر.

قوله: تخبر عن جديس وطسم، وما عفا من أثر ورسم؛ حبهن دين، وهواهن فرضٌ على الموحدين).  
جديس وطسم: هما أمتان عظيمتان من الأمم الماضية انقرضوا فلا بقية لهم. وجديس؛ أخو ثمود. وهما ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح. وطسم، ابن لاوذ بن سام بن نوح. وكانت طسم وجديس يسكنون اليمامة، وكان لهم ملك من طسم سبي السيرة، وكانوا لا يزوجون امرأة من جديس إلا بعث غليها ليلة زفافها فافترعها قبل زوجها. فوثبت جديس على ذلك الملك في غرة فقتلوه، وقتلوا معه من طسم مقتلة عظيمة. فمضى رجل من طسم إلى حسان بن أسعد تبع ابن كلي كرب بن تبع الأكبر بن تبع الأقرن بن شمر برعش بن إفريقيش ابن أبرهة ذي المنار بن الحارث الراش الحميري يستصرخه فوجه معه جيشاً إلى اليمامة، وكانت اليمامة تسمى يومئذ جو، وكانت بها امرأة اسمها اليمامة، وهي الزرقاء، وكانت تبصر الراكب من مسيرة أيام. وباسمها سميت جو اليمامة. فلما خافوا أن تبصرهم فتناز بهم قطعوا الشجر، وجعل كل رجل من الجيش بين يديه شجرة. فنظرت اليمامة فقالت: يا معشر جديس. لقد جاءكم حمير أو سار إليكم الشجر. فقالوا ما ترين؟ فقالت: أرى في الشجر رجلاً معه كنف يأكلها أو نعل يخصفها، فكذبوها.

فصبحتهم حمير فقتلتهم وأفتتهم. وقد ذكرت ذلك الشعراء. قال الأعشى:

ما نظرت ذات أشفار كظرتما ... يوماً ولا كذب الذئبي إذ سجعا

قالت أرى رجلاً في كفه كنف ... أو يخصف النعل لفي أية صنعا

فكذبوها بما قالت فصبحهم ... ذو آل حسان يزجي السم والسلعا

فاستدلوا أهل جو من مساكنهم ... وهدموا يافع البنيان فاتضعوا

وما عفى من ... الخ. يقال: عفا المنزل يعفو عفاء، أي درس، وعفته الريح أيضاً، عفاء، أي درسته، يتعدى ولا يتعدى.

وأثر الشيء. بقيته. والرسم: الأثر. وترسمت الدار، نظرت إلى رسومها. قال ذو الرمة:

أن ترسمت من خرقاء منزلة ... ماء الصباية من عينيك مسجوم

والرسيم: ضرب من سير الإبل. وناقرة رسوم: تؤثر في الأرض من شدة الوطاء. والروسم: الرسم. والروسم:

واحد الرواسيم، وهي كتب كانت في الجاهلية؛ قال ذوا الرمة:

من دمتة هيجت شوقي معاً لها ... كأنها بالهدملات الرواسيم

قوله: وحديقة الأدب التي لا تهيج، وتربته التي أنبتت من كل روج يهيج؛ وسيمة الأزهار، جارية الأثمار؛ غصونها دانية، وعيونها غير آنية.

الحديقة: واحدة الحدائق، وهي أرض ذا شجر، سميت حديقة لأن النبات محدد بها، أي مدير. ويقال: هاج

النبت هياجاً وهياجاً وهيجاً، إذا اصفر ويس. وأرض هائجة، إذا يبس بقلها؛ ومنه قوله تعالى: (ثم يهيج

فتراه مصفراً). يقال: هاجت الحرب هيجاناً.

والبهيج: الحسن. والبهجة السحن. والوسيمة: الحسنة. والآنية: الحارة التي انتهى حرها؛ ومنه قوله تعالى: (يطوفون بينها وبين حميم آن).

قوله: (لاخبت أنوارك، ولا ذبل نوارك؛ لأنت جنة عدن، الحقيقة بالسدن؛ نحيك من بعد بالجنان، ونشير بأطراف البنان).

يقال: خبت النار، إذا طفئت، وكذلك السراج. ويقال: ذبل البقل ذبولاً، وذبالاً؛ إذا يسس. والنوار والنور، جميعاً: الزهر. والعدن: الإقامة. يقال: عدن بالمكان يعدن، إذا أقام به؛ ومنه قوله تعالى: (جنات عدن). والسدن: الخدمة، وكذلك السدانة؛ ومنه: سدانة الكعبة. نحيك أي ندعو لك بدوام التحية. والتحية:

الملك. قال زهير بن جناب الكلبي:

وتركتكم أولاد سا ... ذات زنادكم وريه  
ولكل ما نال الفتى ... قد نلته إلا التحية

ومعنى قول القائل: حياك الله، أي ملكك قوله: هل أتاك نبأ النار المؤنسة، في الأرض المقدسة؛ بجانب القصر المشيد. وجناب الملك الرشيد؛ نار سؤدد رفعت للنواظر؛ وهديت بها البوادي والحواضر؛ جاهلها في الناس مليم، وفاز من هو لها كليم؛ مضرمةً للولي بلهب من ذهب، وللعديو بهلاك ورهب؛ أجمت بأعواد الكرم لا الكروم، وأرجت بطيب الأغصان والأروم؛ تخضر بقرها الغرائس، ويترب المفتقر البائس؛ يعوذ بها الأواه المنيب، ويلوذ اللاصق والجنيب؛ بورك من في النار؛ وعلى علو ذلك المنار. المؤنسة: المنظورة؛ ومنه قوله تعالى: (آنس من جانب الطور نارا)، أي رأي. والهدلى:

وإني إذا ما الصبح آنتت ضوعه ... يعاودني قطع على ثقيل

المقدسة: المهطرة؛ ومنه: روح القدس. والمشيد: البناء. والسؤدد: الرياسة. والمليم: الذي يأتي ما يلام عليه؛ ومنه قوله تعالى: (فالتقمه الحوت وهو مليم). والكليم: المكالم، وهو المراجع في الكلام. ومنه قيل لموسى: كليم الله. والكليم أيضاً: الجريح. والكلم الجرح، وجمعه كلوم وكلام. قال أبو بكر بن أبي قحافة يوثي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أجدك ما لعينك لا تنام ... كأن جفونها فيها كلام

والرهب: الرهبة؛ وهو الرهب أيضاً؛ ومنه قوله تعالى: (واضمم إليك جناحك من الرهب). والرهب: البعير المهلول. والرهب أيضاً: الرغبة. والرهب: النصل الرقيق. والرهابة: عظم في الصدر مشرف على البطن مثل اللسان. والترهب: التبعد؛ ومنه اشتقاق الرهبان. والإرهاب: قدح الإبل عن الحوض وزيادها.

أجمت، أي أوقدت. وأرجت، يقال: أرج الطيب يأرج أرجاً، إذا فاح. والأروم والأرومة: الأصل. ويقرب المفتقر، يقال: أترب الرجل، إذا استغنى. وترب، إذا افتقر؛ ومنه قولهم: تربت يداك. أي افتقرت. فأما قوله تعالى: (أو مسكيناً ذا متربة) فإمما هو لاصق بالتراب. والبائس: المحتاج؛ ومنه قوله تعالى: (وأطعموا البائس الفقير). يقال منه: بئس الرجل يباس بؤوساً، إذا اشتدت حاجته، والأواه: كثير الدعاء. وقال قوم: الفقير. وقال قوم: المؤمن. والمنيب: المقبل إلى الله النائب. ومنه قوله تعالى: (وخر راکعاً وأناب).

والجنب: البعيد؛ يقال منه: جنب يجب جنابة، فهو جانب. والجنب: أن يشتد عطش الجعير حتى تلصق رثته بجنبه. قال ذو الرمة يصف نافته ويشبهها بحمار وحش.

وثب المسجح من عانات معقلة... كأنه مستبان الشك أو جنب

ورجل جنب، أي قريب، ومنه قوله تعالى: (والجار جنب). ويقال: قعد فلان جنباً، إذا اعتزل الناس. قال الراعي:

أخليد إن أبك ضاق وساده ... همان باتا جنباً ودخيلاً

والجنب: نبت؛ يقال: مطراً كثرت منه الجنبية.

بورك، البركة؛ والخير؛ يقال: بارك الله فيك، وبارك عليك، وبارك لك، وباركك. ومعنى قول القائل: تبارك الله، أي تعالى.

والمنار: علم الطريق. وذو المنار: ملك من ملوك اليمن، سمي بذلك لأنه أول من بث الأعلام في الطريق

ليهدتوا بها، رهو أبوه ذو المنار بن الحارث الراتش بن شداد بن المظاظ بن عمرو بن ذي أئين بن ذي

يقدم؛ بن الصوار بن عبد شمس بن وائل بن العوث بن جيدان بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع ابن

حمير الأكبر.

قوله: غني وإن غدوت والعين على جان، وضربت من الدهر بصولجان؛ ضرب كرة بين الخاور، ولفظة بها

كل محاور؛ يحفظ الغيب لجدير، وعلى هدية الشكر لقدير، لسيد مطاع، أصبح لبيت الشرف كالسطاع.

الصولجان: العود الذي تضرب به الكرة. والخاور: الغلمان؛ جمع حزور، وهو الغلام المترعرع. والخاورة:

الجاوبة. والغيب: المغيب؛ يقال: غاب غيباً ومغيباً، مثل سار سيراً ومسيراً، كل ذلك بمعنى: والغيب: المطمئن

من الأرض. قال لبيد:

وتسمعت رز الأنيس فراعها ... عن ظهر غيب والأنيس سقامها

والغيب: ما غاب من أمر الله عز وجل عن عباده. ومنه قوله تعالى (يؤمنون بالغيب). ويقال: إن فلاناً بكذا

وكذا لجدير وحقيق وحرري وقمين وخليق، كل ذلك بمعنى: السطاع: عمود البيت. قال القطامي:

أليسوا بالألى قسطوا قديماً ... على النعمان وابتدروا السطاعا

قوله: وصنائعه في كل جناب، كالأوتاد له والأطناب، لا يفتأ من صيانة حسب، غير مؤتشب، ياهانة ما

اكتسب.

الجناب: الفناء. والأطناب: جمع طناب، وهي الحبال التي يشد بها البيت، والإطنابة: سير في طرف الوتر تشد

به القوس العربية. والإطنابة: المظلة. والإطناب في الكلام: المبالغة فيه.

لا يفتأ، أي لا يزال. وحسب الرجل: شرفه ومآثره؛ ويقال: حسبي الشيء، أي كفاني. والحسب: الكفاية.

والحسبان: العذاب؛ ومنه قوله تعالى (حسباناً من السماء). والحسبان: الحساب؛ ومنه قوله تعالى: (الشمس

والقمر بحسبان). والحسبان: سهام صغار يرمى بها عن القسي الفارسية، الواحدة حسبان. قال أبو زياد

الكلابي: أصاب الأرض حسيان، أي جراد. والحسيان، بكسر الحاء: الظن. والحسيانة: الوسادة الصغيرة.

قال الشاعر:

غداة ثوى في اللحد غير محسب

أي غير موسى في اللحد غير محسب. والمحسب: الموسد. قال ابن الأعرابي: المحسب: المكفن. والأحسب: الذي ابيضت جلده من

داء أصابه ففسدت شعرته كأنه أبرص. قال امرؤ القيس بن مالك الحميري:

أيا هند لا تنكحي بوهة ... عليه عقيقته أحسبا

يصفه باللؤم والشح، يقول: كأنه لم تلحق عقيقته في صغره حتى شاخ. والعقيقة: شعر المولود الذي يولد

وهو عليه. والبوهة: طائر مثل البومة، يشبه به الأحمق.

والمؤتشب: الذي هو غير خالص النسب. والأشابة. والأخلاق من الناس. قال الذبياني:

وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت ... قبائل من غسان غير أشائب

وتأشب القوم، إذا اختلطوا. ويقال: أشبه يأشبه أشبا، إذا لامه وعابه. قال أبو ذؤيب:

ويأشبي فيها الذين يلونها ... ولو علموا لم يأشبوني بطائل

بطائل، أي بفضل. أي لو علموا أنها لا توليني إلا شيئاً يسيراً، كالتظرة والكلمة، لم يأشبوني بطائل، أي بأمر

طائل.

قول: من وفر ونشب.

النشب: المال. قال الشاعر:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ... فقد تركتك ذا مال وذا نشب

قوله: حكم بالعدل مقسط، ولدوحة الشرف متوسط؛ بين والد مشب، وبغرس كرم نامي العشب، وطرف

من الأخوة والأولاد منجب، وشرف عالي العماد مرجب، فهو كعبة للثناء، سامية البناء؛ تضيق بقاصدها

الفجاج، وفيي بحمدها الحجاج، ما صفرت يد القابض، ولا رمى الظن بنكس حابض.

المقسط: العادل. والقاسط: الجائر؛ يقال: أقسط، إذا عدل، وقسط، إذا جار، ومنه قوله تعالى: (إن الله يحب

المقسطين). وقوله تعالى: (أما القاسطون فكانوا لجهنم حطاباً). قال ابن وكيع:

أمنك للدهر غلط ... أقسط يوماً أو قسط

والدوحة: الشجرة العظيمة؛ وجمعها: دوح. قال امرؤ القيس:

فأضحى يسح الماء من كل فيقة ... تكب على الأذقان دوح الكنهيل

الكنهيل، بفتح الباء وضمها: ضرب من الشجر، والنون زائدة.

مشب، يقال: أشبى الرجل يشبي إشباه فهو مشب، إذا كان أولاده كراماً. قال ذوا الإصبع:

وهم إن ولدوا أشبوا ... بسر النسب اخض

طرف: طرف الرجل: أقاربه. قال الشاعر:

وكيف بأطرافي إذا ما شتمتني ... وما بعد شتم الوالدين صلوح

ويقال: ما يدري فلان أي طرفيه أطول. المراد بذلك نسب أبيه وأمه. ومعنى: أطول، أي أشرف. وقيل في

قول الله تعالى: (أولم يروا أنا نأتية الأرض ننقصها من أطرافها). إن الأطراف هاهنا: العلماء. قال الشاعر:

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها ... وإن يمت عالم منها يمت طرف  
والنجيب من الرجال: الكريم، وجمعه نجباء، ومصدره نجابة. يقال: نجب الرجل، إذا صار نجيباً، وأنجب، إذا  
ولد ولداً نجيباً.

والمرجب: المعظم. ومنه: اشتقاق رجب، لأنهم كانوا يعظمونه. وترجيب الشجرة: أن تدعم إذا كثر حملها  
لئلا تنكسر أغصانها. قال حباب بن المنذر يوم السقيفة لقريش. أنا جدي لها المحك، وعذيقها المرجب. منا أمير  
ومنكم أمير.

الصفير: الخالي؛ يقال: صفرت يداه، إذا افتقر. ويقال في الشتم: ماله صفر إنأؤه، أي هلك ماشيته.  
والصفير. حية تكون في البطن نصيب الماشية والناس، يقال منها: رجل مصفور. قال الأعشى يرثي المنتشرين  
وهب:

لا يتأرى لما في القدر يرقبه ... ولا يزال أمام القوم يفتقر  
لا يغمز الساق من ابن ولا وصب ... ولا يعض على شرسوفه الصفير  
والنكس: السهم الذي انكسر فوقه فنكس وجعل أعلاه أسفله. والنكس: الرجل الضعيف. والخابض:  
السهم الذي يقع بين يدي راميه. والخبض: التحرك. يقال: ما به حبضٌ ولا نبضٌ، ويقال: حبض ماء  
الركية، إذا نقص. والخابض: العيدان التي يشتار بها العسل.  
قوله فحرس الله الحضرة المطهرة بأزال، عن كل ما غير النعم وأزال؛ حتى تنخفض واجبات الأفعال، وتنطبق  
الشفاه بمنطبق عال).

أزال: اسم صنعاء مدينة اليمن، سميت باسم أزال بن قحطان، لأنه الذي بناها، وقيل هو أزال بن يقطن.  
وسميت صنعاء بصنعاء بن أزال هذا. الأفعال، يعني الماضية، وتسمى الأفعال الماضية واجبة، والأفعال  
المستقبلية تالية.

تنطبق الشفاه يعني أن حروف الإطباق لا تخرج أبداً من الشفة، فدعا للحضرة بالدوام حتى تخرج الحروف  
المطبقة من مخرج حروف الشفة، وذلك ما لا يكون أبداً. وحروف الشفة ثلاثة: الفاء والباء والميم.  
والحروف المطبقة أربعة: الصاد والضاد والطاء والظاء، وسميت مطبقة لانطباق اللسان على ما حاذاه من  
الحنك الأعلى.

بمطبق عال لأن الحروف المطبقة من حروف الاستعلاء يجمعها قولك: ضغطت فظ خص. قال عبد الرازق بن  
علي النحوي في رسالته المسماة ياكسير الذهب: إنه جمع هذا أبو بكر بن أشته البغدادي في كتاب الخبر.  
وما عدا حروف الاستعلاء فهو مستفل. ومعنى الاستعلاء صعود الصوت إلى جهة من فوق الحنك.  
قوله: ويتولد الإدغام بين متوسط ذو لقي. وآخر هابطي حلقي.

فالخروف الذوقية ثلاثة: الراء واللام والنون. سميت ذوقية لأن مخرجها من ذوق اللسان. وذوق اللسان:  
طرفه. والحروف الحلقيّة ستة: العين والغين والحاء والحاء والهاء والهمزة. والحروف الحلقيّة لا يتولد بينها  
وبين الذوقية إدغام أبداً. ومعنى الإدغام: أن يجعل حرفين في الكلام حرفاً واحداً مشدداً. ولا يصح الإدغام

إلا لأحد وجهين، إما أن يلتقي حرفان من جنس واحد فتسكن الأول منهما وتدغمه في الثاني، أي تدخله فيه، فيصير حرفاً واحداً مشدداً، نحو قولك: شد، ومد، ورد، وما شاكل ذلك، هذا أحد وجهي الإدغام والوجه الآخر: أن يلتقي حرفان متقاربان في المخرج، فتبدل الأول منهما من جنس الثاني وتدغمه فيه، كقولك: الرجل والذاهب، وما شاكل ذلك. فإذا أمرت من الأول كان لك وجهان: إن شئت أدغمت فقلت: مد، وشد، ورد، وإن شئت أظهرت فقلت: اشد، وامتد، وارتد. قال الأعشى:

وما عليك أن تقولي كلما ... سبحت أو صليت ياللهم ما  
أردد علينا شيخنا مسلماً

فإذا ثبتت أو جمعت لم يجر الإظهار، تقول: شداً، ومداً، ورداً؛ وشدوا، ومدوا، وردوا؛ ولا يجوز: اشدداً وامتدداً، وارتدداً، واشدداً، وامتدداً، وارتدداً. والحروف التي تدغم فيها لام المعرفة ثلاثة عشر حرفاً، لا يجوز إظهارها معها لقرب مخرجها منها، وهي: النون والذال والذال والناء والناء والصاد والضاد والطاء والزاي والسين والشين والراء، كقولك: الداعي، والناصر، والذاكر، والتائب، والصاحب، وما شاكل ذلك.

فتلك حراسة تهرم الأزم الجذع، ودوام لا أمد له ولا منقطع؛ وأطال بقاءها حتى تدنوا الميم في المخرج من العين، على تباين النوعين؛ إن بينهما لأبعد بين بعد المشرقين من المغربين، وحاطها عن النواتب، ومخشي الغير والشواتب؛ حتى تود السين وأخواتها التسع من حروف الجهر، وليلة التمام أول غرة الشهر، أين الجهر من الهمس، ونصف عدة المنازل من منزلة الشمس.

الأزم الجذع: الدهر. قال لقيط بن يعمر الإيادي، وكان كاتب كسرى:

يا قوم بيضتكم لا تفضحن بما ... إني أخاف عليها الأزم الجذعا

حتى تدنو يريد: حتى يكون مخرج العين والميم واحداً، وذلك ما لا يكون أبداً، لأن مخرج العين أول مخارج حروف المعجمة من الحلق، والميم آخر الحروف مخرجاً من الشفة، وقد تقدم ذكرها.

تباين النوعين لأن الحروف الحلقية مباينة لحروف الشفة. والبين: البعد، في هذا الموضع. والبين: الوصل، في قوله تعالى: (لقد تقطع بينكم). وهذا الحرف من الأضداد. والبين، بالكسر: قطعة من الأرض قد رمد البصر.

قال ابن مقبل يخاطب الخيل:

من سرو حمير أبوال البغال به ... أي تسديت وهناً ذلك البينا

بعد المشرقين يعني مشرقى الشمس ومغربيهما حيث تنتهي عند الطلوع والغروب في الشتاء والصيف من جهة الجنوب والشمال في المغرب والمشرق.

الشوب: الخلط، ومنه قوله تعالى: (لشوباً من حميم).

من الهمس فالحروف المهموسة عشرة، يجمعها قولك: (سكت فتحته شخص). وما عدا الحروف المهموسة فهو مجهور، لأن الجهر ضد الهمس في الكلام. والهمس: الصوت الخفي. ومنه قوله تعالى: (وخشع الأصوات

للرحمن فلا تسمع إلا همساً). وهمس الأقدام: أخفى ما يكون من صوتها عند المشي. والجهير: الإعلان بالشيء. ومنه قوله تعالى: (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بما. ورجل جهير الصوت: عاليه. ورجل جهير بين الجهارة، أي ذو منظر. قال أبو النجم:

وأرى البياض على النساء جهارة... والعنق أعرفه على الأدماء  
وجهراء القوم: جماعتهم.

ليلة التمام: ليلة يتم القمر فيها، وهي ليلة أربع عشرة. والغرر: ثلاث ليال من أول الشهر. والشمس والقمر يجتمعان عند آخر كل شهر وأوله، وينتهي البعد ما بينهما ليلة الإبدار، وهي ليلة أربع عشرة. ونصف عدة المنازل، وذلك أن بينهما أربع عشرة منزلة، تميز بينهما ليلة التمام، وذلك منتهى البعد بينهما. فاجتماعهما في تلك الليلة لا يمكن. ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلة، منها أربع عشرة منزلة شامية، وهي الناطح، والبطين، والثريا، والدبران، والمهقعة، والمنعة، والذراع، والنشر، والطرف، والجبهة والزبرة، والصرفة والعواء والسماك.

ومنها أربع عشرة منزلة يمانية، وهي: الغفر، والزباني، والإكيل والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرع الدلو الأعلى والفرع الأسفل والحوت. قال أبو إسحاق الزجاج فيما روى عنه أبو القاسم الزجاجي في تفسير رسالة أدب الكتاب: في شرح الأنواء: السنة أربعة أجزاء. لكل ربع منها سبعة أنواء، كل نوء منها ثلاثة عشر يوماً. ويزاد يوم لتكمل السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، وهي مقدار ما تقطع الشمس به بروج الفلك كلها. فإذا نزلت الشمس منزلة من هذه المنازل سترته، لأنها تستر ثلاثين درجة، خمس عشرة درجة خلفها، وخمس عشرة درجة أمامها، فإذا انتقلت عنه ظهر. فإذا اتفق أن يطلع منزل من هذه المنازل، مع الغداة ويعرف رقبه فذلك النوء، وهو مأخوذ من: ناء ينوء، إذا نُصّ متناقلاً. والعرب تجعل النوء للغارب، لأنه ينهض للغروب متناقلاً، وعلى ذلك أكثر أشعارها. وبعض العرب يجعله للطالع، وهذا هو مذهب المنجمين، لأن الطالع له التأثير والقوة، والغارب لا قوة له. هذه المنازل كلها تقطع من المشرق إلى المغرب في كل يوم وليلة مرة، وهو دور الفلك، ولكن النوء لا ينسب إلا إلى المنزل الذي يظهر من تحت الشعاع، ويتفق طلوعه مع الغداة كما ذكرت لك. ولا يتفق ذلك لكل واحد منهما إلا مرة في السنة.

وأجزاء السنة الأربعة التي أراد الزجاج: ربيع وصيف وخريف وشتاء. فالربيع له سبع منازل، أولها طلوع مؤخر الدلو بالغداة وآخرها طلوع المهقعة. والصيف له سبع منازل، أولها المنعة وآخرها الصرفة. والخريف له سبع منازل، أولها العواء وآخرها الشولة. والشتاء له سبع منازل، أولها النعائم وآخرها مقدم الدلو. وهذا رأي المنجمين. وبعض العرب تجعل الربيع لسقوط سبع منازل، في أولها العواء، ثم على هذا الترتيب والمنزلة ثلاثة عشر درجة وثلاث درجة. والبرج ثلاثون درجة.

قوله: تضرع بالدعاء إلى رب السماء، وتوصل بالأفعال والأسماء؛ وابتهاج من أسير عان في يد الزمان، لا يطمع منه بسلامة ولا أمان؛ منى بحال مثل تاء الأفعال في الانقلاب والإبدال، مرة بطاء ومرة ببدال.

فالتضرع: التذلل. قال الفراء: التضرع: طلب الحاجة والتعرض لها. والضراعة: الذل. والضارع: التحيل الجسم. من ذلك أن ابني جعفر جيء بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (ما لي أرهما ضارعين؟) فقالوا: إن العين تسرع إليهما. فقال: (استرقوا لهما). والضريع: سلع، وهو نبت مر. قال ابن عيزار:

وحبسني في هزم الضريع فكلمها ... جدباء دامية اليدين حرود  
يذكر إبلاً وسوء مرعاها. والضريع. يبيس الشبرق. قال الشاعر:  
رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى ... وعاد ضريعاً نازعته النحائض  
ومنه قوله تعالى: (ليس لهم طعام إلا من ضريع).

والرب: الملك. والسماء، تجمع على سماوات. والسماء: كل ما علاك فأعلك؛ ومنه قيل لسقف البيت: سماء. والسماء: السحاب؛ ومنه قوله تعالى: (وأنزلنا من السماء ماء مباركاً). وهو مذكر في المعنى. قال معاوية بن مالك.

إذا سقط السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضاباً  
وقال النمر بن تولب:

سلام الإله وربحانه ... ورحمته وسماء درر  
غمام ينزل رزق العباد ... فأحيا البلاد وطاب الشجر  
ويجمع على سمي. قال العجاج:

تلغه الرياح والسمي ... في دق أرطاة لها حنى

وتوصل يعني الدعاء، لأنه كلام، والكلام أفعال وأسماء. والابتهاج: التضرع. والمبتهل: المتضرع. والمباهلة: الملاعنة. ومنه قوله تعالى: (ثم نبتهل) والبهل: اللعن. والبهل: الماء القليل. والباهل: الناقة التي لا صرار عليها. قالت امرأة من العرب لزوجها. أتيتك باهلاً غير ذات صرار. ويقال: أهملته، إذا خليتته وإرادته. والعاني: مشتق من العناء، وهو التعب: يقال: عنى يعني عناء، فهو عان.

منى بحال. قال يعقوب بن السكيت. تقول: منوت الرجل ومنيته: إذا ابتليته. والمنى: القدر؛ يقال منى له معنى منى فهو مانٍ، أي قدر. قال الشاعر:

ولا تقولن لشيءٍ سوف أفعله ... حتى تلاقني ما يمضى لك الماني  
وقال آخر:

سأعمل نص العيس حتى يكفني ... غنى المال يوماً أو منى الحدثان  
وقال الهذلي:

لعمري أبي عمرو لقد ساقه المنى ... إلى حدث نوزى له بالأهاضب

تاء الاففعال فإن تاء الاففعال تنقلب مع سبعة أحرف، وهي: الصاد، والضاد، والذال، والذال، والطاء، والظاء، والزاي. وتبدل طاء مع أربعة أحرف منها، مع: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء؛ نحو قولك: اصطلم، واضطجع، واطلع، واطلم. وتبدل دالاً مع ثلاثة منها، وهي: الدال، والذال، والزاي. نحو قولك: ادلج، وادكر، وازدجر.

وحروف البدل اثنا عشر حرفاً، وهي: الهمزة، والألف، والياء، والواو، والجيم، والنون، والهاء، واللام، والميم، والتاء، والطاء، والذال. وأكثرها الواو، والياء، والألف. ويجمعها قولك: أدمجها لتطوي. فالهمزة تبدل من الواو والياء، في مثل: قضاء وشقاء، لأن الأصل: قضي وشقاو؛ لأن الياء والواو لا يتطرفان بعد الألف إلا انقلبتا همزة. قال قطرب في كتاب جواهر الكلام: والدليل على أن شقيت من ذوات الواو، قولهم: شقوة، وشقاوة.

وإنما انقلبت في شقيت لسكونها وللكسرة قبلها، كما قالوا: غييت، ورضيت؛ وهما من الأضداد. قولهم: غباوة ورضوان. ولو كانا من الياء، لقالوا: غبيان، ورضيان، كما قالوا: عصيان.

والألف تبدل من الواو والياء، في مثل قفا ورحى والأصل: قفى ورحى، يدل على ذلك قولهم: قفوان ورحيان، فأبدلا في التثنية؛ لأن الواو والياء إذا تطرفتا بعد الفتحة قلبتا ألفاً. والواو تبدل من الياء في مثل: موسر، وموقن.

والياء تبدل من الواو في مثل: ميزان، وميعاد. والأصل: موزان، وموعاد، لأنه مفعول، من وزنت ووعدت، فقلبت للكسرة.

والتاء تبدل من الواو في مثل: تجاه، وتراث؛ وفي قولهم: اتعد، واترث، لأنها من الوراته، والوجه، والوعيد، والوزن.

والهاء تبدل من تاء التأنيث في الوقف، في مثل: طلحة، وما شاكله. وتبدل من الهمزة في مثل قولهم: هراق الماء.

والنون تبدل من الواو في مثل قولهم: صنعاني، وبهراني، والأصل: صنعاوي وبهراوي. والميم تبدل من النون في مثل: عنبر، وقبر، وشنباء، فيصير عنبر، وقمبر، وشمباء. وتبدل أيضاً من الواو في: قم، والأصل: فوة، لأن تصغيره فويه؛ وجمعه أفواه.

والذال تبدل من تاء الافعال إذا كان فاء الفعل دالاً، أو ذالاً، أو زايماً، نحو: ازدجر، وادكر، وادلج. واللام تبدل من النون في قولهم: أصيلا، إنما هو أصيلا.

والطاء تبدل من تاء الافعال إذا كان فاء الفعل صاداً، أو ضاداً، أو طاء، أو ظاء، نحو: اصطاح، واضطرب، واطرد، واطظلم، وكذلك تصرفه نحو: يضطرب، ويضطرب، ويضطرم.

والجيم تبدل من الياء في مثل قول الشاعر:

خالي عويفٌ وأبو عليج ... المطعمان الضيف بالعيشج

وبالغداة فلق البرنج

أراد: أبو علي والعشي والبرني. فأبدل من الياء جيماً، ومثله قول أبي النجم:

كأن في أذناهم الشول ... من عيس الصيف قرون الإجل

أراد: الإيل، فأبدل من الياء جيماً، وليس لذلك قياسٌ مطرد فيعمل عليه.

قوله: أبدلت في الحاليتين بشديد، غير راخ ولا مديد؛ وضروب من حوادث الدهر تدور، مع السنة

والشهور؛ تعيد الجلد من الرجال كثلاثي الأفعال؛ عليل الطرفين، ثم تنقص منه لليلة حرفين؛ فيصير حرفاً واحداً، وتعيضه في الوقف حرفاً زائداً.

فإن الطاء والدال من الحروف الشديدة، والحروف الشديدة ثمانية، يجمعها قولك: أجلك قطبت. وما عدا الحروف الشديدة والمتوسطة فهو رخو.

والحروف المتوسطة ثمانية أيضاً، يجمعها قولك: يعلو مارن. وحروف المد ثلاثة، وهي: الواو، والياء، والألف، وهي المديدة.

الجلد: القوي، وكذلك الجليد، والجلد: القوة، وكذلك الجلادة. والجليد: الصقيع الجامد، وهو البرد. قال ابن السكيت: الجلد: الإبل التي لا أولاد معها ولا لبن فيها. والجلد: الأرض الغليظة الصلبة. قال النابغة الذبياني:

إلا أوارى لأياً ما أئينها ... والنوى كالحوض بالظلومة الجلد  
الظلومة: الأرض التي لم تمطر.

والجلد: أن يسليح الحوار فيليس جلده حواراً آخر.

كثلاثي مثل: وشى ووعى، إذا أمرت نقصت منه حرفي الاعتلال، فقلت: ع الكلام، وش الثوب. والأصل: يوعي ويوشي، فسقطت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، وسقطت الياء للأمر.

فيصير حرفاً يعني أنك إذا وصلت الكلام لم يبق من هذا الفعل غير حرف واحد، مثل: ع الكلام، وش الثوب، وما شاكلة. فإن وقفت قلت: عه، وشه، فزدت لها، وحروف الزيادة عشرة، وهي: الواو،

والألف، والياء، والهاء، والتاء، والسين، والميم، والنون، والهمزة، واللام. يجمعها قولك: اليوم لنساء.

ويجمعها أيضاً قولك: (سألتمونيها). ويجمعها أيضاً قولك: (هويت السمان). وروى أبو علي الفارسي في كتابه المعروف بالتصريف الملوكي، أن أبا العباس محمد بن يزيد المبرد الثمالي، سأل أبا عثمان المازني عن

حروف الزيادة، فأنشدته أبو عثمان:

هويت السمان فثيبيني ... وما كنت قدماً هويت السمانا

فقال له أبو العباس: الجواب؟ فقال: قد أجبتك دفعتين. يعني قوله هويت السمان.

فالهمزة تزداد في أول الكلمة، مثل: أحمر وأصفر؛ وفي آخر الكلمة، مثل: حمراء وصفراء؛ وفي وسط الكلمة، مثل: شمال، لأنه من شملت الريح.

والميم تزداد في أول الكلمة زيادة مطردة القياس، كقولهم: مضرب ومقتل، وما شاكل ذلك. وتزداد في وسط الكلمة وفي آخرها زيادة شاذة غير مطردة القياس. فزيادتها حشواً في مثل قول الأعشى:

إذا جردت يوماً حسبت خميصاً ... عليها وجريلاً يضي دلامصا

فاليم في دلامص زائدة، لأن أصله من الدلاص، وهي البراقة. وتزداد آخراً في مثل قولهم: زرقم وفسحهم، لأنه من الزرق والانفساح.

والنون تزداد في مثل: عنبس، لأنه من العبوس، وتزداد في الشنية والجمع، كقولك: الزيدان والزيدون. وتزداد في فعل الاثني والجمع والمؤنث، كقولك: يفعلان، ويفعلون، وتفعلين. وتزداد في باب الانفعال، مثل:

الانطلاق، وما شاكله. وتزاد في فعل الجماعة، كقولك: تقوم، وتقع، وما شاكله.  
والتاء تزداد في فعل المخاطب. كقولك: تقوم، وما شاكله. وفي باب الافعال، مثل: الاجتراح: والاكتساب،  
وما شاكله. وتزداد للتانيث، في مثل: مسلمات، وما شاكله.  
والهاء تزداد في الوقف، مثل قولك: ارمه، واغزه، وعه، وشه، وما شاكله.  
والسين تزداد في باب الاستفعال، كالاستخراج، وما شاكله.  
واللام تزداد في: هنالك، والأصل: هناك؛ وفي عبدل، وفحجل، لأن معناه: العبد، والأفحج.

والواو والياء والألف تزداد في مثل: كرام، وكريم، وعليم، وضروب، وحسود، وما شاكله؛ لأنه من الكرم،  
والعلم، والضرب، والحسد. والقياس في ذلك مطرد.

قوله: ونوائب، معابها صوائب؛ ترد الصفو مشيباً، والشباب شيباً، وتخلق برد الشبيبة وقد كان قشيباً؛ فهو  
معها كحرف اعتلال، لا يوسم بصحة ولا إبدال؛ يختلف باختلاف الحركات المختلفة، فيعود على غير ما  
كان من الصفات؛ يذهب بدخول الجوازم، ويلزمه للحذف لوازم.

النوائب: جمع نائبة، وهي ما ينوب الإنسان، أي يصيبه، والمعابل: جمع معبلة، وهي النصل العريض الطويل.  
والقشيب: الجديد. لا يوسم، يقال: وسمت الصبي وسماً؛ إذا أثرت فيه سمة، والسمة: العلامة. والوسم:  
الكلي. سمي بذلك لأنه يورث علامة في الجسد. والوسمي: أول المطر، لأنه يسم الأرض بالنبات. قال  
الأصمعي: توسم الرجل، أي طلب كلاً الوسمي، وأنشد:

فأصبحن كالدوم النواعم غدوة ... على وجهة من طاعن متوسم

وفلان موسوم بالخير، وامرأة ذات ميسم، إذا كان عليها أثر الجمال. وفلان وسيم الوجه، أي حسنه.  
والوسامة: الحسن.

والإبلال: الصحة من المرض. وكذلك البلول؛ يقال: بل من مرضه وأبل، إذا صح. وبللت به، بالكسر، إذا  
ظفرت به وصار في يدك. يقال: لئن بليت بك يدي لا تفارقني، أو تؤدي حقي. قال ابن أحمز:

فبلي إن بللت بأريحي ... من الفتیان لا يضحى بطينا

وحروف الاعتلال هي حروف المد واللين.

يختلف يعني أن الواو والياء إذا تحركتا وانفتحت ما قبلهما انقلبتا ألفين، مثل: قام، وسار، أصلهما عند  
النحويين: قوم وسير، فلما تحركتا، وانفتحت ما قبلهما قلبتا ألفين. هذا في الأفعال؛ وأما في الأسماء، فمثل:  
باب، وناب، أصلهما عندهم: بوب ونيب. يدل على ذلك الجمع والتصغير، تقول: أبواب وأنياب، وبويب  
ونويب، فيرجع إلى أصله. فلما تحركت الواو والياء في: نوب ونيب، وانفتحت ما قبلهما انقلبتا ألفين، فقيل:  
بابٌ وناب. وكذلك إذا كان قبل الواو كسرة قلبت ياء في مثل: ميعاد وميزان، لأنهما من: الوعد والوزن.  
وكذلك إذا كان قبل الياء ضمة قلبت واواً، مثل: موسر، وموقن، لأنهما من اليسر واليقين. فتختلف  
حروف الاعتلال باختلاف الحركات التي قبلها. والقياس في ذلك مطرد.

يذهب يعني أن الفعل المعتل إذا دخل عليه حرف جزم قلت: لم يغز، ولم يرم، ولم يخش؛ فذهبت حروف

الاعتلال.

ويلزمه للحذف فالحذف على وجهين: أحدهما عن علة فهو مقيس، والآخر عن استخفاف، فهو مسموع ولا يجوز قياسه. فالحذف عن علة: إذا كانت فاء الفعل واواً وكان مستقبله مكسور العين حذفت فاء الفعل في المستقبل، لوقوع الواو بين ياء وكسرة، كقولك: وجب يجب، ووصل يصل، وما شاكله. أصله عند أهل العربية: يوجب ويوصل، فحذفت الواو لما ذكرت لك. فإن وقعت الواو بين ياء وفتحة لم تحذف، كقوله تعالى: (لا توجل)، وكقوله تعالى: (لم يلد ولم يولد). وكذلك حذفوا الواو المكسورة من مصادر الباب الذي حذفت فاؤه في المستقبل منه، كقولهم: وعد عدة، ووسم سمة، ووزن زنة، وكان الأصل: وعدة، ووزنة، ووسمة، فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى ما بعدها، وحذفت الواو تخفيفاً من المصدر كما حذفت في مستقبله. وكذلك حذفوا الهمزة في مستقبل باب أفعل، كقولهم: أحسن يحسن، وأكرم يكرم، كراهية أن تجتمع همزتان في قولهم: أحسن، وعأ كرم، وقد جاء من ذلك على الأصل، قال الراجز:

فإنه أهلٌ لأن يؤ كرمًا

الحذف الثاني الذي هو مسموع: قد حذفت الهمزة، والألف، والواو، والياء، والهاء، والنون، والتاء، والحاء، والحاء، الفاء، والطاء. فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال، وصارت الألف واللام عوضاً منها في اسم الله تعالى، وأصله في أحد قولي سيبويه: إلاه، فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال وصارت الألف واللام عوضاً عنها. وحذفت أيضاً في أنلس تخفيفاً. قال الشاعر:

أناسٌ إذا ما أنكر الكلب أهله ... أناخوا فعادوا بالسيوف الضوارب  
وحذفت أيضاً في قولهم: خذ، وكل. وأصله: آخذ، وأأكل، وأأمر. فحذفت الهمزة تخفيفاً. وربما جاءت على الأصل في مثل قوله تعالى: (وأمر أهلك بالصلاة). وحذفت في قوله عز وجل: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم). وحذفت أيضاً في مثل قولهم: يا با فلان. يريدون يا أبا فلان. قال أبو الأسود:

يابا المغيرة رب مرٍ معضل ... فرجته بالنكر مني والدها  
وحذفت أيضاً في مضارع: رأيت، فقالوا: يرى وترى ونرى. وربما جاء ذلك على أصله. قال سراقه  
البارقي:

أرى عيني ما لم تر أياه ... كلانا عارفٌ بالترهات  
قال أبو عمرو: وهذا البيت من قصيدة في قصة مع المختار بن عبيد الثقفي، وقبله:  
ألا أبلغ أبا إسحاق عني ... رأيت البلق دهما مصممتات  
كفرت بدينكم وجعلت حقاً ... على قتالكم حتى الممات  
أرى عيني البيت.

قال أبو الحسن الأحفش: أشياء، أصلهما أشياء، كأصدقاء وأنبياء، فحذفت الهمزة التي هي لام تخفيفاً. قال  
الفراء: في مثل قول الحارث بن حلزة:

فإننا من قتلهم لبراء

قال: أصله برآء، كظرفاء، فحذفت الهمزة، التي هي لام، تخفيفاً.

وحذفت الألف في مثل قول لبيد:

وقبيلٌ من لكيزٍ شاهدٍ ... رهطٍ مرجومٍ ورهط ابن المعل

أراد: ابن المعلّى. قال أبو عثمان: في قوله تعالى: حكاية: (يا أبت). أراد: يا أبتا. وأنشد أبو الحسن وابن الأعرابي:

فلست بمدركٍ ما فات مني ... بلهفٍ ولا بليتٍ ولا لوانٍ

أراد بلهفاً: وحذف الألف قليلٍ لحفتها.

وحذفت الواو في مثل قولهم: غد، وأصله: غدو. وربما جاء على أصله، قال الشاعر:

لا تغلواها وادلوها دلوا ... إن مع اليوم أخاه غدوا

وروى أبو سعيد السيرافي النحوي في كتاب أخبار النحويين البصريين: أن جارية غنت في مجلس الواثق، ومعه أبو محمد التوزي، قول الشاعر:

أظلم إن مصابكم رجلاً ... أهدى السلام تحية ظلم

فقال أبو محمد: لخت، وإنما هو: مصابكم رجل، بالرفع. فأبت ذلك وقالت: يا أمير المؤمنين، سمعته ممن هو

أعلم بهذا منه. قال: ومن سمعته؟ قالت: من أبي عثمان المازني بالبصرة. فأمر الواثق بإشخاصه. فلما وصل

سلم على أمير المؤمنين. ثم قال له الواثق بعد رد السلام: بسمك؟ قال أبو عثمان: قلت: بكر. وإنما أراد أن

يعلمني أن العرب تبذل الباء من الميم في مثل هذا. ثم قال: ممن أنت؟ فقلت: من بني مازن. فقال: أمن مازن

تميم أم من مازن شيبان؟ فقلت: من مازن شيبان. ثم قال: ألك ولد؟ فقلت: لا يا أمير المؤمنين، ولكن لي

أخت تقوم مقام الولد، رافة ورحمة لها. قال: فما قالت لك حين هممت بالشخص؟ قلت: قالت لي: نحن

بعدك كما قال الأعشى:

ترانا إذا اضمرتك البلاء ... دنجفي وتقطع منا الرحيم

أبانا فلا رمت من عندنا ... فإننا بخير إذا لم ترم

قال: فيماذا أجبتها؟ قلت: بقول جرير:

تقي بالله ليس له شريك ... ومن عند الخليفة بالنجاح

قال: ثق بالنجاح إن شاء الله تعالى. ثم قال الواثق: أفدنا شيئاً. فقلت: يا أمير المؤمنين، أقول كما قال

الشاعر:

لا تغلواها وادلوها دلوا ... إن مع اليوم أخاه غدوا

أراد أبو عثمان: ارفق بي، ولا تستعجل علي. فقال: يكفيننا من الفائدة تفسير هذين البيتين. فقلت: معنى

قوله: لا تغلواها، أي لا تعنفا بها. يقال: غلوت الأبل غلوا، إذا حششها في السير، ودلوتها، إذا رفقت بها.

وقوله: غدوا إنما المستعمل منه غد، لأنه على حرفين، مثل: يد وما أشبهه. وأصله: غدو، فحذفت منه

الواو، فلما اضطر إليه الشار رده إلى أصله. فقال: يكفيننا هذا. وأمرني فترلت وأكرمت، ثم جلس مجلساً

آخر وأحضرت الجارية وأبو محمد التوزي، فغنت البيت:

أظلم إن مصابكم رجلاً

فرد عليها أبو محمد أن ترفع رجلاً. فقلت له: كيف تقول: إن ضربك زيداً معجبٌ لي؟ فقال أبو محمد: حسبي، وأمرها: أن تصب رجلاً. وسألني الواثق الإقامة بحضرته، فاعتذرت له إليه. فأمر لي بعشرة آلاف درهم وبكساء وغير ذلك، وقال: لا تقطعنا. فانصرفت ولم أعد إليه.

وحذفت الواو أيضاً في قولهم: حم، وأصله حمّو. وحذفت الواو أيضاً في قولهم: أب، وأخ، وهما من الواو، لقولك: أبوان وأخوان. وحذفت أيضاً في: كرة، وثبة، وما جانسهما من الأسماء.

وحذفت الياء في قولهم: يد، وأصلها: يدي، لقولهم: يديت إلى فلان يداً، إذا أسديت إليه معروفاً. وحذفت أيضاً في قولهم: دم؛ وأصله: دمي. لقولهم في الثنية: دميان. قال بعض بني سليم:

فلو أنا على حجر ذبحنا ... جرى الدميان بالخبر اليقين

ومنهم من يقول: دموان، وهو قليل.

وحذفت الهاء في قولهم: شفة، وأصلها: شَفَهَةٌ، لأن تصغيرها شَفِيهَةٌ. وجمعها: شَفَاه، بالهاء. وحذفت الهاء أيضاً في قولهم: عضة، وأصلها عَضَهَةٌ، عند بعضهم، لقولهم: جمل عاضَةٌ، أي يأكل العِضَاه، وعند بعضهم أهما من الواو وأصلها: عضوة، واحتجوا بقول الراجز:

هذا طريقٌ يأزم المآزما ... وعضوات تمشق اللهازما

تمشق: تضرب. والمآزم هاهنا: كل طريق ضيق بين جبلين. وحذفت الهاء في قولهم: فم، وأصله: فوه، لأن تصغيره فُوَيْه، وجمعه أفواهُ، بالهاء. وحذفت الهاء في قولهم: شاة، وأصلها: شوهة، لأن تصغيرها: شُوَيْهَةٌ، وجمعها: شِيَاه، بالهاء.

وحذفت النون في قولهم: مذ، وأصلها: مند، لأنك إذا سميت رجلاً بمذ ثم صغرته قلت: مُنْبِذاً، وجمعته قلت: أمناذ. وحذفت أيضاً في قولهم: إن زيداً لمنطلق، مخففة، وأصله: إن زيداً، فحذفوا النون الثانية تخفيفاً.

وحذفت الياء في قول الشاعر:

رب هيضل جب لففت بميضل

الهيضل: الجماعة يغزون بسلاحهم. فحذفت الياء الثانية تخفيفاً.

وحذفت الحاء في قولهم: حر، وأصله: حرح، لأن تصغيره: حريح: وجمعه: أحراح. قال الشاعر:

إني أفود جملاً مراحاً ... ذا قبة مملوءة أحراحاً

وحذفت الحاء في قولهم: بخ، قال أعشى همدان:

بين الأشج وبين قيس باذخ ... بخ لوالده وللمولود

وأصله: بخ بخ. قال العجاج:

في حسب بخ وعز أقعسا

وحذفت الفاء في قولهم: أف، وأصله التشديد. وفيها ثمان لغات: أف وأفُّ وأفَّا وأفَّ، وأفُّ

وأفَّى. وحذفت أيضاً في قولهم: وسوَ أفعل. يريدون: وسوف أفعل.

قوله وآونةً تغص المرء بالممر، وترد إلى الأردل كل معمر؛ فهي لنظم الحيوان زحاف، ولها في طلب النفوس إلهاف؛ تلحق الصحيح تارة بخامس الخفيف.

الآونة: جمع أوانٍ، مثل زمان وأزمة. قال الشاعر:

أبو حنشل يعمنا وطلق... وعبادٌ وآونة أثالا

نصب آونة لأنها ظرفٌ. قال سيويه: أصله أثالة، فحذف الهاء، وهو في موضع رفع لأنه عطفٌ على طلق. وأثال، عنده مرخم في ضرورة الشعر، وأصله: أثالة، فترك فتحة اللام على حالها. وخالفه أبو العباس المبرد، فقال: لا يجوز الترخيم فيما ليس بمنادي، وهو أثال، بغير هاء، وهو منصوب، لانه عطفٌ على النون والألف، في يعمنا.

والأردل: الردئ الخسيس. وأردل كل شيء: أدنؤه وأردؤه، وأردل العمر: آخره، لأن المعمر يصير إلى الضعف بعد القوة.

والزحاف: ما حذف من حروف أبيات الشعر للعلة. والإلهاف: الإلهاف في السؤال، ومنه قوله تعالى: (لا يسألون الناس إلهافاً).

والصحيح من الشعر عند العروضيين: ما لم يكن في زحاف ولا علة. والصحيح عند النحويين من الكلام: ما لم يكن من حروفه الأصلية حرفٌ من حروف الاعتلال الثلاثة.

وخامس الخفيف: ضربٌ من ضروب الشعر. وسنذكر في هذا الموضوع جملة من أصول الشعر والعروض، يبتغى بها من وقف عليها، ونقتصر على الأصول، دون العلل والقروغ، لأن الغرض المقصود تفسير الرسالة، فمن أحب الوقوف على ذلك بكماله، فهو في مختصرنا المعروف بكتاب ميزان الشعر وتثبيت النظم. اعلم أن الشعر على وجهين: مستعمل ومهمل؛ فالمستعمل منه: ما خف على اللسان، وحسن نظمه، وتساوت أوزانه، وعذب لفظه. ولد نشيده، وأسرع القلوب إلى حفظه، وأصغت الأذان إلى سماعه، ولم يتتبع صاحبه وحشي الكلام، ولا ركيك اللغات، ولا بعيد المعاني. وكان أول البيت منه يدل على آخره، وصدده على سائره. ولم يكن فيه تعقد ولا تكلف، ولا تلكؤ ولا تعجرف. قال أبو تمام:

لم يتبع شنع اللغات ولا مشي... رسف المقيد في حدود المنطق

فما كان بهذه الصفة فهو المستعمل، وما كان بخلافها فهو المهمل. والله در القائل:

سأقضي بيت يحمد الناس غبه... ويكثر من أهل الروايات حامله

يموت ردي الشعر من قبل أهله... وجيده يبقى وإن مات قاتله

واعلم أن الشعر كله: جيده وورديته، وحسنه وقبيحه، ومستعمله ومهمله، مؤلف من ثمانية أجزاء، هي أصولها وعليها مداره؛ ستة أجزاء منها سباعية، وهي: فاعلاتن، مستعلن، مفاعيلن، مُتفاعِلن، مفاعِلتن، مفعولات. وجزآن حماسيان وهما: فعولن، فاعلن. هذه أجزاء الشعر التي يتألف منها ويصدر عنها. وهذه الأجزاء مؤلفة من ثلاثة أشياء. أسباب وأوتاد وفواصل. فالأسباب سببان: خفيف وتقليل. فالخفيف متحرك بعده ساكن، والثقل متحركان. والأوتاد وتدان: مجموع ومفروق، فالجموع متحركان بعدهما ساكن،

والمفروق متحركان بينهما ساكن. والفواصل فاصلتان: صغيرة وكبيرة. فالصغيرة ثلاثة متحركة بعدها ساكن، والكبيرة أربعة متحركة بعدها ساكن. وهذه الأجزاء تدخل عليها العلة. والعلة علتان: علة زيادة، وعلة نقصان. وأكثر ما زيد على الجزء حرفان، وأكثر ما نقص منه ثلاثة. وللشعر خمسة عشر حداً، لهن خمس دوائر، وخمسة أسماء، وأربعة وثلاثون عروضاً، وثلاثة وستون ضرباً. والحدود، أولها: الطويل، ثم المديد، ثم البسيط، ولن دائرة؛ والوافر والكامل، ولهما دائرة؛ والهزج، والرجز، والرمل، ولهن دائرة؛ والسريع، والمنسرح، والخفيف، والمضارع، والمقتضب، والمنجث، ولهن دائرة؛ والمتقارب، وله دائرة.

وزاد عبد الله بن المنذر حداً سماه المتقاطر له أربع عروضات وخمسة أضرب، وهو من دائرة المتقارب. وروى أن الخليل بن أحمد رحمه الله كان يرده ويدغمه ولا يجيزه.

والأسماء الخمسة، أولها: المترادف: ساكن ومسكن، وهو تسعة أضرب؛ والمتواتر: متحرك وساكن، وهو ثلاثون ضرباً، والمتدارك. ساكنان ومتحرك، وهو سبعة عشر ضرباً، والمتراكب: ثلاثة متحركة وساكن، وهو سبعة أضرب. فذلك ثلاثة وستون ضرباً؛ والمتكاوس: أربعة متحركة وساكن، ولا حظ له من الضروب؛ لأنه داخل على المتدارك بسبب العلة.

والعروض: الجزء الآخر من أجزاء النصف الأول من البيت، وهي مؤنثة لأنها مشتقة من أحد وجهين، إما من قولهم: ناقة عروض، أي صعبة لم ترض، وإما من العروض التي هي الناحية والطريق؛ يقال: فلان أخذ في عروض فلان. قال الأحمس، بن شهاب بن شريق التغلبي:

لكل إناس من معد عمارة... عروضٌ إليها يلجؤون وجانب

يقول: لكل حي حرز إلا بني تغلب، فإن حرزهم السيوف. وعمارة خفض لأنه بدل من أناس. ومن رواه، عُرُوض، بضم العين، جعله جمع عَرْضٍ، وهو الجبل. وروى الكوفيون عمارة، بفتح العين وضم الهاء. والصحيح الأول: فكأن العروض ناحية من العلم، وهو أقرب الوجهين إلى اشتقاقها.

والضرب: الجزء الآخر من جميع أجزاء البيت. والضرب: النصف من كل شيء.

## فصل

### في أبيات أنواع الحدود

### الطويل

وهو ثلاثة أنواع: له عروض واحدة وثلاثة أضرب: النوع الأول: عروضه مقبوضة وضربه سالم، وبيته:

أبا منذرٍ كانت غروراً صحيفتي ... ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي

الثاني: المقبوضان، وبيته:

ستيدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... وبأتيك بالأخبار من لم تروى

الثالث: المقبوضة والحذوف، وبينه:

وإني على فجع الليالي بمالكٍ ... جلدٌ ومن ذا لم تخنه الليالي

### المديد

له ستة أنواع: له ثلاثة أعراب، وستة أضرب: النوع الأول: الجزوعان، وبينه:

بالبكر انشروا لي كلياً ... يالبكر أين أين الفرار

والرمل: مسدس أيضاً من جزء واحد مكرر: فاعلاتن.

هذه حدود الدائرة الثالثة. ويفك الرجز من السبب الأول من مفاعلين في الهزج، ويفك الرمل من السبب الآخر من مستفعلن في الرجز.

والسريع، مسدس من جزأين سباعيين الأول منهما مكرر: مستفعلن مستفعلن مفعولات.

والمنسرح، مسدس أيضاً من جزأين سباعيين، ثالثهما هو الأول منهما: مستفعلن مفعولات مستفعلن.

والخفيف، مسدس أيضاً من جزأين سباعيين، ثالثهما هو الأول منهما، فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن.

والمضارع، مسدس أيضاً من جزأين سباعيين، ثالثهما هو الأول منهما: مفاعيلن فاعلاتن مفاعيلن.

والمقتضب، مسدس أيضاً من جزأين سباعيين، الآخر منهما مكرر: مفعولات مستفعلن مستفعلن.

والجثث، مسدس أيضاً من جزأين سباعيين، والآخر منهما مكرر: مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن.

هذه حدود الدائرة الرابعة. ويفك المنسرح من أول مستفعلن، الثاني من أجزاء السريع. ويفك الخفيف من

السبب الثاني من مستفعلن، في المنسرح. ويفك المضارع من وتد فاعلاتن في الخفيف. ويفك المقتضب من

السبب الأول من مفاعيلن في المضارع. ويفك الجثث من السبب الثاني من مفعولات في المقتضب.

والمقارب، مثنى من جزء مكرر خماسي: فعولن.

والمقاطر، مثنى من جزء واحد خماسي مكرر: فاعلن.

هذه حدود الدائرة الخامسة. ويفك المقاطر من سبب فعولن في المقارب.

؟؟فصل؟ في ألقاب الأجزاء وما يدخل عليها فعولن، يدخل عليه فعان، وهو الأثلم؛ وفعل، وهو الأثرم؛

وفعول، وهو المقبوض؛ وفعل، ساكنة اللام، وهو المقصور؛ وفعو، وهو الحذوف؛ وفَع، وهو الأبتز.

فاعلن، يدخل عليه فعَلن، وهو المخبون؛ وفَعْلُن ساكنة العين، وهو المقطوع، وفاعِلان، وهو المذال.

فاعلاتن، تدخل عليه فعلاتن، وهو المخبون؛ وفاعِلان في القوافي، وهو المقصور؛ وفاعِلن، وهو الحذوف؛

وفَعِلات، وهو المشكول؛ وفاعلات، وهو المكفوف عجزاً؛ وفعلن، ساكنة العين، وهو الأبتز؛ وفعلن،

متحركة العين، وهو المخبون الحذوف؛ ومفعولن، في الخفيف وحده، وهو المشعث؛ وفاعلاتان، وهو المسبغ.

مستفعلن، تدخل عليه مفاعِلن، وهو المخبون؛ ومفتعلن، وهو المطوي؛ ومستفعل، وهو المكفوف؛ وفعلتن،

وهو المخبول؛ ومفعولُن، وهو المقطوع؛ وفَعولُن، وهو المخبون المقطوع؛ وفَعولُن، وهو المخبون المقطوع؛

ومفاعِل، وهو المشكول؛ ومستفعلان، وهو المذال.

متفاعيلين، تدخل عليه مفعولن، وهو الأخرم؛ ومفاعِلن، وهو المقبوض؛ ومفاعيل، وهو المكثوف، ومفعولن، وهو الأخرب؛ وفاعِلن، وهو الأشر؛ وفِعولن، وهو الخذوف.

متفاعِلن، تدخل عليه مستفعلن، وهو المضمر؛ ومفتعلن، وهو المخزول، ومفاعِلن، وهو الموقوص؛ وفِعلائن في القوافي، وهو المقطوع؛ ومفعولن، وهو المقطوع المضمر؛ وفعل، وهو الأحذ؛ وفَعْل، ساكنة العين، وهو الأحذ المضمر.

مفاعِلتن، تدخل عليه مُفتعلن، وهو الأَعْصَبُ؛ ومفاعيل، وهو المَعْصوب؛ ومفاعِلن، وهو المَعْقُول؛ ومفعولن، وهو الأَقْصَمُ؛ ومفاعيل، وهو المَنْقوص، ومفعول، وهو الأَعْصُ؛ وفاعِلن، وهو الأَجْمُ؛ وفِعولن، وهو المقطوف.

مفعولات، تدخل عليه مفاعيل؛ وفِعولات، وهو المخبون؛ وفَاعِلات، وهو المطوي؛ ومفعولان، وهو الموقوف؛ وفَاعِلان، وهو المَطْوِيّ الموقوف؛ ومفعولن، وهو المكسوف؛ وفِعِلان، وهو المخبول؛ وفِعولان، وهو المخبون الموقوف؛ وفَعْلن، بتحريك العين، وهو المخبول المكسوف؛ وفَعْلن، ساكنة العين، وهو الأصلم. واعلم أن معنى هذه الأمثلة التي أدخلتها على الأجزاء هو دخول العلة عليها، فنقصت منها حروف وزيدت حروف، فحول كل جزء منها بعد النقصان والزيادة إلى مثاله من الفعل، وذلك مثل قولك في فعولن: يدخل عليه فعِلن، وهو الأثلِم. المعنى في ذلك أن الفاء سقطت منه للعلة، وهو التلَم، فصار عَوْلن فحوّل إلى مثاله من الفعل، وهو فَعْلن ساكنة العين، لأنه أحسن في الألفاظ، فصار المتحرّك من ذلك عوضاً من المتحرك، والساكنُ عوضاً من الساكن، وكذلك سائر الأمثلة على هذا الترتيب.

## فصل

جميع الحدود: حدّان: مثنى ومسدس. فالثمن خمسة حدود، وهي: الطويل: والمديد، والبسيط، والمتقارب، والمتقاطع، وهو ما تضمنته الدائرة الأولى والدائرة الخامسة. وسائرهما مسدس. ولا ينبغي شيء من جميع الحدود على أكثر من جزأين مختلفين من الأجزاء.

فالطويل، مثنى، من جزأين مكررين مختلفين: خماسي وسباعي: فعولن مفاعيلن. والمديد، مثنى من جزأين مكررين مختلفين: سباعي وخماسي: فاعلائن فاعلن. والبسيط، مثنى من جزأين مكررين مختلفين: سباعي وخماسي: مستفعلن فاعلن. هذه حدود الدائرة الأولى. ويفك المديد من سبب فعولن في الطويل. ويفك البسيط من السبب الآخر من فعلائن في المديد.

والوافر، مسدس من جزء سباعي واحد مكرر: مفاعِلتن.

والكامل، مسدس أيضاً من جزء سباعي واحد مكرر: متفاعِلن.

هذه حدود الدائرة الثانية. ويفك الكامل من أول فاصلة مفاعِلتن في الوافر.

والهزج، مسدس من جزء مكرر: مفاعيلن.

والرجز، مسدس من جزء واحد مكرر: مستفعلن.  
الثاني: المجزوءة المخدوفة، والمجزوء المقصور، وبيته:

لا يغرن امرأ عيشه ... كل عيشٍ صائرٌ للزوال

الثالث: المجزوءان المخدوفان، وبيته:

اعلموا أي لكم حافظٌ ... شاهداً ما كنت أو غائباً

الرابع: المجزوءة المخدوفة، والمجزوء الأبتري، وبيته:

عُلقت عيناى رُعبوبةً ... مثل قرن الشمس معطارا

الخامس: المجزوءان المخدوفان المخبوتان، وبيته:

رب رام من بني ثعل ... مخرج كفيه من ستره

السادس: المجزوءة المخدوفة المخبونة، والمجزوء الأبتري، وبيته:

رب نار بت أرمقها ... تقضم الهندي والغارا

### البيسط

وهو ستة أنواع: له ثلاثة أعاريض وستة أضرب: النوع الأول: المخبوتان، وبيته:

يا حار لا أرمين منكم بداهية ... لم يلقها سوقةٌ قبلي ولا ملك

الثاني: المخبونة والمقطوع، وبيته:

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني ... جرداء معروقة اللحين سرحوب

الثالث، وهو المخلع. والمخلع أربعة أنواع: المجزوءة والمجزوء المذال، وبيته:

سائل سليمى إذا لاقيتها ... هل تبلغن بلدة الأبراد

الرابع، وهو ثاني المخلع، والمجزوءان، وبيته.

ماذا وقوفي على رسم عفا ... مخلولق دارس مستعجم

الخامس، وهو ثالث المخلع، والمجزوءة والمجزوء، والمقطوع، وبيته:

يصغو ومخلها في دقةٍ ... لا بد حيزومه مثقوب

السادس، وهو رابع المخلع، المجزوءان المقطوعان، وبيته:

ماذا تذكرت من أطلال ... أضحت قفراً كوحى الواحي

### الوافر

وهو ثلاثة أنواع. له عروضان وثلاثة أضرب: النوع الأول: المقطوعان، وبيته:

لنا غنم نسوقها غزار ... كأن قرون جلتها العصي

الثاني: المجزوءان، وبيته:

أهاجك رسم منزلةٍ ... تخرم أهلها القدر  
الثالث: الجزوة والجزوء المعسوب. وبيته:  
لقد هدم الهوى بدني ... وضقت لحمه ذرعا

### الكامل

وهو تسعة أنواع: له ثلاثة أعاريض وتسعة أضرب: النوع الأول: التامان، وبيته:

وإذا صحوت فما اقصر عن ندى ... وكما علمت شمالي وتكرمي

الثاني: التامة والمقطوع، وبيته:

وإذا دعوتك عمهن فإنه ... نسب يزيدك عندهن حبالا

الثالث: التامة والأخذ المضمّر، وبيته:

لمن الديار برمتين فعائل ... درست وغير آيها القطر

الرابع: الأحذان، وبيته:

لمن الديار محي معارفها ... هطل أجش وبارح ترب

الخامس: الحذاء والأخذ المضمّر، وبيته:

ولأنت أشجع من أسامة إذ ... دعيت نزال ولج في الذعر

السادس: الجزوة والجزوء المرفل، وبيته:

عمدوا لجودك يا يزيد ... ولنعم معتمد المسائل

السابع: الجزوة والجزوء المذال، وبيته:

شهدت قبائل خندف ... ببلاء قومك في تميم

الثامن: الجزوءان، وبيته:

وإذا افتقرت فلا تكن متخشعا وتجمل

التاسع: الجزوة والجزوء المقطوع، وبيته:

بكت المنابر والكتا ... تب والعفاة حسيننا

### الهنج

وهو نوعان: له عروض واحدة وضربان: النوع الأول: الخذوفان، وبيته:

صبا قلبي إلى هند ... وهندٌ مثلها يصبي

الثاني: الجزوة والجزوء الخذوف، وبيته:

وما ظهري لباغي الض ... يم بالظهر الذلول

### الرجز

وهو خمسة أنواع: له أربعة أعاريض وخمسة أضرب: النوع الأول: التامان وبيته:

دارٌ لسلمي ذ سلمي جارة ... قفراً ترى آياهما مثل الزبر

الثاني: التامة والمقطوع، وبيته:

قد هاج قلبي منزلٌ ... من أم عمرو مقفر

الرابع: المشطور، وبيته:

ما هاج أحزناً ... وشجواً قد شجا

الخامس، المنهوكان، وبيته:

يا ليتني فيها جذع

ومثله:

ما الدين إلا بالورع

### الرمل

وهو ستة أنواع: له عروضان وست أضرب: النوع الأول: المحذوفة والتام، وبيته:

أبلغ النعمان عني مألماً ... أنه قد طال حبسي وانتظاري

الثاني: المحذوفة والمقصور، وبيته:

لست أعطى باقتسار خطّةً ... إنما يفعل هذا بالذليل

الثالث: المحذوفان، وبيته:

قالت الخنساء لما جئتها ... شاب بعدي رأس هذا واشتهب

الرابع: الجزوءة والجزوء المشيع، وبيته:

لان حتى لو مشى ذرٌ عليه كاد يدميه

الخامس: الجزءوان، وبيته:

كلما أزمعت ياساً ... أطمعت فيك الأمانى

السادس: الجزوءة والجزوء المحذوف، وبيته:

نحن قتلنا ملوكاً ... بالثنى أربعه

### السريع

وهو سبعة أنواع: له أربعة أعاريض وسبعة أضرب: النوع الأول: المطوية المكسوفة والمطوي الموقوف،

وبيته:

قد يدرك المبطن من حظه ... والخير قد يسبق جهد الحريص

الثاني: المطويان المكسوفان، وبيته: ؟هاج الهوى رسم بذات الغضى مخلوق مستعجم محول الثالث: المطوية

المكسوفة والأصلم، وبيته:

هاجت على الشوق قمرية ... ناحت فأبكت كل مشتاق

الرابع: المحبولان المكسوفان، وبيته:

النشر مسك والوجه دنا ... نير وأطراف الأكف عنم

الخامس: المحبولة المكسوفة والأصلم، وبيته:

يا هل أريك الظن باكرة ... كالنخل بالبطحاء من ملهم

السادس: المشطورة الموقوفة الممنوعة من الطي، والضرب مثله، وبيته:

الحمد لله العظيم المنان

السابع: المشطورة المكسوف الممنوعة من الطي وضربها مثلها، وبيته:

يا صاحبي رحلي أقللاً عذلي

## المنسح

وهو ثلاثة أنواع: له ثلاث أعاريض وثلاثة أضرب: النوع الأول: التامة المطوي، وبيته:

إن ابن زيد لا زال مستعملاً ... للخير يفشي في مصره العرفا

وبيته المستقيم من العلل.... فاعلات مفتعلن، مطويان:

إن عميراً رأى عشيرته ... قد حذبوا دونه وقد أقفوا

الثاني من المنسح: المنهوك الموقوفة الممنوعة من الطي وضربها مثلها، وبيته:

صبراً بني عبد الدار

الثالث: المنهوك المكسوفة الممنوعة من الطي وضربها مثلها، وبيته:

ويل أم سعد سعدا

## الخفيف

وهو خمسة أنواع: له ثلاث أعاريض وخمسة أضرب: النوع الأول: التامان، وبيته:

كل حي حاس من الموت كأساً ... لا يعرى منها سوى ذي المعالي

الثاني: التامة والمخدوف، وبيته:

قد عيننا في العسر واليسر دهرًا ... وأفرت أعراضنا فيهما

الثالث: المخدوفان، وبيته:

إن قدرنا يوماً على عامر ... نتصر منه أو ندعه لكم

الرابع: المخزوان، وبيته:

ليت شعري ماذا ترى ... أم عمرو في أمرنا

الخامس المجزوعة والمجزوء المقصور، وهو الذي ذكره في الرسالة وبيته:  
كل خطب إن لم تكو ... نوا غضبتهم يسير

### المضارع

وهو نوع واحد له عروض واحدة وضرب واحد مجزوءآن، وبيته:  
دعاني إلى سعادا ... دواعي هوى سعادا

### المقتضب

وهو نوع واحد، له عروض واحدة وضرب واحد مجزوءآن مطويان، وبيته:  
هل علي ويحكما ... إن لهوت من حرج

### المجث

وهو نوع واحد، له عروض واحدة وضرب واحد مجزوءآن، وبيته:  
البطن منها خميص ... والوجه مثل الهلال

### المتقارب

وهو خمسة أنواع، له عروضان وخمسة أضرب: النوع الأول التامان، وبيته:  
فأما تميم تميم بن مر ... فألفاهم القوم روبي نياما  
الثاني: التامة والمقصور، وبيته:  
إذا حل هذا لهوى في فؤاد ... فهيهات عنه دواء الطيب  
الثالث: التامة والمخذوف، وبيته:  
وأروى من الشعر شعراً عويصاً ... ينسى الرواة الذي قد روا  
الرابع: التامة والأبتر، وبيته:  
خليلي عوجا على رسم دار ... خلت من سليمان ومن ميه  
الخامس: المجزوءآن المخذوفان، وبيته:  
أمن دمنة أقفوت ... لسلمي بذات الغضى

### المتقارب

ومنهم من سماه الخيب، ومنهم من سماه المخترع، ومنهم من جعله من المتقارب.  
وهو خمسة أنواع: له أربع أعاريض وخمسة أضرب: النوع الأول: التامان، وبيته:

أو كبرق بدا ضوءه موهناً ... في بشاصٍ كلامرنة يابس

الثاني: التامة والمدال، وبيته:

قف بنا نسأل الدار عن أهلها ... إن أجبت لنا الدار رجع السؤال

الثالث: المقطوعان، وبيته:

كلما عن لي منهم ذكر ... عيل صبري فما أملك الدمعا

الرابع: الجزوآن المقطوعان، وبيته:

طفلة ناعم بكرٌ ... عادةً حبها يضني

الخامس: الجزوآن المخبونان، وبيته:

منزل باللوى محيل ... غيرت رسمه الليالي

وبيته المعلل محبون، مثل قول امرئ القيس:

الشحط خليطك إذ بكروا ... ونأوا فمضى بهم السفر

قوله: وتارة تجعله من مصادر اللفيف.

فإن اللفيف من الأفعال ما كان معتل العين واللام، مثل: طوى، وشوى، وكوى، وما شكله. تقول في مصادره: طويت الكتاب طياً، وشويت اللحم شيئاً، وكويت الجرح كياً. وكان أصله: طَوِيًا، وشَوِيًا، وكَوِيًا. إلا أن الواو والياء إذا اجتمعتا وسكنت الأولى منهما قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء، ومثل ذلك قولهم: سيد، وميت، وهين، وجيد، وحيز، للمكان؛ أصل ذلك كله: سيود، وميوت، وهيون، وجيود، وحيوز. فانقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء. يدل على ذلك أنها فيعمل، من السؤدد، والموت، والهوان، والحدود، والحدوز.

## فصل

### في مثل ذلك من التصريف

إذا انكسر ما قبل الواو وكانت الواو لأمًا قلبت ياء، مثل قولهم: غازية، وغادية، وما شاكله. والأصل: غازوة، وغادوة. فإن كانت الواو عيناً قويت بتوسطها ولم تقلب، مثل قولهم: حَوْل، وعَوْض، وطَوْل. قال القطامي التغلبي:

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل ... وإن بليت وإن طالت بك الطول

وإذا كانت الواو عيناً في فعلٍ وجمعه على فعال، قلبت الواو ياء، كقولك: حوض وحياض، وثوب وثياب، وسوط وسياط. فإن كانت عيناً في فعيل لم تقلب، كقولك: طويل وطوال، وقويم وقوام؛ وذلك للفرق بين الجمعين لتلا يلتبس أحدهما بالآخر. وقد قلبت في جمع فعيل، وهو شاذ. قال الطائي:

تبيّن لي أن القماء ذلّة ... وأن أعزاء الرجال طيها

وإذا اعتلت عين الفعل بالواو والياء، وانقلبت ألفاً في الماضي، انقلبت الواو والياء همزتين بعد ألف الفاعل، نحو قام فهو قائم، وسار فهو سائر، وهاب فهو هائب. فإن صحنا في الماضي في اسم الفاعل نحو: عار فهو عاور، وحول فهو حاول، وصيد فهو صايد، غير مهموز.

وإذا اجتمع في أول الكلمة واوان قلبت الأولى منهما همزة، وذلك في جمع واصل وتصغيره، فتقول في جمعه: أواصل، وفي تصغيره. أويصل. والأصل: وواصل، وويصل. وذلك لكراهية اجتماع واوَيْن في أول الكلمة وتقل النطق بهما. فأما قوله تعالى: (ما ووري عنهما) فإنما ذلك على أن الواو الثانية مدت لأنها بدل من ألف وارىت. قال الشاعر في الهمزة:

ضربت صدرها إلي وقالت ... يا عدياً لقد وقنت الأواقي  
والأصل الواو في جمع واقية، كعافية وعواف.

هذا رأي أبي عمرو في نصب الاسم العلم المنادى الذي جاز ثبوته في ضرورة الشعر، واعتل في ذلك برده إلى أصله، والخليل ينونه ويرفعه على لفظه. ومثل ذلك قول الفرزدق:

سلام الله يا مطراً عليها ... وليس عليك يا مطر السلام  
فإن يكن النكاح أحل شيء ... فإن نكاحها مطراً حرام  
والخليل يرويه يا مطر بالرفع، ويا عدي.

فإن توسطت الواوان صحنا، كقولك في النسب إلى نوى وهوى: نوي وهوي.  
وإذا جمعت فاعلاً من معتل العين على فَعَل فبناء ذوات الياء على الياء، كقول أبي النجم:

نبأته بين التلاع السيل  
وكقول الهذلي:

وإذا هم نزلوا فمأوى العيل

وبناء ذوات الواو على الواو، كهولك: صوم وقوم. ويجوز البدل بالياء لثقل الجمع، فنقول: في صوم: صيم، وفي قوم: قيم. قال الراجز:

لولا الإله ما سكننا خضماً ... ولا ظللنا بالمشائي قيماً  
وقال ذوا الرمة

ألا طرقتنا مية بنة منذر ... فما أرق النيام إلا سلامها  
هكذا أنشده ابن الأعرابي بالياء.

وإذا كان لام الاسم واواً مثل: دلوّ وحقو، وجمعه على أفعل أبدلت كسرة الواو ياء، كهولك: أدل وأحق، والأصل: أدلوّ وأحقو. فإن جمعه على فُعول قلت: دليّ وحقيّ. وكذلك في جمع عصا عصيّ، لأن أصل ألفها الواو. والأصل: دلو، وعصو، وحقو. وربما جاء بعض ذلك على أصله، قال الشاعر:

أليس من البلاء وجيب قلبي ... وإبضاعي الهموم مع النجوم  
فأحزن أن تكون على صديق ... وأفرح أن تكون على عدو

النحو: السحاب، ها هنا، جمع نجوم.

وحكى أبو حاتم عن أبي زيد في الصدر: بهوٌ وبُهوءٌ، وبُهَى. وحكى ابن الأعرابي: أبٌ وأبو، وأخ وأخو.  
وأُشْد للقياني يمدح الكسائي:

أبي الذم أخلاق الكسائي وانتمى ... إلى المجد أخلاق الأبو السوابق

فإن جمعته على فعال قلبت الواو همزة، كقول حسان:

لساني صارمٌ لا عيب فيه ... وبحري لا تكدره الدلاء

قوله يحل منه قوة بعد قوة، وتحطه من ربوة إلى هوة؛ وزمانٌ كأبي قابوس، في النعيم والبوس؛ يُسبى بذوي

الإحسان، ويشكر ثم يشكي بلسان؛ يثيب أحسن بعقوبةٍ وكيد، كما صنع بعبيدٍ وعدي بن زيد.

الربوة: المكان المرتفع، وقد تقدم ذكرها، وجمعها ربي. والهوة: المكان المنخفض، وجمعها هوى.

أبو قابوس، كنية النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر، الملك اللخمي،

صاحب الغريين والطربالين. والطربالان: صومعتان، كان يغريهما بدم من يقتله إذا ركب يوم بُؤسه. وكان

له يومان يومٌ يسميه يوم نعيم، إذا ركب فيه ولقيه من يستحق العقوبة حياه وأكرمه وأبلغه مناه. ويوم

يسميه يوم بؤس، إذا ركب فيه ولقيه من أوليائه من يستحق الحياء والإحسان قتله ومثل به. فلقيه عبيد بن

الأبرص الشاعر، من بني أسد، في يوم بؤسه، وكان له ولياً، فقال له النعمان: ما جاء بك في هذا اليوم؟

وددت لو أنك لقيتنا في غيره. فقال عبيد: أتتك بجائن رجلاه. فأرسلها مثلاً. فقال له النعمان: أنشدنا

شعرك الذي تقول فيه:

أقفر من أهله ملحوب

فقال عبيد:

أقفر من أهله عبيد ... فاليوم لا نبدي ولا نعيد

فقال له النعمان، تمن ما شئت غير نفسك، فلا بد من القتل. فقال: لا أجد شيئاً أعز علي من نفسي فأتمناه.

فقتله في ذلك اليوم.

الكيد: المكر والعداوة، ومنه قوله تعالى: (إنهم يكيدون كيدا). وأما عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب

بن محروف العبادي الشاعر، فهو من تميم بن مر. وكان من خبره أنه كان كاتب كسرى أبرويز بن هر من

بن كسرى أنو شروان بن قباذ بن فيروز بن يزد جرد، الملك الفارسي، يترجم له بالفارسية ما يرد من كتب

العرب. وكان النعمان بن المنذر نشأ في حجر آل عدي بن زيد، فطلب كسرى رجلاً يستعمله على العرب،

فاحتال عدي بن زيد في توليته النعمان، وكان له فيه هوى لتربيتهم إياه، وكان للنعمان عدة إخوة. فقال

عدي لكل واحد من إخوة النعمان: إذا قال لك الملك: أتكفيني العرب كلها؟ فقل: نعم، أكفيك العرب

كلها ما خلا بني أبي. فأدخلهم واحداً واحداً على كسرى، وهو يسألهم، ويجيونه بما قال لهم عدي بن زيد.

ثم أدخل النعمان على كسرى بعد إخوته، وكان أزرهم منظرًا. وقال له: إذا قال لك الملك: أتكفيني

العرب كلها؟ فقل: نعم أكفيك العرب كلها. فإذا قال: وتكفيني بني أبيك؟ فقل: إذا لم أكفك بني أبي

فكيف أكفيك العرب كلها. فسأله كسرى. فقال له كما قال له عدي. فولاه على جميع العرب بسبب

عدي ولطف احتياله. وكان عدي بن مرينا مع بعض إخوة النعمان، وكان يبغض عدياً ويحسده. فجعل عدي بن مرينا يقع في عدي بن زيد عند النعمان ويحمله عليه ويقول للنعمان: إنه يحقرك ولا يعرف قدرك، ولا آمن أن يشي بك إلى كسرى. فغضب النعمان من ذلك وبعث إلى عدي بن زيد يستزيره. فأتاه عدي فأمر النعمان بحبسه والتنضيق عليه. فقال في السجن أشعاراً كثيرة يستعطف النعمان فيها، منها قوله:

أبلغ النعمان عني مألماً ... أنه قد طال حبسي وانتظاري  
لو بغير الماء حلقي شرق ... كنت كالفصان بالماء اعتصاري  
قاعداً يكره نفسي بثها ... وحراماً كان حبسي واحتقاري  
وعداي شيمت أعجبهم ... أنني غيبت عنهم في إساري  
لامرئ لم ييل مني سقطةً ... إن أصابته مللمات العنار  
وقال:

ألا من مبلغ النعمان عني ... وقد تمدى النصيحة بالمغيب  
أحظى كان سلسلة وقيداً ... وغلاً والبيان لدى الطيب  
أتاك بأني قد طال حبسي ... فلم تسأم لمسجون غريب

وبيتي مقفر الأرجاء فيه ... أرامل قد هلكن من النحيب  
يبادرن اللموع على عدي ... كشن خانة خرز الربيب  
يحاذرن الوشاة على عدي ... وما قرفوا عليه من الذنوب  
فقد أضحى إليك كما أرادوا ... وقد ترجى الرغائب مدمثيب  
فإن أخطأت أو أوهمت أمراً ... فقد بهم المصافي بالحبيب  
وإن أظلم فقد عاقبتموني ... وإن أظلم فذلك من نصيبي  
فهل لك أن تدارك ما لدينا ... ولا تغلب على الرأي المصيب  
فإني قد وكلت اليوم أمري ... إلى رب قريب مستجيب

وابت عنده امرأته أميمة ليلة في السجن ومعها ابنته هند جويرية صغيرة. فلما رأت الغل قالت: يا أبت، أي شيء هذا في يدك؟ فبكت أمها من ذلك وبكت هي. فقال يذكر ذلك في شعره:

ولقد ساعني زيارة ذي قر ... بي صغير لودنا مشناق  
ساءها ما بنا تين في الأي ... دي وإشناقها إلى الأعناق  
فلما نامت الصبية دنت منه أمها فحدثته ساعة، ثم قال:  
فاذهبي يا أميم غير بعيد ... لا يواقي العناق من في الوثاق  
واذهبي يا أميم إن يشأ الل ... ه يفرج من أزم هذا الخناق  
أو تكن وجهة فتلك سبيل الن ... اس لا تمنع الحتوف الرواق

فلما بعث إلى النعمان بأشعاره رق له وندم على ما جاء منه. فخشي أن يخلي عنه فيمكر به. وقد عرف ذنبه

إليه. فتركه حتى جاءه كتاب من كسرى في أمر عدي فقطع به. فأمر حرس السجن بقتل عدي فقتلوه، وقال: إنه كان يتشكى. وأمر رسولي كسرى أن يدخل السجن. فدخل عليه وهو ميت، وأعطاهما النعمان ذهباً ليحسننا عذره عند كسرى، ففعلا.

وكان لعدي بن زيد ولد يقال له: زيد بن عدي، وكان أديباً عاقلاً، فنوصل زيد بن عدي إلى كسرى حتى أحله محل أبيه، ثم جعل زيد بن عدي يذكر نساء آل المنذر بالجمال والأدب، ويصفهن لكسرى ويرغبه فيهن، حتى اشتاق إلى النكاح منهن فقال زيد بن عدي: ابعث أيها الملك إلى النعمان في نكاح بعض بناته، وما أظنه يجيبك إلى ذلك احتقاراً لك. فكتب كسرى إلى النعمان كتاباً في بعض بناته، وأرسل رسولين، ومعهما زيد بن عدي. فلما دخلوا على النعمان قرأ الكتاب. فقال له النعمان: وما يصنع الملك بنسائنا وأين هو عن مها السواد - والمها: البقر الوحشية. والعرب تشبه النساء بالمها - فحرف زيد القول وقال: إنه قال: أين هو عن البقر لا ينكحهن. فطلب كسرى النعمان. فهرب منه حيناً، ثم بدا له أن يأتيه بالمداين فأتاه. فلقيه زيد بن عدي، فقال له: انج نعيم، بالنصغير. فقال النعمان: لألحقتك بأبيك: قال زيد بن عدي: إني قد شددت لك أخية لا يقطعها المهر الأرن. فأمر كسرى فصف له ثمانية آلاف جارية صفين، فلما صار يبينهن قلن: أما للملك فينا غنى عن بقر السواد. فعلم النعمان أنه غير ناج منه. ثم أرسل إليه: أنت القاتل: عليك بقر السواد؟ فأرسل إليه النعمان يعتذر. فأبى أن يقبل منه، وأمر به فبطح في سباط الفيلة. فوطئته حتى مات. فقال الأعشى يذكر أبرويز:

هو المدخل النعمان بيتاً سماؤه ... نحور فيول بعد بيت مسردق

وفنى ملك آل المنذر. وولي كسرى إياس بن قبيصة الطائي، فوليها ثمانية أشهر، ثم مات إياس بعين التمر، واضطرب آل كسرى وضعف ملكهم، وظهر الإسلام.

وروى أن الحرقة بنت النعمان بن المنذر استأذنت في الدخول على سعد ابن أبي وقاص بالكوفة، وذلك بعد وقعة القادسية، وكانت في حياة أبيها إذا خرجت خرجت معها مائتا جارية، يفرشن لها الديباج، ويسترنهما بمطارف الخز. فأذن لها سعد، فدخلت امرأة متضائلة. فقال لها سعد: أنت حرقة؟ قالت: نعم. فكرر عليها ثلاثاً. فقالت: وما الذي يعجبك من أمري يا سعد؟ كنا ملوك هذا المصر يجي إلينا خرجة، ويطيعنا أهله، أيام المدة والدولة؛ فلما حل القدر، وأدبر الأمر، صاح بنا صائح الدهر؛ ففرق شملنا، وصدع عصانا، وسلبنا ملكنا. وكذلك الدهر يا سعد ليس يأتي قوماً بجرة، إلا وأعقبه عبرة، وأنشأت تقول:

فبيننا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيه سوقة نتنصف

فأف لدينا لا يدون نعيمها ... تقلب تارات بنا وتصرف

قوله: يخلف بصرفه الملوان، في النبات والحيوان؛ فلخيره من الشر عقيب، وعلى النعم من النقم رقيب؛ كما اتعقب في الطويل عقيبان، وارتقب في المضارع رقيبان؛ وذلك أن من الحار، حذفهما معاً في حال؛ إلا في شعر شاذ، قمن ياشقاذ؛ وأعباء المؤونة، تفتقر إلى معونة؛ افتقار السبعة النواقص إلى الأربع الصلات، وعوائدها التي هي عنها غير منفصلات.

صرف الدهر: حدثانه. والملوان: الليل والنهار. قال ابن مقبل العامري تميم بن أبي:

ألا يا ديار الحي بالسبعان ... أمل عليها بالبيلى الملوان

وهما أيضاً الجديدان والعصران. قال النابغة:

لم يلبث العصران أن عصفا ... ولكل باب يسرا مفتاحاً

ومثله حميد بن ثور:

ولا يلبث العصران يوم وليلة ... إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

العقيب: المعاقب. والرقيب: الحارس. ومنه قوله تعالى: (إلا لديه رقيب عتيد). والعقيبان، في الطويل: الياء

والنون من مفاعيلن. والرقيبان، في المضارع أيضاً: الياء والنون من مفاعيلن إذا سقط أحدهما ثبت الآخر.

حذفهما معاً. يعني أن العقيبين والرقيبين لا يجوز حذفهما معاً في حال واحدة. والشاذ: القليل الذي لا يعتمد

به. ويقال: هو قمن بكذا وقمن وقمين، كل ذلك بمعنى، فإذا كسرت ميمه ثبيت وجمعت، وإذا فتحت الميم

لم يجز الثنية ولا الجمع. الإشقاذا: الإقصاء والإبعاد. قال عامر بن كثير الخاربي:

لقد غضبوا علي وأشقدوني ... فصرت كأنني فرأ منار

والفراء: حمار الوحش. ومنار: مطرود تارة بعد تارة. والأعباء: جمع عبء، وهو النقل.

والسبعة النواقص، هي: الذي، والتي، وما، ومن، وأن، وأي، والألف واللام، في اسم الفاعل واسم المفعول.

يجمعها قول الشاعر:

ألا إن أسماء النواقص سبعة ... وهي الذي ثم التي ثم ما ومن

وأبي بعد هذا ثم لام مضافة ... إلى ألف من بعد ذلك ثم أن

هذه الأسماء السبعة لا تتم إلا بصلاقتها، وصلاتها أربع: الفعل وما اتصل به من فاعل ومفعول وغير ذلك،

والظرف، والمبتدأ وخبره، والجزاء وجوابه. ولا يفرق بينها وبين صلاتها بشيء ليس من الصلة ولا يجوز

تقديم صلاتها عليها، ولا توقع بعد أخبارها، ولا يجوز نعت الاسم الموصول ولا توكيده ولا العطف عليه،

ولا الاستثناء منه إلا بما صلته. وإنما لم يجز ذلك لأنه مع صلته بمنزله اسم واحد، تقول في الذي إذا وصلته

بالفعل: الذي قام زيد. فالذي، رفع بالابتداء، وقام، صلته. وفي قام ضمير يعود على الذي. وتقول في

الثنية: اللذان قاما الزيدان؛ وفي الجمع: الذي قاموا الزيدون. فإذا وصلت بالظرف قلت: الذي أمامك

زيد، والذي خلفك عمرو، والذي في الدار أخوك وإذا وصلته بالابتداء والخبر قلت: الذي أبوه منطلق

زيد، فالذي مبتدأ. وخبره زيد. وصلة الذي قولك أبوه منطلق. فالأب، مبتدأ ثان، وخبره منطلق، والهاء، في

قولك أبوه هي العائد على الذي. وتقول ذا وصلته بالجزاء: الذي إن يأتته تأتاك زيد. فالذي، مبتدأ، وخبره

زيد. والجزاء وجوابه صلة. ومثله: الذي إن تكرمه يكرمك زيد، وما أشبه ذلك. وسيل ما، ومن سبيل

الذي في الصلة، إلا أنهما يقعان في الثنية الجمع بلفظ واحد على المذكر والمؤنث والاثنين والجميع، كقولك:

من قام الزيدون، توحد الفعل، وإن شئت ثنيته وجمعته فقلت: من قاما الزيدان، ومن قاموا الزيدون. وقد

جاءت اللغتان في كتاب الله تعالى في توحيد الفعل: (ومنهم من يستمع إليك). وقال في جمعه: (ومنهم من

يستمعون إليك). وقال الفرزدق:

تمش فإن عاهدتني لا تخونني ... تكن مثل من يا ذئب يصطحجان  
وتقول في المؤنث: من قام هند، ومن قام الهندان، ومن قام الهندات. وإن شئت قلت: من قمت هند، ومن  
قامتا الهندان. ومن قمن الهندات. وقد قرئ في كتاب الله تعالى: (وَمَنْ يَقْنُتْ مَنْكُنْ لَّهِ وَرَسُولِهِ). بالتاء  
والياء، على الوجهين جميعاً.  
وسبيل ما سبيل مَنْ في قولك: ما أكلت الخبز، وما شربت الماء. وسبيل أي إذا كانت خبراً سبيل ما، وَمَنْ.  
كقولك: أيهم في الدار أخوك. تريد: الذي في الدار أخوك. وكذلك: أيهم قام عمرو، وما أشبهه.  
وأن إذا كانت بتأويل المصدر كقولك: أحب أن تقوم، ويعجني أن تقوم.

والألف واللام، إذا كانتا بمعنى الذي والتي في اسم الفاعل والمفعول المشتقين من الأفعال، كقولك: القائم  
زيد، والخارج عمرو. وتقديره: الذي قام زيد، والذي خرج عمرو؛ وفي التثنية: القائم الزيدان، وفي  
الجمع: القائمون الزيدون. تقديره: اللذان قاما الزيدان، والذين قاموا الزيدون، هذا في اللازم. وتقول في  
المتعدي: الضارب عمراً زيد، والضاربان العمرين الزيدان، والضاربون العمرين الزيدون، هذا في الإخبار  
عن الفاعل. فإذا أخبرته عن المفعول قلت: الضاربه زيد عمرو. وتقديره: الرجل الذي ضربه زيد عمرو.  
وفي التثنية والجمع: الضار بهما الزيدان العمران، والضار بهم الزيدون العمرون، قوله: وجار على غير السبيل  
جار، لا ينسخ ليله يافجار؛ شاركته في الطبع بالجوار، شركة إعراب الجوار، في الخطاب والحوار، فالرواة  
منه في أمر مريج، لا يتفق له العلماء على تخريج؛ وحاسد، يبيع الثمين بكاسد؛ ويروم تغطية الشمس،  
براحته وأنامله الخمس، ينظر سليم الطرف بأحوله، نظر آخر الرجز إلى أوله؛ وخليل كاسمه خليل، بين  
الصحيح والعليل؛ يمد الكف بين الأسس والروي).

السبيل: الطريق الواضح، يذكر ويؤنث. والإفجار: موافاة الفجر. الحوار، بالكسر: الجواب؛ يقال: كلمته  
فما رد إلى حواراً وحويراً ومحورة. والحوار، بالضم: ولد الناقة. قال الشاعر يصف الإبل:  
رعت قطناً حتى كأن حوارها ... ملمعة دأياته بطلاء

والطلاء هاهنا: القطران. والدأيات: فقار الظهر، واحدها دأية؛ ولذلك قيل للغراب: ابن دأية.

وإعراب الحوار، في مثل قول امرئ القيس:

كأن ثبيراً في عراين وبله ... كبير أنلس في بجاد مزمل

ولم يوجد لخصه علة غير حوار ما قبله، وهي علة ضعيفة. وكان الأصمعي يرويه مزمل بالرفع على  
الإكفاء، وهو من عيوب الشعر.

الرواة: جمع راوية للحديث والعلم. والمريج: المختلط. ومنه قوله تعالى: (فهم في أمر مريج). قال أبو دواد:  
مرج الدين فأعدت له ... مشرف الحارك محبوك الكند

فأما قوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) فإنما هو خلاهما فأرسلهما.

والثمين: غالي الثمن كثير من كل شيء. والكاسد: ضد الثمين؛ يقال: كسدت السلعة؛ ومنه قوله تعالى:

(وتجارة تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا). ويقال: إن الكسيد: الدون من كل شيء.

نظر آخر الرجز. يعني أن أول الرجز سالم تام وآخره ناقص قد دخلت عليه العلل، وقد تقدم ذكره. ومن الناس من لا يرى الرجز شعراً، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أنا ابن عبد المطلب، أنا النبي لا كذب). والله تعالى يقول: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له).  
الخليل، الأول: الصديق، وهو من المخالفة، وهي المصادقة، قال طرفة:  
كل خليل كنت خالنته ... لا ترك الله له واضحه  
كلهم أروغ من ثعلب ... ما أشبه الليلة بالبارحه  
والخليل الثاني: مأخوذ من إخلال المودة، وهو نقصانها، ومنه إخلال الجسم، وهو نقصانه. والخليل، الفقير، وهو من إخلال الحال. والجرباء: السماء. قال ذو الرمة:  
كأن في كبد الجرباء حاجته ... يرعى كواكبها طوراً ويرتقب  
والجرباء. في هذا الموضع: ذكر أم حبين. والجرباء، أيضاً: مسامير الدرع. قال لبيد يصف درعاً:  
أحكم الجنشي من عورتها ... كل حرباء إذا أكره صل  
والجرباء الأرض الغليظة، بالزاي. ولا يلزم الشاعر إعادته بعينه وتكريره، وأي حروف المعجم، ما وقع بعد ألف التأسيس، فهو الدخيل.  
والروي: الحرف الذي تبنى عليه القصيدة. وسنذكر في هذا الموضع جملة مختصرة من علم الروي يستدل بها من وقف عليها، فمن أحب علم ذلك بكامله فهو في مختصرنا المعروف: كتاب بيان مشكل الروي، وصراطه السوي.  
اعلم ن الروي على وجهين: مطلق ومقيد. فالمطلق ما كان متحركاً موصولاً. ووصله بأحد أربعة أحرف، وهي: الهاء والواو، والياء، والألف. هذه حروف الوصل التي تأتي بعد الروي المتحرك، ولا يأتي بعدها شيء من الحروف، إلا أن تتحرك هاء الصلة فيجاء بعدها الخروج. والخروج أحد ثلاثة أحرف. وهي: الألف، والواو، والياء. ولا يكون بينه وبين الروي حرف غيره.  
ويأتي قبل الروي أيضاً التأسيس والدخيل. فالتأسيس لا يكون إلا ألفاً ساكنة بينها وبين الروي حرف يسمى الدخيل. فهذه الحروف التي تأتي قبل الروي وبعده.  
وأما الحركات فيه سبت، وهي: الرسن، والحدو، والتوجيه، والإشباع، والمجرى، والنفاذ. فالرسن: حركة ما قبل ألف التأسيس. والحدو: حركة ما قبل الرفع. والتوجيه: حركة ما قبل الروي في المقيد، والقراء يسمى الدخيل توجيهاً، ويسميه، إذا دخل الفتح فيه على الكسر والضم، دخيلاً. والإشباع: حركة الدخيل في الشعر المطلق، ذكر ذلك سيعد بن مسعدة. وقيل إن الخليل لم يذكره. والمجرى: حركة الروي. والنفاذ: حركة هاء الوصل.  
والمقيد من الروي ما سكن حرف رويه. وهو ينقسم على ثلاثة أضرب: مقيد مجرد، ومقيد مردف، ومقيد مؤسس.  
فالمقيد المجرد لا يلزمه من الحروف إلا حرف واحد، وهو الروي، ولا من الحركات إلا حركة واحدة، وهي

التوجيه فقط، وهي مثل قول الشاعر، وهو ليبيد:  
إن تقوى ربنا خير نفل ... ويأذن الله ريثي وعجل  
فاللام رويُّ والحركة التي قبله توجيه.

والمقيد المردف يلزمه حرفان، وهما: الردف، والروي؛ وحركة واحدة، وهي الحدو. وهو مثل قول الشاعر:  
يا صاح ما هاجك من رسم خال ... ودمنة تعرفها وأطلال  
اللام روي، والألف الذي قبله ردف، والفتحة التي قبل الألف حدو.  
وأما ياء الردف وواوه فيعتقبان في القصيدة؛ لأن الضمة أخت الكسرة، ولا يجوز دخول الألف معها،  
وذلك مثل قول الشاعر:

يا أمة الواحد فيم الصدود ... والقلب عان في هواكم عميد  
فالذال روي، والواو والياء ردف، والضمة التي قبل الواو والكسرة التي قبل الياء حدو.  
والمقيد المؤسس يلزمه حركتان وثلاثة أحرف، فالحركتان الرسن والتوجيه. والأحرف: التأسيس، والدخيل،  
والروي. وهو مثل قول الشاعر:  
نهنه فؤادك إن من ... ييكي من الحدثان عاجز

فالزاي روي، والجيم دخيل، وحركته إشباع. والألف التي قبل الجيم تأسيس، والحركة التي قبلها رسن.  
والمطلق ينقسم على ثلاثة أضرب: مطلق يلزمه الخروج، ومطلق مردف، ومطلقٌ يلزمه التأسيس والخروج.  
فالمطلق الجرد يلزمه حرفان، وهما الروي والوصل؛ وحركة واحدة، هي الجرى. وهو مثل قول امرئ  
القيس:

وتعطو برخص غير شثن كأنه ... أساريع ظبي أو مساويك إسحل  
ومثله قول الأعشى:  
ألم تغتمض عينك ليلة أرمدا ... وبت كما بات السليم مسهدا  
ومثله قول أبي ذؤيب:

أمن المنون وربها تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع  
ومثله قول طرفة:

أشجاك الربع أم قدمه ... أم رماد دارس حممه  
واللام والذال والعين والميم في هذه الأبيات، كل حرف منها روي للبيت الذي هو فيه. فالياء التي بعد  
اللام، والألف التي بعد الدال، والواو التي بعد العين، والهاء التي بعد الميم، كل حرف منهن وصل للروي  
الذي قبله. وحركة الروي الجرى.

والمطلق المردف يلزمه حركتان: الحدو والجرى؛ وثلاثة أحرف: الدف، والروي، والوصل. وهو مثل قول  
القطامي فيما كان ردفه ألفاً:

قفي قبل التفرق يا ضباعا ... ولا يك موقف منك الوداعا  
فالعين روي، والألف التي بعدها وصل، وحركة العين الجرى، وحركة ما قبل الردف حدو.

وما كان ردفة واوا أو ياء في المطلق، كقول امرئ القيس:  
أبلغ سلامة أن الصبر مغلوب ... وإنما حبها شوق وتعذيب  
ومثله قول الآخر:

وما أنا للشيء الذي ليس نافعني ... ويغضب منه صاحبي بقول  
والمطلق الذي يخرج يلزمه حركتان وثلاثة أحرف. فالحركتان: المجرى، والنفاذ. والأحرف: الوصل،  
والروي، والخروج. وهو مثل قول ابن هرمة فيما كان خروجه ألقاً:  
إن سليمان والله يكلؤها ... ضنت بشيء ما كان يرزؤها  
فالهمزة روي، والهاء وصل، والألف خروج، وحركة الهاء الممزة مجرى، وحركة هاء الوصل نفاذ. وما كان  
خروجه ياء مثل قول الكميت:

وعلمك جهل إذا ما وثقت ... بمن ليس يؤمن من غدرة  
وما كان خروجه واواً مثل قول الشاعر:  
وبلدٍ يضل فيه ركبته ... ما زلت حتى ذل عندي صعبه

والمطلق المؤسس الذي يلزمه الردف والخروج يلزمه أربعة أحرف وثلاث حركات. فالأحرف: الردف،  
والري، والوصل، والخروج. والحركات: الحدو، والمجرى. والنفاذ. وهو مثل قول لبيد فيما كان خروجه  
ألقاً:

عقت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأيد غولها فرجامها  
الميم روي، وحركته مجرى، والهاء التي بعد الميم وصل، وحركتها نفاذ، والألف التي بعدها الهاء خروج،  
والألف التي قبل الميم ردف، والفتحة التي قبلها حدو. وما كان خروجه واواً مثل قول رؤبة:  
وبلد عامية أعماءه ... كأن لون أرضه سماؤه  
وما كان خروجه ياء مثل قول الآخر:  
فانقض مثل النجم من سمائه

والمطلق المؤسس يلزمه أربعة أحرف وثلاث حركات. فالأحرف: التأسيس، والدخيل، والروي، والوصل.  
والحركات: الرسن، والإشباع، والمجرى. وهو مثل قول الشاعر:  
ألا يا ديار الحلي بالأخضر اسلمي ... وليس على الأيام والدهر سالم  
فالميم روي، والواو التي بعدها وصل، واللام التي قبل الميم دخيل، والألف التي قبل اللام تأسيس، والحركة  
التي قبل الألف رسن، وحركة اللام إشباع، وحركة الميم مجرى. ومثله فيما كان وصله ياء قول النابغة:  
كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب  
ومثله فيما كان وصله ألقاً قول جرير:

لنا كل مشبوب يروي بكفه ... غرارا سنان ديلمى وعامله  
والمطلق المؤسس الذي يخرج يلزمه خمسة أحرف وأربع حركات. فالأحرف: التأسيس، والدخيل، والروي،

والوصل، والخروج. والحركات: الرسن، والإشباع، والجرى، والنفاذ. وهو مثل قول الشاعر فيما كان خروجه وأواً:

وليل لا أنيس به ... مطحلبةً جوانبه

وردت وليله داج ... وقد غارت كواكبه

الياء روي، وحركته مجرى، والهاء وصل، وحركتها نفاذ، والواو التي بعد الهاء خروج، والنون في جوانبه دخيل، وحركته إشباع، والألف التي قبل النون تأسيس، والفتحة التي قبلها رسن.

ومثله فيما كان خروجه ياء مثل قول الشاعر:

أشكو إليك زماناً داؤه أبداً ... ينحي علي بكل من كلاكه

ومثله فيما كان خروجه ألفاً قول الشاعر:

يوشك من فر من منيته ... في بعض غراته يوافقه

## فصل

### في أحكام حروف الوصل إذا كانت رويًا

إذا تحرك ما قبل الهاء من سنخ الكلمة كانت رويًا ولم تكن وصلًا، كقول روية:

قالت أيلي لي ولم أسبه ... ما السن إلا غفلة المدله

فإن لم يكن من السنخ فهي وصل لا غير.

ويجوز أن تكون الهاء الأصلية وصلًا مع الهاء الزائدة، مثل أن تبني القصيدة على كتابه وخطابه، ثم يجيء فيها المتشابه وما شاكل ذلك. وكذلك لو كانت القصيدة على جداره وحذاره، ثم جاء فيها الفاره والكاره لكان جائزاً.

وإذا سكن ما قبل الهاء كانت رويًا ولا ينظر من سنخ الكلمة كانت أم من غيره، وذلك مثل قول جعل

صريع الركبان يصف دلواً:

شلت يدا فارية فرهما ... وعميت عين التي أرهما

أساءت الخرز فأنجلتها ... أعارت الإشفى وقدرتها

مسك شوبٍ ثم وفرهما ... لو كانت النازع أصغرهما

فالروي الهاء في هذه الأبيات.

وروى أبو الحسن العروضي أن أبا إسحاق سئل عن الروي في قول أبي عبادة:

ميلوا إلى الدار من ليلى نحيها

فرغم أنه الياء، فروجع في ذلك فلم ينتقل عنه. وإنما ذكر ذلك أبو الحسن يعييه عليه؛ لأن مذهب الخليل والطبقة الذين بعده أن الروي الهاء في قول أبي عبادة، وأن الروي الساكن لا يكون بعده وصل، ومثل ذلك قول الشاعر:

إن قلبي كاد يكويه ... ذو دلالة لا أسميه  
لان حتى لو مشى ذر عل ... به كاد يدميه  
هذا في الزائدة. وأما الأصلية فمثل قول الشاعر:  
ألا لا قبح الرحم ... ن ذاك الوجه من وجهه  
فما إن عاين الناس ... له في الناس من شبهه  
وأما الواو، فإذا سكن ما قبلها وكانت أصلية لم تكن إلا رويًا، مثل قول الراجز:  
إني إذا ما خذلتني دلوي ... سقيت من حوض غزير الصفو  
ما لم يكن في طرف من شكو

وكذلك إذا انفتح ما قبل الواو، لم تكن إلا رويًا، ولا يجوز أن تكون وصلًا مثل: غزوا ورموا. وأنشد محمد بن يزيد المبرد ويحيى بن زياد الفراء في مختصرهما:

حدثنا الراوون فيما رووا ... أن شرار الناس قوم عصوا  
وإذا انضم ما قبل الواو وكانت أصلية جاز أن تكون رويًا، في مثل تخفيف: عدو وهدو، ويغزو ويدعو،  
وجاز أن تكون وصلًا، وكونها وصلًا أكثر عند الفصحاء. فإن كانت الواو المضموم ما قبلها غير أصلية لم  
تكن إلا وصلًا لا غير. وقد جاءت رويًا في قول مروان بن الحكم، وهو محمول على الإقواء، وهو قوله:  
هل نحن إلا مثل من كان قبلنا ... نموت كما ماتوا ونحيا كما حيوا  
وينقص منا كل يوم ولية ... ولا بد أن نلقي من الأمر ما لقوا  
وأما الياء فإذا تحركت فإنها تكون رويًا، ولا يجوز أن تكون وصلًا في مثل قول الشاعر:  
رميته فأقصدت ... وما أخطأت الرمية  
بسهمين مليحين ... أعارتكهما الطيبه

وكذلك إذا سكنت الياء وانفتح ما قبلها فإنها تكون رويًا أيضًا في مثل تخفيف الغي والطي وما شاكلة.  
وإذا سكنت الياء وانكسر ما قبلها فإنها تكون وصلًا، كانت من السنخ أو زائدة. وقد جعلها بعضهم رويًا  
إذا كنت من السنخ مثل قول الشاعر:

ألم تكن حلفت بالله العلي ... إن مطاياك لمن خير المطي  
ومثل قول الآخر:

أشباب الصغير وأفنى الكبي ... ر الغداة ومر العشي  
إذا ليلة أهرمت أختها ... أني بعد ذلك يوم فتي  
تروح مع المرء حاجاته ... وحاجة من عاش لا تنقضي  
تموت مع المرء حاجاته ... وتبقى له حاجة ما بقي  
وكذلك إذا كانت الياء مخففة من ياء النسب مثل قول الشاعر:  
فنجدية وحرورية ... وأزرق يدعو إلى أزرق

فملتنا أنا مسلمون ... على دين صديقنا والني  
وأما الألف، فإذا كانت بدلاً من التنوين، أو مع هاء التأنيث، أو كانت للترخم، فلا يجوز أن تكون رؤياً.  
وإذا كانت من السنخ أو كانت زائدة للتأنيث أو للإلحاق، فإن كونها رؤياً جائز، مثل أن تكون القافية  
على: كرى، وبلى، وعصا، والشنفرى، وحبو كرى، وما شاكل ذلك، وهي التي تسمى المقصورة. قال  
الشاعر في ألف السنخ:

أتعب جوناتٍ معاً خفن المساء ... تسعاً وهقلاً بينها يعدو النجا  
وقال:

إن أمير المؤمنين قد بنى ... على الطريق علماً مثل الصوى

## فصل

في اختلاف الحروف والحركات

وما يعاب من ذلك وما لا يعاب

## ذكر التوجيه

قد روي عن الخليل أنه كان يرى اختلاف التوجيه عيباً. إلا أنه يميز الضمة مع الكسرة ولا يميز الفتحة  
معهما. ولم يكن سعيد بن مسعدة والقراء يريان في ذلك بأساً. وقد جاء في أشعار الفصحاء؛ قال الأعشى:  
أتهجر غانيةً أم تلم ... أم الحبل واهٍ بما منجذم  
ثم قال:

وصهباء طاف بموديتها ... فأبرزها وعليها ختم  
وقال أبو ذؤيب:

عرفت الديار لأم الرهي ... ن بين الظباء فوادي عشر  
ثم قال:

فجاء وقد فصلته الشما ... ل عذب المذاقة يسراً خصر  
وقد استعملوا ذلك في المقيد والمؤسس. قال الحطبة:

شافتك أظعان لليلي ... يوم ناظرةٍ بواكر  
ثم قال:

الواهب المائة الهجا ... ن وفوقها وبرّ مظاهر

قال الشيخ أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخي، المعروف بالمعري: هو عندي في المقيد والمؤسس أقبح منه في  
المقيد الجرد، لأنه يختلف الحرف بالحركات بين حرفين لازميين. وليس كذلك في الجرد.

## ذكر الحدو والردف

إذا كان بيت مردفاً وبيتاً لا ردف له، فذلك من السناد، وهو عيب من عيوب الشعر، ولا يجوز، وهو مثل قول الحطيئة:

من الروم والأحبوش حتى تناولا ... بأيديهما مال المازبة الغلف  
ثم قال:

وبالطوف نالا خير ما ناله الفتى ... وما المرء إلا بالتقلب والظرف  
ومنه قول الكسعي:

ندمت ندامة لو أن نفسي ... تطاوعني إذا لقطعت خمسي  
ثم قال:

تبين لي سفاه الرأي مني ... لعمر أبيك حين كسرت قومي

ويجوز في الردف دخول الواو على الياء والياء على الواو، ولا يجوز دخول الألف عليهما، وكذلك في الحدو، ولا يجوز دخول الضمة على الكسرة، والكسرة على الضمة، ولا يجوز دخول الفتحة عليهما. فإن دخلت فهو شاذ. وهو مثل قول عدي:

فوافها رقد جمعت فيوجاً ... على أبواب حصن مصلتنا  
ثم قال:

فقدت الأدم لراهشيه ... وألقى قولها كذباً ومينا  
ومثل قول عبيد:

فإن يك فاتي شابي ... وأمسى الرأس منه كاللجين  
ثم قال:

فقد ألع الحباء على عذارى ... كأن عيونهن عيون عين  
وكقول عمرو بن معد يكرب:

تقول ظعيني لما رآته ... شريجاً بين مبيض وجون  
تراه كالنغام يعل مسكاً ... يسوء الغاليات إذا فليني  
ثم قال:

لصلصلة اللجام برأس مهري ... أحب إلي من أن تنكحني

## ذكر الرسن والتأسيس

لا يجوز اختلاف الرسن ولا اختلاف التأسيس، لأن التأسيس ألف ساكنة مفتوح ما قبلها، فإذا انكسر ما قبلها وانضم خرجت عن كونها ألفاً ولم تكن بتأسيس. فإن وقع ذلك فهو من السناد ولا يجوز. وقد روى

أن العجاج قال:

يا دار سلمى يا سلمى ثم اسلمي ... بسمسم أو عن يمين سمس  
ثم قال:

فخندف هامة هذا العلم

وروي أن رؤبة كان يعيب هذا على أبيه. وحكى عن يونس النحوي أنه كان يهمز العالم على رأي من يرى  
همزه. وإذا صح ذلك فليس سناداً، لأن الهمزة من الحروف السالمة، ولا يكون التأسيس إلا أحد حروف  
الكلمة التي فيها الروي، فإن كانت الألف من غير الكلمة التي فيها الروي، فليست بتأسيس، وهو مثل  
قول العجاج:

ما هاج أحراناً وشجواً قد شجا  
ثم قال:

فهن يعكفن به إذا حجا ... يربض الأوطى وحقف أعوجا  
عكف النبيط يلعبون الفنرجا  
ومثل قول عنتره:

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر ... للحرب دائرة على ابني ضمضم  
الشامي عرضي ولم اشتمهما ... والناذرين إذا لم القهما دمي  
فإن كان ما بعد ألف التأسيس كلمة مضمرة قائمة بنفسها أو متصلة بحرف، كان البيت مؤسساً، فالأول  
مثل قول زهير:

رأيتهم لم يدفعوا بنفوسهم ... منيته لما رأوا أنها هيا  
والثاني كقول الآخر:

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى ... من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا  
قال الشيخ أبو العلاء: وإذا كان التأسيس منفصلاً جاز أن يجعل لغواً، فإن بنيت القصيدة على مثل قولك:  
معطياً ومولياً، ثم جاء فيها: بداليا، لكان ذلك عند أهل العلم جائزاً، وذلك في الاستعمال. قال: وكذلك لو  
بنيت قصيدة أخرى قوافيها: منعماً ومكرماً، لجاز أن يجيء فيها: كما هما، على أن تجعل الألف في كما لغواً.

## ذكر الدخيل والإشباع

يجوز اختلاف الدخيل في ذاته، ولا يجوز اختلاف حركاته. وقد أجازوا الضمة مع الكسرة، لأنهما أختان،  
ولم يجزوا الفتحة معهما، وجاء ذلك في أشعار الفصحاء. قال النابغة:  
فبت كأني ساورتني ضئيلة ... من الرقش في أنيابها السم نافع  
ثم قال:

بمصطحبات من لصفٍ وثيرة ... يزرن إلا سيرهن التدافع  
وقال الهذلي:

لعمر أبي عمرٍ ولقد ساقه الردى ... إلى جدث يوزي له بالأهاضب  
ثم قال:

فلم يرها الفرخان بعد مسائها ... ولم يهدآ في عشها من تجاوب  
وهو كثير في أشعارهم غير معيب.

وأما دخول الفتحة على الكسرة والضمة فهو سناد، ولا يجوز ذلك، مثل قول ورقاء بن زهير:  
رأيت زهيراً تحت كل كل خالدٍ ... فأقبلت أسعى نحوه وأبادر  
إلى بطلين ينهضان كلاهما ... يحاول نصل السيف والسيف نادر  
ثم قال:

فشلت يميني يوم أضرب خالداً ... ويمعنه مني الحديد المظاهر

### ذكر الروي والمجري

لا يجوز اختلاف الروي ولا اختلاف المجري. فإن اختلف الروي فهو الإقواء، وهو عيب لا يجوز، مثل قول  
الراجز:

بازل عامين فتى سني ... لمثل هذا ولدتني أُمي

وأما اختلاف المجري، فهو الإكفاء، وهو من عيوب الشعر ولا يجوز، وهو مثل قول النابغة:

سقط النصف ولم ترد إسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد  
ثم قال:

بمخضب رخص كأن بنانه ... عنم يكاد من اللطافة يعقد

### ذكر الوصل والنفاذ والخروج

لا تختلف حركة الروي إذا كان الوصل واواً، وإذا اختلف حركة الروي، فهو الإكفاء، وهو من السناد،  
ولا يجوز، وقد تقدم تفسيره وأما الهاء فلا تختلف إذا كانت ساكنة، وإذا تحركت واختلفت حركتها فهو  
الإكفاء.

ومن عيوب الشعر: الإبطاء وهو إعادة القافية والمعنى واحد، وهو مثل قوله:

أبي القلب إلا أن تزيد بلابله ... وتحتاج من ذكر الحبيب بلابله

قال الفراء: هو إذا تقارب، وإذا تباعد لم يكن به بأس.

ومن عيوب الشعر: التضمين، وهو ألا يتم البيت إلا بما بعده، ويكون معناه في البيت الذي بعده، وقد

استعمله الفصحاء، قال بشر بن أبي خازم:

وسعداً فسائلهم والرباب ... وسائل هوازن عنا إذا ما

لقيناهم كيف نعليهم ... بواتر يفلقن بيضاً وهاما

وهو كثير في أشعارهم. وبعضه أهون من بعض.

قوله: يتمثل كل ساعة في صورة، ولا يقف على طريقة محصورة، يلبس كل حين إهاب حرف، ويبدو في هيئة وظرف؛ ما ضره لو كان كالوصل والخروج، ولم ينتقل في المنازل والبروج، وأناس ليسوا على الحقيقة بناس، ولا الفكر بذكر لهم ولا بناس؛ أهل نيرب ودد، خفضهم عن السؤدد، خفض ما بعد المائة من العدد، فهم في النسبة أنفار، وفي التجربة أصفار، ربيعهم جماد، وعدهم ثماد؛ وتقدّم عدّة ضمّار، وجوادهم وسكيتهم مضمار، عندهم مريع العالم، دارس المعالم.

الإهاب: الجلد ما لم يدبغ، وهو استعارة في هذا الموضع، لأن كل حرف من حروف المعجم يقع بين ألف التأسيس والروي فهو دخيل. وقد تقدّم ذكره، وكذلك الوصل والخروج، قد تقدّم ذكرهما. والنيرب: النميّة، قال الراعي:

وفي الأقربين ذو أذاة ونيرب

والدد: اللهو، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لست من ددٍ ولا ددٌ مني)، وكذلك الددن أيضاً: اللهو. قال عدي بن زيد:

أيها القلب تعلل بدن ... إن همي في سماع وأذن  
والسؤدد: العلو والشرف.

من العدد: فلا يكون ما بعد المائة إلا مخفوضاً بالإضافة، نحو مائة رجل ومائة امرأة، ومائتا رجل، وثلاثمائة رجل، وما شاكله، فإن نونت وأدخلت النون نصب على التفسير، قال الربيع بن ضبع الفزاري: إذا عاش الفتى مائتين عاماً ... فقد ذهب اللذّاذة والفتاة والنسبة في الحساب الهندي: العدد، كقولك. واحد، اثنان، ثلاثة، وما شاكل ذلك.

والنجرية: الاختبار، قال النابغة يصف السيوف:

تخيرن من أزمان يوم حلّيمة ... إلى اليوم قد جربن كل التجارب

والأصفار: جمع صفر، وهو علامة لخلو تلك المنزلة التي هو فيها من العدد، وهو مأخوذ من صفرت يدها، إذا افتقر، وصر البيت، إذا خلا، وقد تقدّم ذكر ذلك.

والجماد: الأرض التي لم تمطر.

والعد من الماء: ما كانت له مادة فلا تنقطع أبداً.

والثماد: جمع ثمّ وهو الماء القليل الذي لا مادة له فهو ينقطع، قال النابغة:

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت ... إلى حمام شرا وارد الشمد

والضمّار: الوعد الكاذب، قال الراعي:

وأنضاء أنحن إلى سعيد ... طروقاً ثم عجلن ابتكارا

حمدن مزاره فأصبن منه ... عطاء لم يكن علة ضمّارا

والسكيت، بتخفيف الكاف وتشديدها: آخر خليل الحلية وهو العاشر منها، وهي خيل تضمّر للسباق،

يقال للسباق من الخيل: الجلي، وللثاني: المصلي، وللثالث: المسلي. وللرابع: التالي، وللخامس: المرتاح،

وللسادس: العاطف، وللسابع: الحظي، وللتامن: المؤمل، وللتاسع: اللطيم، وللعاشر: السكيت، وهو آخر الخليل سبقاً.

والمضمار: الموضع الذي تضمّر فيه الخيل للسباق، وهو أن يقصر بعد السمن على الحب وعلى الشيء اليسير من العلف.

والمربع: المنزل في الربيع خاصة.

والربيع: المنزل في الربيع وغيره. وجعل منزل العالم مربعاً لما فيه من الفوائد، تشبيهاً بالمنزل في الربيع لما فيه من الخصب.

والمعالم: جمع معلم وهو الأثر، يعني: أن منزل العالم مهجور، وكذلك هو باليمن خاصة. وكان يقال لكل عالم من الناس: عالم بني فلان، وعالم أرض بني فلان، إلا وهب بن منبه، فكان يسمى: عالم الناس، وهو من أبناء فارس باليمن، فذكر وهب يوماً في مجلس الحسن البصري، فقال الحسن: وأي رجل! لكنه وقع بين حاكه. وقيل جاءه العلم بالعراق، وجاءه المال بمصر، وجاءه السلطان باليمن.

ومن أمثال الناس السائرة: قيل للعلم: أين تريد؟ قال العراق، قال العقل: وأنا معك. وقيل للمال: أين تريد؟ قال: مصر، قال البخل: وأنا معك. وقيل للحب: أين تريد؟ قال اليمن، قال الكرم: وأنا معك؛ وكذلك أهل اليمن بهذه الصفة، إلا أن العي غالب لهم.

ولما ظفر الحجاج بعبد الرحمن بن الأشعث، أتى بأيوب بن يزيد البليغ الفصيح، الذي يقال له ابن القرية ابن النمر بن قاسط، وكان ابن القرية، مع ابن الأشعث، فكان له وللحجاج حديث، فسأله الحجاج عن البلدان والأمصار وأهلها فوصفهم له بصفاتهم، حتى انتهى إلى اليمن، فقال له الحجاج: أخبرني عن اليمن؛ قال:

أصل العرب، وأهل السيوتات والحسب، هم الدهماء عدداً، والبكم أبدأً.

قوله: ومربع الأديب، مستوبل جديد.

المرتع: موضع الرثوع، وهو المرعى. قال قيس بن زهير العبسي:

تعلم أن خير الناس ميتٌ ... علي جفر الهباءة لا يريم

ولولا بغيه ما زلت أبكي ... عليه الدهر ما طلع النجوم

ولكن القتي حمل بن بدر ... بغى والبغي مرتعه وخيم

أظن الحلم دل على قومي ... وقد يستجهل الرجل الحليم

ومارست الرجال ومارسوني ... فمعوج علي ومستقيم

والمستوبل: غير الموافق يقال: استوبل الرجل البلاد، إذا لم توافقه في جسمه.

فهما في الاجتراف فعل أمر، وفي الإطراح واو عمرو، أتى بها للفرق بينه وبين عمر، إذا اتسق بالكلام واستمر، واستغنى عنها بدخول الألف، التي جعلت عوضاً في المنصرف ظروف وغي، لا يظفر منهم بالمعي، يصفون رعا البذج والعدان، وكل ورع منهم هدان، بشدة فارس زبيد، وعبادة عمرو بن عبيد.

فهما: يعني: العالم والأديب أنهما موقوفان عن الاكتساب وقوف فعل الأمر، مطرحان عندهم اطرح واو

عمرو.

والاجتراح: الاكتساب، ومنه قوله تعالى: (ما جرحتم بالنهار) وقوله تعالى: (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) ومنه سميت كلاب الصيد: جوارح. قال تعالى: (وما علمتم من الجوارح) ومنه جوارح الإنسان، وهي أعضاؤه التي يكتسب بها، قال الحطيئة:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ... حمر الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت جارحهم في قعر مظلمة ... فاغفر، عليك سلام الله يا عمر

يقال لهذا الفعل: موقوف، ولا يقال له: مجزوم، لأنه لم يدخل عليه عامل فيجزمه، فلما خلى من المضارعة خلا من الإعراب، وأصل البناء للأفعال والحروف إلا ما ضارع الأسماء من الأفعال، فأعرب لمضارعتة إياها. وأما واو عمرو: فإنما زادها الكتاب فرقاً بين مشتبهين، بين عمرو وعمرو، في حال الرفع والخفض، فإذا صاروا إلى النصب حذفوا الواو، لأن الاشتباه قد زال بانصراف عمرو وزيادة الألف منه التي جعلت عوضاً من التوين.

والظروف: جمع ظرف وهو الوعاء، وظروف الإنسان: جسمه، قال المغيرة بن حسان التميمي يهجو أخاه صخرًا:

أبوك أبي وأنت أخي ولكن ... تفاضلت الطبائع والظروف

وأملك حين تنسب أم صدق ... ولكن ابنها طبع سخيف

والغي: الجهل يقال منه: رجل غبي، على فعيل وغي على فعل، وغيابا، ويقال أيضاً: فحل غيابا: إذا لم يهتد للضراب.

والألمعي: الذكي الفطن الذي يعرف الأمور قبل كونها، قال أوس بن حجر:

الألمعي الذي يظن الظن م ... كأن قد رأى، وقد سمعا

نصب الألمعي بفعل متقدم. وكذلك اليلمعي.

والبدج: الصغير من أولاد الضأن، قال أبو محرز الخاربي:

قد هلكت جارتنا من الهمج ... وإن تجع تأكل عتوداً أو بدج

والهمج ههنا، قيل: سوء التدبير في المعاش، وقيل الهمج: الجوع.

والعتود: الصغير من أولاد المعز، وهو ما رعى وقوى، وهو مثل البدج، وجمعه: عدان، والأصل: عتدان،

مثل: قعود وقعدان، فأدغمت التاء في الدال لقرب المخرجين، لأنهما من الحروف النطعية وهي ثلاثة: الطاء

والتاء والدال، ومخرجها من النطع، وهو ما ظهر من غار الفم الأعلى.

والورع: الجبان الهيب، قال الراعي:

فبت أنجو بما نفساً تكلفني ... مالا يهيم به الجثامة الورع

قال ابن السكيت: هو الصغير الضعيف.

والهدان: الأحمق الخامل، وجمعه هذون، قال الراعي يصف الجوارح:

يمشين مشي الهجان الأدم أقبلها ... خل الطريق هدان غير مهتاج  
فارس زبيد: عمرو بن معدي يكرب الزبيدي، وكان أشد الناس وأشجعهم، من مضى منهم ومن غير،  
وكان يقال لكل فارس من العرب: فارس بني فلان، إلا عمرو بن معد يكرب، فيقال له: فارس العرب  
جميعاً، وله أيام في الجاهلية مشهورة، وبقي إلى زمن عمر بن الخطاب. وشهد معه الفتوح، وشهد القادسية  
مع سعد بن أبي وقاص، فأجمعت العرب والعجم على شدته. وله أشعار يتعجب فيها على سعد، منها قوله:  
ألم خيالاً من أميمة موهناً ... وقد جعلت أولى النجوم ثغور  
ونحن بصحراء العذيب ودارها ... حجازية أن الخل شطير  
أكر بباب القادسية معلماً ... وسعد بن وقاص على أمير  
وسعد أمير شره دون خيره ... كثير الشذى كابي الزناد قصير  
تذكر هداك الله وقع سيوفنا ... بباب قديس والمكر عسير  
عشية ود القوم لو أن بعضهم ... يعار جناحي طائر فيطير  
وقال أيضاً:

إذا قتلنا ولم ييك لنا أحد ... قالت قريش ألا تلك المقادير  
ونحن بالصف إذ تدمى حواجبنا ... نعطي السوية مما يخلص السكير  
نعطي السوية من طعن له بعد ... ولا سوية إذ تعطي الدنانير  
وقال أيضاً:

وكانت قريش تحمل البر تارة ... تجاراً فأضحت تحمل السم منقعاً  
واختلف الرواة في موت عمرو، فمنهم من قال: أنه استشهد في بعض فوح عمر، وقال محمد بن الحسن بن  
دريد في كتاب الاشتقاق: أنه مات على فراشه من حية لسعته.

وأما عمرو بن عبيد بن ناب، فأصله من كابل من ثغور بلخ، وهو مولى لآل عرادة من يربوع بن مالك،  
وكان أبوه عبيد من أصحاب شرط بالبصرة، وكان الناس إذا رأوا عمراً مع أبيه قالوا: خير الناس ابن شر  
الناس، فيقول عبيد: صدقتهم، هذا إبراهيم وأنا أزر.

ومن جبله أصحاب الحسن بن أبي الحسن البصري، وكان الحسن إذا ذكر، قال: خير فتیان هل البصرة.  
قال أبو القاسم البلخي: لعمرو فضائل كثيرة لا يجمعها إلا كتاب مفرد، حج أربعين سنة ماشياً وبغيره يقاد  
يركبه الفقير والضعيف والمقطع به، وكان يخي الليل كله في ركعة، فعل ذلك غير مرة في المسجد الحرام.  
وقال أبو جعفر المنصور، لما صلى على قبر عمرو بن عبيد بمران: ما بقي على الأرض أحد يستحي منه.  
ورثاه المنصور فقال:

صلى عليك الله من متوسد ... قبراً مررت به على مران  
قبراً تضمن مؤمناً متحنفاً ... صدق الآله ودان بالقرآن  
فلو أن هذا الدهر أبقى واحداً ... أبقى لنا حقاً أبا عثمان  
وكان عمرو يكنى: أبا عثمان.

وقال بعضهم: إن المنصور أنشد الأبيات وهي لغيره. وذكر العجبي أنها للمنصور.  
وقال المنصور: القيت الحب للناس فلقطوا إلا عمرو بن عبيد، ومعاذ بن معاذ، ثم إن معاذاً أثنى جناحيه  
فلقط.

وكان سفيان بن عيينة يقول: ما رأيت عيني مثل عمرو بن عبيد، وقد رأى التابعين فمن دونهم.  
وقال بعضهم: رأيت عمراً بمكة، فرأيت أنه كان حديث عهد بمصيبة، ثم رأيتته بمعنى، فرأيتته كأنه أحضر للقود، ثم  
رأيتته بعرفة فرأيت رجلاً كان النار لم تخلق إلا له.  
قوله: وفهم حكيم فرهود، وبركة كلیم المهود.  
يعني بحكيم فرهود: الخليل بن أحمد العروضي النحوي وفرهود حي من الأزد بعمان، ويقال لهم الفراهيد  
أيضاً، منهم الخليل بن أحمد هذا، وهم من ولد فرهود بن شبان بن مالك بن فهم أخي جذيمة الأبرش بن  
مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله  
ابن مالك بن نضر بن الأزد ويقال للأسد.

وكان الخليل ذكياً فطناً لطيفاً عالماً، وهو أول من استخراج علم العروض وابتدعه، وفق عيون النحو  
وشرح علله؛ وهو صاحب كتاب العين، الذي هو أصل لكتب اللغة ومنه تفرعت، وكان الخليل شاعراً  
فصيحاً، فقبل له: لم لا تقول الشعر؟ فقال: لأني آبي رديه ويأباني جیده.  
قال ابن قتيبة: أنشدني ابن هاني، قال: أنشدنا سعد بن مسعدة الأخفش للخليل بن أحمد:  
اعمل بعلمي ولا تنظر إلى عملي ... ينفعلك علمي ولا يضرك تقصيري  
قال وأنشدنا له أيضاً:

كفك لم تخلقا للندی ... ولم يك لؤمهما بدعه  
فكف عن الخير مقبوضة ... كما خط عن مائه تسعه  
وأخرى ثلاثة آلافها ... وتسعمئتيها لها شرعه  
وقال أيضاً:

الله صور كفه ... مما يراه فأبدعه  
من تسعة في تسعة ... وثلاثة في أربعة  
وكان الخليل ورعاً ديناً مع علمه، ودرس في علم النحو فبلغ منه مبلغاً ثم رفضه، والخليل أيضاً القائل:  
أبلغ سليمان أي منه في سعة ... وفي غنى غير أي لست ذا مال  
سحا بنفسي أي لا أرى أحداً ... يموت هولاً ولا يبقى على حال  
فالرزق عن قدر لا الضعف ينقصه ... ولا يزيدك فيه حول مختال  
والفقر في النفس لا في المال تعرفه ... ومثل ذاك الغنا في النفس لا المال  
وأما كلیم المهود: فهو عيسى عليه السلام، وأمه هي مريم بنت عمران ابن ماثان بن يعاقيم من ولد داود  
عليه السلام من سبط يهودا ابن يعقوب. وكان زكريا أيضاً من ولد داود. وكان هو وعمران في زمن

واحد. وكانت تحت زكريا أشياح بنت عمران أخت مريم، وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة، وكان زكريا نجاراً، وأشاعت اليهود أنه ركب من مريم الفاحشة. وقتلوا زكريا في جوف شجرة قطعوها وقطعوه معها.

قال ابن قتيبة في كتاب المعارف: ويذكر في الأنجيل أن يوسف بن داود النجار خطب مريم وتزوجها، فلما صارت عنده وجدها حبلية قبل أن يباشرها، وكان رجلاً صالحاً، فكره أن يفشي عليها، وعزم على أن يسرحها خفة، فترأى له ملك في النوم فقال: يا يوسف بن داود: إن امرأتك مريم ستلد غلاماً يسمى عيسى، وهو ينجي أمته من خطاياهم.

ونشأ عيسى في حجر يوسف بن داود، وذهب به وبأمه إلى أرض الخليل، فسكن بها قرية تسمى: نصران، من أرض الشام، وقيل: ناصره، فلذلك قيل: نصارى.

وقد قص الله تعالى في كتابه من خبره وخبر أمه وكلامه في المهدي، وإحيائه الموتى أبين القصص. قوله: (وسخاء أبي عدي، ووقارسيد أهل الوبر في الندى).

الندى والنادي: المجلس، ومنه قوله تعالى: (وتأتون في ناديك المنكر).

وأبو عدي: حاتم بن عبد الله بن سعيد الحشرج الطائي، الجواد، أكرم الناس جميعاً، وأسخاهم، لماضيهم وغابريهم، وكرمه مشهور، يمثل به العالم والجاهل، يزداد جدة على مر الليالي والأيام.

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسايطي، وفيهم جارية ظاهرة الجمال. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: فقلت: لأستوهبتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: يا رسول الله: إني بنت من يشيع الجائع، ويكسو العاري، ويفك العاتي، ويؤثر الجار على نفسه، وما رد طالب حاجة قط، إني بنت حاتم طي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله يحب مكارم الأخلاق، ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه)، وخلي سبيلها.

وابنه عدي بن حاتم، كان يكنى أبا طريف، وكان طوالاً، إذا ركب الفرس كادت رجلاه تخيطان الأرض.

وقدم على عمر بن الخطاب، فكأنه رأى منه جفاء، فقال: أما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ فقال: بلى والله أعرفك، أكرمك الله بأحسن المعرفة: أسلمت إذ كفروا، وعرفت إذ نكروا، ووفيت إذ غدروا، وأقبلت إذ أدبروا، فقال: حسبي يا أمير المؤمنين، حسبي.

وشهد مع علي رضي الله عنه يوم الجمل، ففقت عينه في ذلك اليوم، وقتل ابنه محمد، وقتل ابنه الآخر في قتال الخوارج.

وشهد عدي مع علي عليه السلام صفين، ومات في زمن المختار، وهو ابن مائة وعشرين سنة، وأوصي ألا يصلي عليه المختار.

ولا عقب لعدي بن حاتم من الذكور، وإنما عقب حاتم بن عبد الله الطائي من ولد عبد الله بن حاتم، وهم ينزلون بنهر كربلا.

ودخل رجل على المأمون، فكلمه بكلام أعجبه، فقال: ممن الرجل؟ فقال: من طي. فقال: من أي طي؟ فقال: من ولد عدي بن حاتم. فقال المأمون: ألسلبيه؟ قال الرجل: نعم. فقال المأمون: هيهات أضللت؟! إن أبا طريف لم يعقب.

وأما سيد الوبر: فهو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر التميمي، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد تميم بعد الفتح فأسلم، وكان شريفاً، وسماه صلى الله عليه وآله وسلم: سيد أهل الوبر، وهو الذي رثاه عبدة بن الطيب فقال:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحمها

تحية من غادرته غرض الردي ... إذا زار عن شحط بلادك سلما

فما كان قيس هللكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم قدما

وكان لقيس من الولد ثلاثة وثلاثون ابناً، وكان قيس موقوراً حليماً.

وكان الأحنف بن قيس، واسمه: صخر بن قيس، وقيل: الضحاك بن قيس التميمي أحلم العرب جميعاً.

وقيل للأحنف: ممن تعلمت الحلم؟ فقال: من عمي قيس بن عاصم، والله لقد كان ذات يوم يحدثنا بحديث،

إذا أقبل جماعة معهم قتيل يحملونه وأسير موثق يقودونه، فقالوا لقيس: هذا ابنك قتله ابن أخيك، فوالله ما

حل حبوته ولا قطع حديثه حتى فرغ منه، ثم التفت إلى ابن أخيه فقال: يا بني، والله ما ضررت إلا نفسك،

ولا قطعت إلا يدك، ولا قصصت إلا جناحك، ولا أهنت إلا عضدك. ثم قال لبنيه: حلوا الرباط عن

أخيكم، واذهبوا جميعاً فواروا أحاكم، وادفعوا إلى أمه مائة من إيلي، فإنها امرأة فينا غريبة.

قوله: وبيان شيخ إياد، وقصيد الضليل وزیاد.

يعني بشيخ إياد: قس بن ساعدة الأيادي، وهو حكيم العرب وفصيحتها، وأول: من قال: أما بعد، وكان

على دين المسيح، قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بعكاظ على جمل أحمر وله حديث.

والضليل: كثير الضلال، كما يقال: رجل شريب: كثير الشراب.

وعني بالضليل: امرؤ القيس بن حجر الملك الكندي، وسئل علي رضي عنه: من أشعر الناس؟ فقال: الملك

الضليل. وذكر امرؤ القيس عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ذلك سيد الشعراء وحامل لوائهم

يوم القيامة يده يقودهم حتى يدهدى في النار.

وحكى هذا الخبر الأعشى، فقال: ليت هذا القول قيل لي، وأنا المدهدي في النار.

قال أبو عبيدة: مر لبيد بن ربيعة، بمجلس لنهد بالكوفة، وكان يتوكأ على عصا، فلما جاوزه أمروا فتى

منهم أن يلحقه فيسأله: من أشعر الناس؟ ففعل. فقال له لبيد: الملك الضليل، يعني: امرؤ القيس، فرجع،

فقالوا: ألا سألته: ثم من؟ فرجع فسأله، فقال: صاحب المحجن، يعني نفسه.

وأما زياد: فهو زياد بن عمرو، وهو النابغة الذبياني، وهو من فحول الشعراء. قوله: ووفاء رب الأبلق

الفرد، في الترك المتروك عنده والسرود.

الترك: جمع تركة: وهي البيضة، وبيضة الحديد. قال لبيد يصف درعاً:

فخمة ذفراء ترني بالعرى ... قرد مانياً وتركاً كالبلص

وفحمة: أي ضخمة. وذفراء: منتنة الريح. وترني: أي تشدد. والقردماني: حصن كان له بتيماء. والسموعل بن عادياء وفي العرب، يضرب بوفائه المثل، وكان من خبره: أن امرأ القيس بن حجر الكندي لما سار إلى ملك الروم قيصر مستنصراً على بني أسد، حين قتلوا أباه، مر في طريقه بالسموعل بن عادياء، من السلاح والمتاع، فوجه إلى السموعل رجلاً من أهل بيته، يقال له: الحارث بن مالك في جيش عظيم. فلما دنوا من الحصن، حصن السموعل، أغلق باب الحصن وامتنع فيه. فقال له الحارث: أعطني سلاح امرئ القيس. فقال: لا سبيل إلى ذلك. وكان للسموعل ابن خارج الحصن يتصيد، فظفر به الحارث، فقال للسموعل: إختبر: إما تسليم سلاح امرئ القيس، وإما قتل ابنك؟ فقال: لا أسلم وديعتي أبداً، فاصنع ما أنت صانع. فقتل ابنه، فضربت العرب المثل بوفاء السموعل، فقال كن كالسموعل إذ طاف الهمام به ... في جحفل كسواد الليل جرار بالأبلى الفرد من تيماء منزله ... حصن حصين وجار غير غدار إذا سامه خطي خسف فقال له ... قل ما تشاء فأني سامع حار فقال: ثكل وغدر، أنت بينهما ... فاختر وما فيهما حظ لمختار فشك غير طويل ثم قال له ... اقتل أسيرك إني مانع جاري وقال آخر:

فاعتبر ببن عاديأ أخي الحصن بتيماء من سراة اليهود  
إذ أتاه الهمام فابتاع منه ... خفرة الجار بابنه المودود  
فابتنى بالوفاء مكرمة الدهر ولم يرض باللقا الزهيد

قوله: ويجعلون الخاطي من الهزلي، والشاكي من العزلي، ويحسون أن السراب ما تروى به الظما، أين السراب، من السراب، من الشراب، والآل، من ضحضاح اللآل؟ كم غر خايله جهام، وسر خامله كهام، أذهل من سوائم الأنعام، إلا في كفاية العام، من الشراب والطعام، ومذاهب ضاقت فيها المذاهب، وتضاهى اللص والراهب، أطل منها الفهم، على وهم، وظفر القلب، بخلب، يسندون إلى الأحبار الأخبار، ويولون عن ألباهم الأدبار، ويفندون العقول، بخبر منقول، وهنت منه القوى، وهن الأقوى، وضعف الأسناد، ضعيف السناد، بين طب، داع إلى عطب، يفيد جليسه، تدليسه، ويمح إخوانه، زوانه، قد فتن بيمين راقه، ضمنه أوراقه، يتعلق برواية، من الغواية، وعلّة، من التعلّة، وخلاف، عن الأسلاف، ويحتج بحائف، من الصحائف، وفاتر، من الدفاتر، يتلومنها سطوراً، أصبح عمودها عن الرشد ماطوراً فهي حباله المنمس، وصحيفة المتلمس.

الخاطي: السمين، قال امرؤ القيس:

لها متنتان خطاتا كما ... أكب على ساعديه النمر

أراد خطاتان، فحذف النون استخفافاً، ويقال: أراد خطتا، فرد الألف التي كانت سقطت لاجتماع

الساكين في الواحد لما تحركت التاء. وقال آخر:

خاطي البضع لحمه خطا بظا  
والهزلى: جمع مهزول. قال المرار:  
ترى فصلاينه في الورد هزلي ... وتسمن في المقالي والحبال  
والشاكي: ذو الشوكة وهو الحد في سلاحه. ومنه قوله تعالى: (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم).  
وهو قلب الشاتك.  
والعزلي: جمع أعزل وهو الذي لا سلاح معه.  
والسراب: الذي يكون نصف النهار لاطناً بالأرض، ومنه قوله تعالى: (كسراب بقيعة).  
والآل: الذي يرفع الشخوص بالغدادة في هذا الموضوع. والآل: آل الرجل، وهم أشياعه، وأتباعه وأهل ملته.  
ومنه قوله تعالى: (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب).  
ومنه قول القائل في الصلاة وغيرها: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. قال عبد المطلب ابن هاشم:  
نحن آل الله في بلدته ... لم يزل ذاك على عهد ابرهم  
يريد: إبراهيم الخليل عليه السلام. ويقال: آل الأمير: رعيته إذا ساسها، ومنه قول عمر: قد ألنا وأيل علينا.  
وآل الرجل أيضاً: أهله، وهو من الأول.  
والضحضاح: الماء القريب القعر.  
وخايله: أي راجيه.  
والجهام: السحاب الذي لا ماء فيه. والكهام: السيف الذي لا يقطع، والرجل الكهام: الذي لا جداء  
عنده، هو من الأول.  
والذهول: الغفلة والنسيان. ومنه قوله تعالى: (يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت).  
والسوائم: جمع سائمة، وهي التي ترعى، ومنه قوله تعالى: (فيه تسيمون) والمذاهب: الأولى: جمع مذهب،  
وهو الدين، والمذاهب الأخرى: جمع مذهب: وهو السيرة والقصد.  
والمضاهاة، والمقارنة، والمشابهة: بمعنى واحد، ومنه قول الله تعالى: (يضاهون قول الذين كفروا).  
واللص: الخارب، والخارب: الذي يسرق البعوان خاصة.  
والراهب: واحد الرهبان، وهم العباد.  
وأطل: أي أشرف.  
والقلب: الرجل المقلب في الأمور من عمله بما، يقال: رجل حول قلب، أي متقلب متحول من الحيلة.  
يقال: تحول وتحيل، وبالواو أفصح.  
والخلب: البرق الكاذب.  
والأسناد: النص والرواية.  
والأحبار: جمع حبر، وهو العالم - بكسر الحاء - مشتق من الحبر وهو المداد، لأنه يحفظ العلم، كما يحفظه  
المداد، وقد تفتح الحاء، والكسر أفصح، لأنه يجمع على أحبار.  
والنفيدي: التكذيب ومنه قوله تعالى: (لولا أن تفندون) والقوى: جمع قوة.

والوهن: الضعف، منه قوله تعالى (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) والأقواء والسناد: من عيوب الشعر، وقد تقدم ذكر ذلك.

والطب: العالم. والعطب: الهلاك.

والتدليس: خلط الباطل بالحق. ومنه تدليس البائع السلعة على المشتري، إذا كتم عيبها.

والزوان: الاخلاط الغثة في الطعام من الحنذره وغيرها.

والمين: الكذب.

ويقال: راقه الشيء: إذا أعجبه، يروقه، فهو له رائق.

والتعلة: ما يتعلل به، مثل التحلة: ما يتحلل به. ومنه قوله تعالى (تحلة أيمانكم).

والأسلاف: الآباء والكبراء.

والخائف: المائل.

والقاتر: الضعيف، ومنه فتور العين.

والمأطور: المعطوف. يقال: أطر العود يأطره أطرًا: إذ عطفه، وفي الحديث: (يأطروه على الحق أطرًا)، أي

يعطفوه، وتأطر الريح: تنبيه وانعطافه. قال الشاعر:

ونتم أناس تشمصون عن القنا ... إذا صاد في أكنافكم وتأطرا

الشمص: الطرد، قال الشاعر:

وحث بعيرهم حاد شموص

والمتمس: الذي يتخذ الناموس، والناموس: قتره الصائد.

والمتمس: لقب جرير بن عبد المسيح بن عبد الله الشاعر من بني دوقن من ضبيعة بن ربيعة من نزار،

ويسمى: المتمس، لقوله:

قهدا أوان العرض جن ذبابه ... زنابيره والأزرق المتمس

وكان المتمس ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة هو وطرفة بن العبد، الشاعر، من قيس بن ثعلبة بن عكابة،

من بكر بن وائل، فهجوا عمراً، فمن هجائهما قول طرفة:

إن شرار الملوك قد علموا ... طراً وأدناهم من الدنس

عمرو وقابوس وابن أمهما ... من يأتهم للخنا بمحتبس

يأتي الذي لا تخاف سبته ... عمرو وقابوس قينتا عرس

يصبح عمرو على الأمور وقد ... خضخص ما للرجال كالفرس

فلما علم عمرو بهجائهما إياه: كتب لهما كتابين إلى عامله بالبحرين يأمره أن يقتلهما أقيح قتله، وقال لهما:

قد كتبت بجائرتكما إليه، فانصرفا، حتى إذا صارا في النجف، قال المتمس لطرفة: يا طرفة أنت حدث غر،

وكلنا قد هجا الملك ولا آمن مكره بنا في كتابيه، فهل لك أن تقرأ كتابيه؟ فقال طرفة: هممة الملك أرفع من

هذا، ولو هم بذلك لكان على بابه أعظم لهيبته.

وغدا المتلمس إلى غلام من أهل الحيرة ليقترئه الصحيفة. ومضى طرفه ولم يلو عليه. فلما قص الغلام الصحيفة إذا فيها: أما بعد، فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً. فقال الغلام: ثكلت المتلمس أمه، وهو لا يعرفه. فأخذ المتلمس الصحيفة وخرج لأن يحدث طرفه ويرده فلم يلحقه. فألقى المتلمس صحيفته في نهر الحيرة وقال:

وألقيتها بالنهر من جنب كافر ... كذلك أقو كل قط مضلل  
رضيت لها لما رأيت مدادها ... يجول به التيار في كل جدول  
والثني: ما انثنى من الوادي والنهر، والكافر هاهنا: النهر العظيم، واقنو: أجزى، والقط: الصحيفة والصك،  
والبيت الأول مجزوم.

وهرب المتلمس نحو الشام، وأتى طرفه إلى عامل البحرين، فقتله، فقال المتلمس:  
من مبلغ الشعراء عن أخويهم ... خيراً فتصدقهم بذك الأفس  
أودى الذي علق الصحيفة منهما ... ونجا حذار حياته المتلمس  
ألقى صحيفته ونجت كوره ... عنس مداخلة الفقارة عرمس  
فضربت العرب المثل بصحيفة المتلمس.  
وقد ذكرها الفرزدق في شعره إلى مروان بن الحكم، وذلك أن الفرزدق مدح سعيد بن العاص بشعر يقول  
فيه:

ترى الغر الجحاح من قريش ... إذا ما الأمر بالحدثان عالاً  
قياماً ينظرون إلى سعيد ... كأنهم يرون به الهلالاً  
فقال مروان: ألا جعلتهم جلوساً؟ فقال: لا والله إلا قياماً، وأنت من بينهم صافن، فحقد ذلك عليه مروان،  
وكتب له كتاباً مخموماً إلى بعض عماله يأمره فيه يجلد الفرزدق، فأبى الفرزدق أن يغدو إلى العامل، فكتب  
إليه مروان:

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ... إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس  
أي: الحق بنجد، يقال: جلس: إذا أتى نجداً، فرد عليه الفرزدق:  
يا مرو إن عطيتي محبوسة ... ترجو الحباء وربما لم يبأس  
وأمرت لي بصحيفة مخنومة ... يخشى علي بها حباء النقرس  
ألق الصحيفة يا فرزدق إنما ... نكراء مثل صحيفة المتلمس

قوله وأب، أفرى وما رأب، يلقن وليده، تقليده، يلهم ابنه، افنه، فحفظ الآخر عن الأول، ما ليس عليه  
بمعول، وبعض على بعض زار، وهو مثقل من الأوزار، يرى ضده جاهلاً غيباً، ولو كان صديقاً أو نبياً،  
ويجعل مخالفه مخطياً، وعن اللحاق بالسوابق مبطياً، وبعد سكيته سابقاً مجلياً، لا لاحقاً مصلياً، ومجلى غيره  
فشكلاً، وجليه الواضح مشكلاً، كل يداوي سقيماً من مقاتله، فمن لنا بصحيح ما به سقم؟ غلبت على  
الظن الأهواء، فكل جؤجؤ هواء، واستحسنن الأسواء، فالحسن وضده سواء، كل يؤسس على هار،

ويصل الليل بلا فحار، قد صك بالعمى، صكة عمى، وشغف بالغي، شغف غيلان بمي، بذ الداء كل أس، وأعجز رد العضد من الآس، صمي لقد أغرب هاتف الحمام، وأتى لوي الكمد بإمام، أغت من طرب، أم هتف لغير أرب، لعله فقد غلفاً، فوضع من مر الفراق خلفاً، فهو عروة الحمائم، ومرقشهن الهائم، أو فجع بمديل، موف على البديل، هلك بزعمهم في عصر نوح، وكل حمامة تؤبنه وتروح، تأين متمم لملك، ومرائيه لأخيه الهالك، وعلم ربك ما في الصدور، وحم على الرضا والسخط كل مقدور.

أفرى، يقال: أفرى الرجل الشيء: إذا أفسده، وفراه: إذا أصلحه.

والرأب: الإصلاح، يقال: رأب الشيء يرأبه: إذا أصلحه.

والأفن: قلة العقل، والأفن: إحصاء ما في الضرع من اللبن، قال المخبل التميمي، ثم أحد بني قريع، واسمه الربيع بن ربيعة:

إذا أفنت أروى عيالك أفنها ... وإن حينت أربي على الوطب حينها

والغبي: ذو العباوة، وهي قلة الفطنة، يقال: غبي عن الأمر يغبو عباوة، وقال أبو عبيد: غبيت الشيء أغباه، وغبي علي مثله.

والصديق: كثير التصديق، مثل الشريب: كثير الشراب، وما شاكله، ومن ذلك سمي أبو بكر الصديق: لكثرة تصديقه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ذلك قوله تعالى: والصديقين والشهداء والصالحين). وأما النبي: ففيه وجهان، إذا همزته فهو من الأنباء، وهو الأخبار عن الله عز وجل، وإذا شددته ولم تمززه، فهو من النبوة، والنباوة: وهو الارتفاع، والنبي: الطريق، النبي: المكان المرتفع، قال أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة الأسدي:

على السيد الصعب لو أنه ... يقوم على ذروة الصاقب

لأصبح رقماً دقاق الحصى ... مكان النبي من الكائب

الكائب هنا: اسم جبل فيه رمل، وحوله رواب يقال لها النبي، الواحد: ناب، مثل غار وغرى، يقول: لو قام فضالة على الصاقب، وهو جبل، يذلل لسهل له حتى يصير كالرمل الذي في الكائب، ونصب مكان على الظرف، ويقوم: بمعنى يقام. والرتم: الكسر والدق.

والسكيت والجلي والمصلي: من خيل الحلبة، وقد تقدم ذكر ذلك، والفشكل: هو السكيت.

والجؤجؤ: الصدر، والهواء: الذي لا عقل له؛ قال زهير:

كأن الرحل منها فوق صعل ... من الظلمان جؤجؤه هواء

والتأسيس: البناء. والهار: المنهدم، وهو الهائر أيضاً، يقال هار البناء يهور، وهور، والهار: إذا انهدم، ومنه قوله تعالى: (فانهار به في نار جهنم).

وصكة عمي: نصف النهار، يقال إن رجلاً من العرب يقال له عمي أغار على قوم نصف النهار فأخذهم،

فسمي ذلك الوقت صكة عمي. والشغف: أشد الحب، ومنه قوله تعالى (قد شغفها حباً) أي بلغ الحب

شغفها، والشغاف: غلاف القلب.

وأما غيلان: فهو غيلان بن عقبة، وهو ذو الرمة الشاعر. ومي: المرأة التي يشيب بها، وهي من ولد طلبة بن

قيس بن عاصم المنقري.

وبذ الداء: أي غلب الداء. والآسي: المداوي، يقال: أسا بأسو، فهو آس، أي داوى، فهو مداو.

والعضد: الشجر المقطوع، قال عبد مناف بن ريع الهذلي:

فالطعن شغشغة والضرب هيعة ... ضرب المعول تحت الديمة العضدا

الشغشغة: حكاية صوت الطعن. والهيعة: حكاية صوت الضرب بالسيف. والمعول: الذي يبني عالة، وهي شجرة يقطعها الراعي فيستظل به. وقال: تحت الديمة: لأنه أسمع لصوته إذا ابتل. والمعول: الذي يتخذ العالة. والعالة: شبه الظلة يستظل بها عن المطر.

والآس: الرماد في هذا الموضع. والآس أيضا: الهدس.

ويقال للداهية: صمي صماء، مثل جذام وقطام، مبنى على الكسر، أي: زيدي.

ويقال: أغرب الرجل، إذا أتى بالغريب، وكذلك غيره. والكمد: الحزن. والطرب: خفة تصيب الإنسان من

شدة الفرح أو شدة الغمر. والأرب: الحاجة في هذا الموضع، وكذلك الأربة والمأربة، بفتح الراء وضمها.

والأرب أيضاً: العلم والعقل، قال أبو العيال الهذلي في عبد بن زهرة:

يلف طوائف الفرسا ... ن وهو بلفهم أرب

والإلف: الصاحب، وكذلك الأليف. قال الشاعر:

وكل أليف فاقد لأليفه ... ومعترف بالين حتى البهائم

والخلف والطبي: الضرع، وجمعه أخلاف وأطباء.

وعروة ومرقش: رجلان من الشعراء. والهائم: المشتاق في هذا الموضع. والهائم: العطشان، والهيام: العطش،

والهيم: الإبل التي أخذها الهيام، وهو داء.

والهديل: الذكر من الحمام، ويسمى أيضاً: ساق حر. قال حميد بن ثور الهلالي:

وما هاج هذا الشوق إلا حمامه ... دعت ساق حر ترحه وترنما

وحم: أي قدر. وأحم: أي دنا. قال:

حيبا ذلك الغزال الأحما ... إن يكن الفراق أجما

والعرب ترعم أن هديلاً كان في عصر نوح صاده خارج من جوارح الطير، فكل حمامة تبكي عليه من ذلك

الوقت إلى آخر الدنيا.

والموفى: الزائد في هذا الموضع، والموفى: المشرف. والبديل: البدل. والتأبين: مدح الميت. والتقريظ (بالطاء

والضاد المعجمتين): مدح الحي.

وأما متمم: فهو متمم بن نويرة اليربوعي الشاعر، وله مرات كثيرة في أخيه مالك بن نويرة، منها قوله:

وكنا كندماني جديمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

قلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ومنها قوله:

وقالوا: أتبكي كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك  
فقلت لهم: إن الأسي يبعث الأسي ... دعوني فهذا كله قبر مالك  
الأسي الأول: جمع أسوة وهي التعزية، ومنه قوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة).  
والأسي الثاني: الحزن، وهو مصدر أسي يأسى: إذا حزن، ومنه قوله تعالى: (لكيلاً تأسوا على ما فاتكم).  
وكان مالك بن نويرة ممن قتل في الردة، قتلته خالد بن الوليد، وتزوج امرأته، وقتل من قومه مقتلة عظيمة،  
وبهذا السبب سخط عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد.  
ودخل متمم بن نويرة على أبي بكر، وهو يصلي بالناس، وكان متمم رجلاً ذميماً أعور، فاتكأ على سية  
قوسه ثم قال يرثي أخاه مالكا:

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت ... خلف الستور قتلت يا ابن الأزور  
فقال أبو بكر: زد، فبكي متمم وانحط على سية قوسه حتى دمت عينه العوراء، ثم قال:

لا يمسك العوراء تحت ثيابه ... حلو شمائله عفيف المتر  
ولنعم حشو الدرع كنت وخاسراً ... ولنعم مأوى الطارق المشور  
فقام إليه عمر بن الخطاب، وقال: لوددت أني رثيت أخي بما رثيت به أخاك.  
فقال له متمم: رفه عنك أبا حفص، فلو صار أخي حيث صار أخوك ما رثيته.  
فقال عمر: ما عزائي أحد عن أخي يمثل تعزيتك.

وكان زيد بن الخطاب استشهد يوم مسيلمة.

قوله: إلا أنه سلم من كفر وإسلام، وتحصن عن الملام بأحصن لام، وتحلى بأطواق، لم تبع في الأسواق،  
واستشار جديلاً بمذل، ناء عن العدل، وترنم بأوزان، مسلية عن الأحران، لا يضفر من العروض إلى ميزان،  
وصدح بقريض، عزب عن الغريض، ورجع بألحان حسان، كررها بإحسان، وعري من خطل الإنسان.  
اللام: جمع لأمة، وهي الدرع الحصينة، مهموز، ويجوز تخفيفه والجدل: الفرج.  
والمذل: اذاعة السر. والعدل: وهو اللوم. والترنم: الصوت.

والأوزان: جمع وزن، وهو استواء حروف أبيات الشعر بغير زيادة ولا نقصان.  
والقريض: الشعر، يقال منه: قرض يقرض: إذا قال الشعر، وقرضه يقرضه: إذا حاذاه، ومنه قوله تعالى:  
(وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال)، قال ذو الرمة:

إلى ظعن يقرضن أجواز مشرف ... شمالاً وعن أيماهن القوارس

المشرف والقوارس: موضعان، يقول: نظرت إلى ظعن يجزن بين هذين الموضعين، مشرف: اسم رمل.  
ويقال: صدح الطائر: إذا صوت.

وعزب: أي غاب، ومنه قوله تعالى: (لا يعزب عنه مثقال ذرة).

والغريض ومعبد: رجلا كانا يحسان الغناء.

والترجيع: ترديد الصوت في الحلق.

والألحان: جمع لحن، وهو الصوت في هذا الموضع.

والألحان: المعاني، واحدهن: لحن، ومنه قوله تعالى (ولتعرفنهم في لحن القول) أي في معناه، واللحن بالتحريك: الفطنة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (لعل أحدكم ألحن بحجته من بعض): أي أفطن، قال مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري:

وحديث ألدّه هو مما ... يععت الناعتون يوزن وزنا

منطق رائع ويلحن أحيا ... نأ وخير الحديث ما كان لحنا

يريد: إنها تتكلم بشيء وهي تريد غيره، وتعرض في حديثها فتريله عن جهته من فطنتها وذكائها، كما قال الله عز وجل: (ولتعرفنهم في لحن القول)، أي فحواه ومعناه.

واللحن: الخطأ في الكلام، وهو إزالة الإعراب عن معناه.

والخطل: المنطق الفاسد، والفحش، ومنه سمى الأخطل الشاعر.

قوله: ما فعلت قدما العرب في عبادة الأوثان، وليس مع الله في الإلهية شريك ثان، وما سنت جهالهم في الجاهلية، على قبر الميت من صبر البلية، وارتباط الفرس أو المطية، وعد ترك ذلك من الخطية، كيلا يصبح ذلك الميت بين الركبان ماشياً، إذا هب إلى الجمع يوم يعث الناس عاشياً.

الأوثان: جمع وثن، وهي حجارة كانت تعبد من دون الله، وكانوا يتقربون بعبادتها إلى الله عز وجل، وقد ذكر الله ذلك في كتابه عز وجل، حيث يقول: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى).

وأول من دعا العرب إلى عبادة الأوثان، وغير دين إسماعيل: خزاعة، واسمه عمرو بن لحي، واسم لحي ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي، وهو أول من بحر البحيرة، وسبب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمل الحامي، وقد ذكر الله ذلك في كتابه بقوله: (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام). وكان لبني حنيفة في الجاهلية صنم من حيس فعبدوه دهرًا طويلاً، ثم أصابتهم مجاعة فأكلوه، فغيرهم العرب بذلك قال الشاعر:

أكلت حنيفة ربها ... زمن التقحم والمجاعة

لم يحدروا من ربهم ... سوء العواقب والتباعة

أحنيف هلا إذ جهلت م ... صنعت ما صنعت خزاعة

نصبوه من حجر أصم م ... وكلفوا العرب اتباعه

وقال رجل من بني تميم:

أكلت ربها حنيفة من جوع ... قديماً بها ومن أعواز

واطلع رجل من العرب يوماً على صنم لهم فرأى عليه ثعلباً يول، فقال:

أربُّ يول الثعلبان برأسه ... لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وصبر البلية: حبسها، ومنه قوله تعالى: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي).

والمصبورة - التي نهي عنها في الحديث - هي الخبوسة على الموت، ومنه قولهم: قتل صبراً، إذا حبس على القتل حتى يقتل.

والبلية: الفرس أو الناقة تحبس عند قبر صاحبها ولا تعلف ولا تسقى حتى تموت، وهي من سنن الجاهلية

على موتاهم، ليركبها صاحبها يوم البعث، وكانوا يرون ذلك ديناً. قال جريبة ابن أشيم الفقعسي يوصي ابنه:

يا سعد إما أهلكن فأنني ... أوصيك إن أخوا الوصاة الأقرب  
لا تتركن أباك يعثر خلفهم ... تعباً يجز على اليدين وينكب  
ولقل لي مما جعلت مطية ... في الهام أركبها إذا ما ركبوا  
ويقال: هب النائم، إذا استيقظ من نومه هباً؛ وهبت الريح هبوباً، وهب التيس: إذا هاج وصاح، هبياً،  
وهبت الناقة في سيرها: إذا تساقطت فيه وتمافتت هباباً، قال لبيد:  
فلها هباب في الزمام كأنها ... صهباء راح مع الجنوب جمامها  
ويقال: عشوت إليه: أي استدلت إليه ببصر ضعيف، قال الحطيئة:  
مضى تأته تعشو إلى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقد  
ويقال أيضاً: عشوت إليه: أي قصدته، وعشوت عنه: أي صدت عنه، ومنه قوله تعالى (ومن يعيش عن  
ذكر الرحمن).

وكان لقوم من العرب أيضاً في الجاهلية أديان غير عبادة الأوثان.  
فكانت اليهودية في حمير، وبني كنانة، وبلحرت بن كعب، وكندة.  
وكانت النصرانية في ربيعة وغسان، وبعض قضاة.  
وكانت الجوسية في تميم، منهم زرارة بن علس التميمي، وابنه حاجب بن زرارة، وكان تزوج بنته، ومنهم  
الأقرع بن حابس، وكان مجوسياً، والأسود جد وكيع بن حسان، كان مجوسياً.  
وكانت الزندقة في قريش، أخذوها من الحيرة.

## المذاهب

وسنذكر في هذا الموضوع جملة من عيون المذاهب، مختصرة تكون سبباً لنظر الناظر وتذكراً، ونقتصر منها  
على المذاهب المشهورة، والمقالات الماثورة، ونسند كل مذهب منها إلى أول من ابتدعه، وسنه لمن بعده  
وشرعه.

ونقتصر على أئمة الأديان وأربابها، ومصنفي الكتب وأصحابها، ولا نتعدى الأصول إلى الفروع، ولا نذكر  
التابع اكتفاء بذكر المتبوع، ونبين اختلاف المختلفين من الأنام، في معرفة المعبود والإمام، فما اختلافهم في  
سوى هذين الوجهين، فاختصرناه خوفاً أن يطول به الكتاب، لو ذكرناه، والله الموفق للصواب، والمسدد لما  
يرضيه من العمل في جميع الأسباب.

اعلم أن الناس اختلفوا في معرفة الصانع، فقال بعضهم: العلم محدث، لما فيه من دلائل الحديث، من التأليف  
والصوير، والحركة والسكون، وذلك دليل على أن له صانعاً قديماً بخلافه.

وقال بعضهم: هو قديم، لأنهم لم يشاهدوا شيئاً إلا من شيء، كالإنسان لا يكون إلا من نطفة، والطائر لا  
يكون إلا من بيضة، وإنما يقع نمو ذلك باعتدال الحر والبرد، والرطوبة واليبس، ويقع فسادها بإفراط أحدها

فيه.

ثم اختلف من قال بقديم العالم.

فقالت الهولانية - أرسطاليس، ومن قال بقوله هيولى - : له قدم، وتفسير الهيولى: أصل الأشياء، مثل القطن للثوب، هو هيولى له، والهيولى هو المدبر للعالم، وهو أصل له لم يزل، وقوة معه، فالعالم لن يفك من عرض وجوهر، فالجوهر هو القابل للأعراض؛ والهيولى حرك القوة، فحرك البرد، ثم حركها فحدث الحر، فقبلهما الجوهر؛ والجوهر قديم معه؛ واعتلوا في ذلك: أنهم يرون الإنسان ضعيفاً؛ ثم يرونه قوياً، والذات قائمة بعينها، فعلموا أن القوة لمعنى الحدث، والضعف لمعنى الحدث؛ ودليلهم على الجوهر أنه قابل للأعراض: أن البشرة يحدث فيها الألوان، وهي قائمة بعينها، وذلك دليل على أن العين غير الألوان، والطعوم؛ ودليلهم على الفعل: أنك ترى الإنسان قد يحدث الفعل بعد إذ كان غير فاعل له، والفعل عرض، كذلك يجوز أن يحدث الهيولى أعراضاً هو غيرها، ولا يقال: كيف حدث هذا الفعل؟ كما لا يقال: كيف حدثت هذه الحركة من الإنسان؟ وقالت الأطباء - جالينوس، ومن قال بقوله - : أربع طبائع لم يزل العالم منها: الحر والبرد والرطوبة واليس، قياساً على تأثيرها في المشاهد.

وقالت الفلاسفة: أربع طبائع لم تزل، وخامس معها بخلافها، والدليل على ذلك: أنهم لما رأوا الشيء لن ينقلب عن حاله التي كان عليها، مثل النار لن تقلب رطوبة أبداً ولا برداً؛ وكذلك هذه الأربع الطبائع لما كانت غير محتازة للفعل، فلما احتاجت؛ فهي بحالها الأولى لن تنتقل عن طباعها؛ فلما رأوا الاحتياز والتمثيل، علموا أن ذلك المختاز المثل هو الخامس.

وقالت الجوهرية: جوهر قديمة واحدية الذات، وإنما اختلفت على قدر التقاء أجزاء الجوهر وحركاتها، فإذا كان جزءان كان ذلك حرماً، فإذا كان ثلاثة صار برداً، فإذا كان أربعة صار رطوبة، وعلى هذا المثال، واثبتوا الحركات، وزعموا أن حركة قبل حركة إلى ما لا نهاية. وقال أصحاب الجنة: إن العالم كله لم يزل بصورة تفلقت هذه الجنة عنها؛ فكان الخلق كاملاً فظهر، وأنكروا أن يكون كانت غير صورة، فيحتاج إلى مصور.

وقال هرموس: أربع طبائع وخمس لم تزل - مثل مقالة الفلاسفة - وأثبت العالم ساكناً لم يحرك، والسكون عنده ليس بمعنى والحركة معنى؛ ودليله على ذلك: أنه لما وجد الفعل هو الحركة، وهو زوال عن المكان، فوجده لا يبقى زمنين، ووجدته ليس بمحبوس ولا مدرك، وهو فعل، كان محالاً أن يكون السكون فعلاً، لأن السكون لبث في المكان، ولو كان فعلاً، كان يكون زوالاً، كما أن الفعل الزوال.

وقال بلعم بن باعور: إن العالم قديم، وإن له مدبراً بخلافه من جميع المعاني، وأثبت الحركات، فقال: إن الحركة الأولى هي الحركة الثانية معادية، وإن الجسم يبقى الأزمنة، والحركة لا تبقى، فمحال أن يكون الحديث كالتقديم، وإن النفس معنى سادس غير الحواس الخمس.

وقال بعض اليونانية: أربع طبائع لم تزل، وخامس بخلافها، وفضاء، والفضاء عندهم ليس بجسم، وأنه مكان الأشياء، وأنه ليس بمعنى، وقالوا: بل حركات، على مثل مقالة أصحاب الجوهرية.

وقال بعض اليونانية الآخرون - وهم أصحاب الأسطون - : بمثل مقالة بلعم بن باعور، إلا أنهم زعموا أن العالم لم يزل متحركاً بحركت لا نهاية لها، وادعوا ذلك من قبل أنهم أنكروا حدث شيء في العالم، وأنكروا أن تكون الحركة لها أول وآخر، لأنها لو كان لها أول وآخر، ثبت حدث العالم، لأنه غير مفك منها. وقالت السمينية من الهند: العالم قديم كله، إلا أنهم لا يدرون أكان الإنسان قبل النطفة، أو كانت النطفة قبل الإنسان؟ لأنهم لم يروا إنساناً إلا من نطفة، ولا نطفة إلا من إنسان، ولا يدرون أيهما قبل صاحبه إلا أن لهما أولاً، وأن أحدهما مولد عن الآخر؛ وقالوا: لا موجود إلا ما وقعت عليه الحواس، وأنكروا الأعراض. وقالت السوفسطانية: لا حقيقة للأشياء، وإنما هي خيالات، وليس لها صفات، ولا حالات متغيرات، ولا يقال: موجودة ولا معدومة، قياساً على ما يرى، ولا حقيقة له.

وقالت الشكاك: يثبت الحواس، وزعم أنه محال أن يكون شيء إلا من شيء، مثل السنبلة، محال أن تكون إلا من الحبة والهواء والأرض والماء، واستحال أن يصور الشيء عندهم نفس، فقالوا: لا ندرى، أقدمية أم محدثة؟ اختلاف الثنوية وقالت المانية - أصحاب ماني، وهو سرياني - : الأصل شيئان قديمان، وهما جسمان محدودان، نور وظلام خلافتان، سمعان بصيران، عالمان، كل واحد منهما في نفس اسم خمسة معان: اللون والطعم والرائحة والخسة والصوت، وإتفا كانا غير ممتزجين، ثم امتزجا فحدثت الصور لامتزاجها، فالنور فاعل الخير، والظلام فاعل الشر، والدليل على ذلك: أنهم وجدوا الذات الواحدة لا يكون فيها فعالان متضادان، مثل النار لا يكون فيها التبريد، والثلج لا تكون منه الحرارة والشيخين كذلك فاعل الخير غير فاعل الشر، وفاعل الشر غير فاعل الخير، وأتفا كانا قبل الامتزاج متماسين على مثل الظل والشمس؛ وليس في مذهبه ذبيحة ولا نكاح.

وقالت الديصانية: شيئان قديمان خلافتان، أحدهما حي، والآخر موات، فالحي هو النور الحساس الدارك، وهو يؤثر ما كان في العالم من جنسه، من الخير والحياة، والموات هو الظلام، الذي لا ينتقل إلا بالنور، وهو يؤثر ما كان في العالم من جنسه من الموت والشر، وكل واحد منهما معنى في نفس، ولون كل هو طعمه، وهو رائحته، وهو صوته، وهو شيء واحد، ودليلهم على قدمهما استحالة حدث شيء إلا من شيء قبله، ودليلهم على حياة النور: تنقل الشمس وحركتها، والظلام قائم بحاله.

وقالت المرقونية - أصحاب يعقوب بن مرقيون - ثلاثة أشياء قديمة: شيئان نور وظلام، فالنور فاعل الخير، والظلام فاعل الشر، وثالث معدل بينهما ليس من جنسهما، وهما مصطلحان على فعله. وهم يرون النكاح وأكل اللحم، ويكرهون الذبيحة لما فيها من الألم.

وقالت الماهانية - أصحاب ماهان وهو فارسي الأصل - : بمثل مقالة المرقونية، إلا أنهم وافقوا المانية في كراهية النكاح والذبائح.

وقال الصابون: شيئان قديمان: نور وظلام، فالنور عالم، والظلام جاهل، لأن النور يدخل على الظلام، ولا يدخل الظلام عليه، وذبحوا ونكحوا، وصاحبهم قابيل، وهو سرياني الأصل، وقيل إن الصابئين قوم يعبدون الملائكة، وقيل: إن الصابئين قوم يخرجون من دين إلى دين.

وقالت الصامونية: بمثل ما قاله الصابئين في النور والظلام، إلا أنهم خالفوا الصابئين في الذبائح والنكاح،

وصاحبهم صلحون، وهو سرياني الأصل.  
وقالت الكنعانية: الأصل ثلاثة: الماء والأرض والنار، ثم امتزجت هذه الثلاثة، فصار منها مدبران: خير وشر،  
وهم يرون النكاح، وصاحبهم كينان وهو سرياني الأصل.  
وقال الحرائيون - وهم عبدة النجوم - : مقالة ألمانية، إلا أنهم زعموا: أن المدبرات للعالم: السبعة الأفلاك،  
والبروج الأثنا عشر.  
وقال المرادكة - أصحاب مزدك الفارسي - : بمثل مقالة ألمانية، إلا أنها نكحت وسفكت الدماء، وكان  
مزدك في وقت قباد بن فيروز بن يزيد جرد الملك الفارسي، فخرج مزدك، ومن قال بقوله، على قباد، فقالوا:  
إن الله جعل الأرض لعباده بالسوية، فنظالم الناس، واستأثر بعضهم على بعض، ونحن قاسمون بين الناس،  
ورادون على الفقراء حقوقهم في أموال الأغنياء.  
وقالت الجوس وهم ثلاثة أصناف: الجرمدينية والهرايزة والموابذة.

فقالت الجرمدينية: أصل العالم النور، إلا أنه مسخ بعضه بعضاً لما غضب، فاستحال المسوخ ظلمة، فالخير  
من النور، والشر من الظلمة، والأصل واحد، وهو النور، وذبحت ونكحت.  
وقالت الهرايزة: الصانع واحد قديم، وهو نور، وليس كمثلته في النور والعظمة والقدره والعلم، والطول  
والعرض، شيء، وإنه هم همة فتولد منها الظلام، فهو إبليس، فمنه جميع الشرور، وذبحت ولم تنكح،  
وصاحبهم زرادشت، وهو فارس الأصل.  
وقالت الموابذة - وهم قضاة الجوس وأصحاب خزائن كتبهم وعلومهم - : بقدم النور والظلام، وإنهما  
سميعان بصيران، إلا أن بينهما جواً، وهو مكان لهما فيه جولانهما، ورأوا النكاح على طريق الترويج، ورأوا  
الذبح للبهائم، وقالوا بنبوة زرادشت.  
وقالت الدهرية: بقدم العالم، وقدم الدهر، وتدبيره للعالم، وتأثيره فيه، وأنه ما أبلى الدهر من شيء أحدث  
شيئاً آخر؛ وقد حكى الله عنهم ذلك في كتابه بقوله عز وجل: (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا  
وما يهلكنا إلا الدهر). فإنما يعني به، الذي يقضي عليكم بما تنسبونونه إلى الدهر، وللعرب أشعار كثيرة في ذم  
الدهر، منها قول الشاعر:

الدهر أبلائي وما أبليتة ... والدهر غيرني وما يغير

والدهر قيدي بقيد مبرم ... فمشيت فيه وكل يوم يقصر

وقال صنف من البراهمة، وهم ثلاثة أصناف: العالم قديم، وله مدبر قديم، منيب معاقب، يفرح ويحزن،

ويرضى ويغضب، وإنه ليس من جنس العالم، وليس على الخلق طاعة غير المعرفة.

فهذه أقوال من يثبت أول العالم وقدمه من الملحدين، وهم ستة وعشرون صنفاً اختلاف من قال بحدوث  
العالم.

وقال صنف من البراهمة: العالم محدث - على مقالة المسلمين - إلا أنهم قالوا: إن الصانع حكيم، وليس من  
صفة الحكيم أن يبعث الرسل إلى المعلوم منه خلاف القبول، لأنه متى فعل ذلك كان عابثاً منقوصاً جاهلاً،

والله يتعالى عن ذلك، وقالوا بالتوحيد، وأبطلوا الرسل والكنب، وقالوا: ليس بين الله وبين خلقه واسطة غير العقل، وإنما هو شيء رآه العقلاء، فمن أراد أن يجعل نفسه نبياً، فليفعل، وقالوا: لا يجب على الخلق إلا معرفة الله وترك المظالم.

وقال صنف آخر من البراهمة: العالم محدث، وله محدث، إلا من مديرات العالم: السبعة الأفلاك، والبروج الاثنا عشر، وإمامهم برهم، وهو هندي الأصل. وقالت اليهود: العالم محدث وله محدث، ثم اختلفوا على أربعة أصناف: الجالوتية، والعنانية، والأصفهانية، والسامرية.

فقالت: الجالوتية - أصحاب رأس الجالوت - : بالتشبيه، وذلك أنهم ادعوا أن معبودهم أبيض الرأس واللحية، واحتجوا بأنهم وجدوا في سفر دانيال أو سفر شعيا رأيت قدم الأيام قاعداً على كرسي من نور وحوله الأملاك، فرأيت أبيض اللحية والرأس، والجالوتية يقولون: إن الله تعالى ملك الأرض يوسف بن يعقوب ونحن وارثوه والناس ممالك لنا.

وقالت العنانية - أصحاب عنان - : بالتوحيد ونفي التشبيه، كما قالت المعتزلة من المسلمين. وقالت الأصفهانية: بالتشبيه، مثل الجالوتية، إلا أنها زعمت أن عزيزاً ابن الله على جهة النبي، كما اتخذ الله إبراهيم خليلاً.

وقالت السامرية: مثل مقالة العنانية، إلا أنها زعمت أنه لم ينبا من الأنبياء إلا موسى ويوشع بن نون. وقالت النصارى: بحدث العالم وأن له محدثاً، ثم اختلفوا أربع فرق: اليعقوبية، والنسطورية، والفولية، والملكانية.

فقالت اليعقوبية: إن الله لم يكن مجسم فتجسم، ولم يكن في مكان فصار في مكان متجسداً متناسياً، بعد أن كان غير متجسد ولا متناس، وهو المسيح، ودليلهم في ذلك أنهم قالوا: لما كان قادراً على الزيادة في حدثه، كان قادراً على الزيادة في ذاته، ولو لم يقدر على الزيادة في ذاته لكان عاجزاً، وهو القادر على ما يشاء. وقالت النسطورية: إن الله تعالى ثلاثة أقانيم، وهو أقوم واحد، الأب والابن وروح القدس، كهولك الله الرحمن الرحيم، والمعنى واحد، كالشمس لها حر وضوء وذات، وهي شيء واحد، وأنه لم يزل لاهوتاً قائماً في مكان، ثم اتخذ ناسوتاً، وهو المسيح، فصار له مكان لإظهار الصنع والتدبير، ومعنى اللاهوت: الإله، والناسوت الذي انتقل إليه، هو الإنسان.

وقالت المالكانية: إن الله أقوم واحد، إلا أنه اسم لثلاثة معان: الأب والابن والجوهر، والجوهر عندهم روح القدس، ومعناهم في قولهم: أب وابن وجوهر، أي بدن وروح وكلام، وإن له علماً هو غيره، وإنه لم يزل قديماً معه.

وقالت الفولية: قولك الله، اسم لمعنى واحد، والعلم غيره، وهو قديم معه، وزعمت أن المسيح ابن الله على جهة النبي والحب، كما اتخذ الله موسى نبياً، وإبراهيم خليلاً.

وقال أصحاب التناسخ منه بزرجهر بن بختكان الفارسي ومن قال بقوله: ياثبات الصانع ونفى التشبيه،

ودوام الدنيا على الأبد. قالوا: لأن الصانع الحكيم لا يوصف بالبدوات، ولا يهدم ببيان الحكمة. قالوا: ولا يفعل ذلك إلا عابث. وقالوا بدوام التعبد، وهو معرفة الله تعالى، وترك المظالم، وبدوام الثواب والعقاب، فالثواب انتقال أرواح المحسنين إلى الأبدان الأنسية، والعقاب انتقال أرواح المسيئين إلى أبدان البهائم والسباع والهوام، ويقولهم قال خالد الهمذاني.

وقالت الفضاوية: يحدث العالم، وأن له محدثاً، وهو الفضاء، ثم افترقوا بفرقتين: فقالت فرقة منهم: العالم محدث، وله صانع، وصانعه قديم، وهو الفضاء، وهو جسم طويل عريض، مكان للأشياء، والأشياء فيه وتحتاج إليه، لأنهم لا يعقلون إلا ما كان عريضاً طويلاً، وإنه أكبر من كل شيء، ولا يجوز أن يكون شيء أكبر منه، وبعض الأجسام تغيب عن بعض، ولا يغيب عنه شيء منها.

وقالت فرقة منهم: صانع العالم: فضاء، ليس بجسم، والأشياء فيه، ودليلهم على أنه ليس بجسم: أن جميع الأجسام تحتاج إلى أمكنة، وهو لا يحتاج إلى مكان، ويجوز عليها الزوال والتغيير، ولا يجوز عليه. وقالت كفار العرب: يحدث العالم، وأن له محدثاً، وهم صنفان: فقال صنف منهم، وهم عبدة الأوثان: صانع العالم قديم، إلا أنه مستغن عن عبادة خلقه، ولا يقوون على عبادته، وإنما يعبدون الأوثان لتقربهم إليه، وقد حكى عنهم ذلك بقوله عز وجل: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وأثبتوا المعاد، والثواب، والعقاب. وقال صنف منهم: صانع العالم قديم، متفضل غير معذب، وإنه يخلق خلقاً ويتفضل عليهم، ثم يميتهم، ويخلق خلقاً بعدهم على الدوام، بغير غاية ولا نهاية، وأنكروا المعاد والبعث، وقد ذكرهم الله تعالى في كتابه بقوله: (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بل يري لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير).

فأما المسلمون، فهم ست فرق: المعتزلة، والمرجعية، والشيعية، والخوارج، والحشوية، والعامية، وهم مجموعون على حدث العالم ووحدانيته، ثم اختلفوا بعد ذلك في معبودهم. فقالت المعتزلة كلها، والخوارج، والمرجعية، إلا أبا حنيفة، والزيدية من الشيعة، إلا سليمان بن جرير، فإنه خالف في العلم: إن الله تعالى واحد ليس كمثل شيء، ولا تدركه الأبصار في دنيا ولا آخرة، ولا تكيفه العقول، ولا تضبطه الأوهام، ولا تمثله القلوب، ولا تحده الأفكار، ولا تقطعه المقادير، ولا تقع عليه مساحة، وإنه غير جسم، ولا له حدود، ولا أقطار، ولا يجوز عليه التنقل من مكان إلى مكان، ولا من حال إلى حال.

وقال أبو حنيفة، وضرار بن عمرو، ومن قال بقولهما: أنه يدرك في المعاد، بحاسة سادسة؛ وقالوا: لن يكون شيء موجود إلا وله أنية ومأنية، وعلمك بالأنية غير علمك بالمأنية، وذلك أن تسمع الصوت، فتعلم أن له مصوتاً، ويجهل ما هو، فعلمك بما هو، غير علمك بأن له مصوتاً.

وقال سليمان بن جرير الرقي من الزيدية: بنفي التشبيه، إلا أنه زعم أن الله عالم شيء، لا هو هو، ولا هو غيره وإنه وعلمه قائم معه؛ قال: ولا يجوز أن يكون عالم بغير علم، ولا يجوز أن يكون الشيء علم نفسه، ولا يجوز أن يكون علم الله غيره، لأنه لو كان غيره، لكان عالماً بغيره، ووقع التباين بينهما.

وقالت الجهمية - من الحجرية أصحاب جهنم بن صفوان الترمذي - بنفي التشبيه وزعموا أن العلم محدث؛ قالوا: ولا يجوز أن يقال إن الله شيء، ولكنه منشئ الشيء؛ قالوا: لأنه لم يقع اسم الشيء إلا على مخلوق،

ولا يكون الله تعالى بصفة الخلق. وقالوا: لم يزل العالم على أنه يكون علمه، كما لم يزل الخالق على أنه يكون بخلقه.

وقالت الإسماعيلية من الجعفرية: إن الله لا شيء، ولا لا شيء، لأن من قال: إنه شيء، فقد شبهه، ومن قال إنه لا شيء، فقد نفاه؛ فقالوا فيه بالنفي والإثبات جميعاً.

وقال هشام بن الحكم من القطيعة ومن قال بقوله: هو شيء جسيم، لا طويل ولا عريض، نور من الأنوار، له قدر من الأقدار، مصمت ليس بما فوق ولا متخلل، وهو كالسنبللة والذرة، يتلألأ من كل نواحيه. وقالوا: لا يعقل شيئاً إلا موجوداً أو معدوماً، والموجود عندهم ما كان جسيماً محتملاً للصفات، وما خرج من الصفات، فهو عندهم عدم خارج من الوجود. وقالوا: لم يكن في مكان، ثم أحدث المكان فاستوى بحادث الحركة.

وقالت الجواقلة - منهم هشام بن سالم، وشيطان الطلق، ومن قال بقولهما - : هو صورة من الصور على صورة الإنسان، إلا أنه نور من الأنوار، ليس له لحم ولا دم، وله حواس؛ قالوا: ولا يعقل عالماً أبداً يدرك علماً، إلا بالحواس، وأحالوا أن يوصف بغير ما تحيط به أو هامهم.

وقالت المقاتلية - من الجبرة أصحاب مقاتل بن سليمان - : هو لحم ودم، وله صورة كصورة الإنسان؛ قالوا: لأننا لم نشاهد شيئاً موسوماً بالسمع والبصر والعقل والعلم والحياة والقدرة، إلا ما كان لحمًا ودمًا. وقالت الحشوية: هو واحد ليس كمثله شيء، ومعنى ذلك، أي ليس كمثله شيء، في العظمة والسلطان والقدرة والعلم والحكمة، وهو موصوف عندهم بالنفس واليد والسمع والبصر، وحجتهم في ذلك من الكتاب قوله تعالى: (يد الله فوق أيديهم) وقوله: (ويحذركم الله نفسه) وقوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) وقوله: (وكان الله سميعاً بصيراً).

وقالوا: لا تدركه الأبصار في الدنيا، ولكنها تدركه في الآخرة، ويحتجون بقوله تعالى: (إنهم عن ربهم يومئذ لحجوبون) وقوله: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ويقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (سترون ربكم يوم القيامة، كما ترون القمر ليلة أربع عشرة).

فهذه خمسون مقالة من اختلاف الناس في صانعهم عز وجل. وأما اختلاف المسلمون في الإمامة.

فقالت المعتزلة والخوارج، إلا النجدات، والشيعية، وأكثر المرجية: إن الإمامة فرض واجب من الله تعالى يجب على المسلمين إقامتها، وإن الناس لا يصلحون إلا على إمام واحد يجمعهم، ويمنع بعضهم من بعض، وينفذ أحكامهم، ويقيم حدودهم، ويغزوا بجيوشهم. ويقسم فيأهم، وغنائمهم، وصدقاتهم بينهم.

وقالت الحشوية، وبعض المرجية والنجدات من الخوارج: إن الإمامة ليست لازمة، ولا واجبة، ولكن إن أمكن الناس أن ينصبوا إماماً عدلاً من غير إراقة دم ولا حرب، فحسن، وإن لم يفعلوا ذلك، وقام كل رجل منهم بأمر منزله، ومن يشتمل عليه من ذوي قرابة ورحم وجار، فأقام فيهم الحدود والأحكام على كتاب الله وسنة نبيه، جاز ذلك، ولم يكن بهم حاجة إلى إمام، ولا يجوز إقامة السيف والحرب.

وافترق المشتون للإمامة: بم تستحق؟ فصاروا ثلاث فرق: فقالت فرقة: هي بالشورى، وهم جميع الأمة إلا الشاذ القليل.

وقالت فرقة: هي بالقربى والوراثة.

وقالت فرقة: هي بالنص.

فأما من يقول بالشورى: فقالت المعتزلة، والمرجية، والخوارج، وبعض الحشوية، والحزيرية، والبترية، وهما فرقتان من الزيدية: إن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لم ينصا على رجل بعينه واسمه، فيجعلوه إماماً للناس، وإن الإمامة شورى بين خيار الأمة وفضلاتها، يعقدونها لأصلحهم لهم، ما لم يضطروا إلى العقد قبل المشورة، لفتى يخاف حدوثه على الأمة، فإذا خافوا وقوع ذلك، وبادر قوم من خيار الأمة وفضلاتها، أو رجلاً من عدو لها وأهل الشورى، فعقدوا الإمامة لرجل يصلح لها ويصلح على القيام بها، ثبتت إمامته، ووجبت على الأمة طاعته، وكان على سائر الناس الرضاء.

ثم اختلف الذين أوجبوا الأمامية: هل يجوز كون إمامين، أو أكثر في وقت واحد؟ فقال بعضهم: لا يجوز ذلك، لما فيه من الاختلاف والانتشار.

وقال بعضهم: يجوز كون إمامين وثلاثة، وأكثر من ذلك، في البلدان المتقاربة، في وقت واحد.

ثم اختلفوا في إمامة المفضول: فقال أهل الشورى جميعاً، إلا الشاذ القليل منهم: إن الإمامة لا يستحقها إلا الفاضل الذي يعرف فضله، وتقدمه على جميع الأمة في خلال الخير، إلا أن تحدث علة، أو يعرض أمر يكون فيه نصب المفضول للإمامة: أصلح للأمة، وأجمع لكلمتها، وأحقن لدمايتها، وأقطع لاختلافها، ولطمع العدو فيها؛ أو يكون في الفاضل علة، تمنعه من القيام، كالمريض ونحوه؛ فإذا كانت الحال كذلك، فالمفضول أحق بها من الفاضل، ولا يجوز أن يولي الفاضل على هذه الحال.

قالوا: ولن يجوز أن يكون المفضول عطلاً من الفقه والعلم، أو معروفاً بريبة، أو سوء، بل يكون خيراً فاضلاً من عداد العلماء، وإن كان في الأمة من هو خير أو أفضل أو أعلم منه.

وقال سليمان بن جرير، والبترية من الزيدية: إذا كان الحال بهذه الصفة، فإقامة المفضول جائزة، وهي هدى وصواب، غير أن إقامة الفاضل على كل حال أفضل وأصوب وأصلح.

وقال قوم من المعتزلة، منهم عمرو بن بحر الجاحظ، وأكثر الشيعة، وأكثر المرجية: إن الإمامة لا يستحقها إلا الفاضل على كل حال، ولا يجوز أن تصرف إلى المفضول ما وجد الفاضل.

ثم اختلفوا فيها: فيمن تكون من الناس؟ فقال بعض المعتزلة، وبعض المرجية، وجميع الخوارج، وقوم من سائر الفرق: إن الإمامة جائزة في جميع الناس، لا يختص بها قوم دون قوم، وإنما تستحق بالفضل والطلب، وإجماع كلمة أهل الشورى.

وقال إبراهيم بن سيار النظام، مولى بلحارث بن عباد من بني قيس بن ثعلبة، وهو أحد فرسان المتكلمين، ومن قال بقوله من المعتزلة وغيرهم: الإمامة لأكرم الخلق وخيرهم عند الله، واحتجوا بقوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا الآية). قال: فنادى جميع خلقه الأحمر

منهم والأسود، والعربي والعجمي، ولم يخص أحداً منهم دون أحد، فقال: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، فمن كان أتقى الناس لله، وأكرمهم عند الله، وأعلم بالله، وعملهم بطاعته، كان أولاهم بالأمامة، والقيام في خلقه، كائناً من كان منهم، عربياً كان أو عجمياً.

قال مصنف الكتاب: وهذا المذهب الذي ذهب إليه النظام، هو أقرب الوجوه إلى العدل، وأبعدها من الخبايا.

وقال بعض المعتزلة والمرجئة: هي في قريش، ما وجد فيهم من يصلح لها، فإن لم يوجد فيهم من يصلح لها، جازت في الفضلاء من سائر الناس.

وقال الشيعة: لن تخرج من قريش، ولن تخلو قريش ممن يصلح للقيام بها.

وقال ضرار: إن الأعجمي أولى بها من العربي، لأن إزالته أهون وأيسر، متى احتيج إلى ذلك. فهذا قول الشورى.

وقالت الراوندية: إن أولى الناس بالأمامة، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عمه العباس بن عبد المطلب، لأنه أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسباً وأمسهم بهم رحماً، وأولاهم بميراثه في مقامه، واحتجوا بقول الله تعالى: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)، قالوا: ولا إمامة في النساء بالإجماع، فيكون لفاطمة إرث في الإمامة، ولا ولد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الرجال لقول الله تعالى: (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم)، ولا يرث بنو العم وبنو البنت مع العم شيئاً، فيكون لعلي ولوليد فاطمة إرث مع العباس في الإمامة، فصار العباس وبنوه أولى بها من جميع الناس بهذه الوجوه.

وقال مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة:

أني يكون وليسَ ذلك بكائِنٍ ... لبني البناتِ وِرَاثةَ الأعمامِ

ولهذا السبب قالت الجعفرية: هي متوارثة في ولد الحسين، ولا يرث العم مع البنت شيئاً.

واختلف الذين قالوا: إن الإمامة بالنص، على ضربين: فمنهم من قال: إنها منصوصة بالتسمية، منصوصة بالإشارة والوصف ومنهم من قال: إنها منصوصة بالتسمية والتعيين.

فقال قوم من المرجئة، والحشوية: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نص على أبي بكر بالإشارة والصفة، ودل على إمامته واستخلافه بما أمره به من الصلاة بالناس، وبغير ذلك مما روه من الأخبار.

وقال قوم من الحشوية: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نص على إمامة أبي بكر بالتسمية، والتعيين، ونصبه للناس واستخلافه.

وقالت الشيعة كلها: إن علياً عليه السلام كان أولى الناس بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعده، وأحقهم بالأمامة والقيام بالأمر في أمته، وأجمعوا على ذلك. ثم اختلفوا في فرق: سبئية، وسحابية، وغرابية، وكاملية، وزيدية، وإمامية.

فقال السبئية - عبد الله بن سبأ، ومن قال بقوله - : إن علياً حي لم يموت، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويرد جميع الناس على دين واحد قبل يوم القيامة.

وقال عبد الله بن سبأ للذي جاء بنعي علي عليه السلام إلى المدائن: لو جئتنا بدماعه في صورة لعلمنا أنه لا يموت، حتى يسوق العرب بعصاه.

فقال ابن عباس - وقد ذكر له قول ابن سبأ - : لو علمنا ذلك ما زوجنا نساءه، ولا اقتسمنا ميراثه. وقالت السحابية: إن علياً لم يموت وإنه معبودهم، وإنه تشبه للناس في صورة علي عليه السلام، وإن البرق سيفه، والرعد صوته، وقد قال فيهم الشاعر:

برئت من الخوارج لست منهم ... ومن قول الروافض وابن داب  
ومن قومٍ إذا ذكروا علياً ... يردون السلام على السحاب

وقالت الغرابية: إن علياً عليه السلام أشبه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الغراب بالغرَاب، فغلط جبريل عليه السلام حين بعث بالرسالة إلى علي لشبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقال الكاملية - أصحاب ابن كامل، ومن قال بقوله - : كفرت الأمة وضلت، بصرفها الأمر إلى غير علي، وكفر علي - وحاشا له من الكفر - بترك للقيام، والدعاء إلى نفسه، والجهاد على إمامته، وتضييع الوصية بالأمر التي أوصي بها إليه.

وافترقت الزيدية ثلاث فرق: بترية، وجريرية، وجارودية.

فقالت البترية: إن علياً عليه السلام كان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأولاهم بالإمامة، وأن بيعة أبي بكر وعمر ليست بخطأ، لأن علياً عليه السلام سلم لهما بمنزلة رجل كان له حق على رجل فتركه له، ووقفت في أمر عثمان، وشهدت بالكفر على من حارب علياً؛ وسموا البترية، لأنهم نسبوا إلى كثير النوى، وكان المغيرة بن سعد يلقب كثيراً بالأبتر.

وقالت الجريرية: إن علياً كان الأمام، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن بيعة أبي بكر وعمر، كانت خطأ لا يستحق عليه اسم الكفر، ولا اسم الفسوق، وإن الأمة قد تركت الأصلح، وبرئت من عثمان سبب إحداثه، وشهدت عليه وعلى من حارب علياً بالكفر.

وقالت الجارودية: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نص على علي عليه السلام بالإشارة والوصف، دون التسمية والتعيين، وإنه أشار إليه، ووصفه بالصفات التي لم توجد إلا فيه، وإن الأمة ضلت وكفرت بصرفها الأمر إلى غيره، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نص على الحسن والحسين عليهما السلام بمثل نصه على علي، ثم الأمام بعد هؤلاء الثلاثة ليس بمنصوص عليه، ولكن الإمامة شورى بين الأفاضل من ولد الحسن والحسين، فمن شهر منهم سيفه، ودعا إلى سبيل ربه، وباين الظالمين، وكان صحيح النسب، من هذين البطينين، وكان عالماً زاهداً شجاعاً، فهو الإمام.

وافترقت الجارودية في نوع آخر ثلاث فرق: أ - فرقة زعمت أن محمد بن عبد الله النفس الزكية بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب لم يموت، ولا يموت، حتى يملأ الأرض عدلاً، وأنه القائم المهدي المنتظر عندهم؛ وكان محمد بن عبد الله خرج على المنصور فقتل بالمدينة.

ب - وفرقة زعمت أن محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، حي لم

يمت، ولا يموت، حتى يملأ الأرض عدلاً، وأنه المهدي المنتظر عندهم؛ وكان محمد بن القاسم هذا خرج على المعتصم بالطالقان فأسره المعتصم، فلم يدر بعد ذلك كيف كان خبره.

ج - وفرقة زعمت أن يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن لمي بن أبي طالب حي لم يموت، وأنه القائم المهدي المنتظر عندهم، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً؛ وكان يحيى بن عمر هذا خرج على المستعين، فقتل بالكوفة.

هذه رواية أبي القاسم البلخي عن الزيدية، وليس باليمن من فرق الزيدية غير الجارودية وهم بصنعاء وصعدة وما يليهما.

ومنهم فرقة، يقال لها الحسينية يقولون: إن الحسن بن القاسم بن علي ابن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب حي لم يموت، ولا يموت، حتى يملأ الأرض عدلاً، وأنه القائم المهدي المنتظر عندهم؛ وكان قتل يوم السبت الرابع من شهر صفر سنة أربع وأربعمائة، وكان مولده في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة سنة، قتله همدان في موضع من أعمال صنعاء. ويقولون في الحسين هذا: إنه أفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كلامه أجبر من كلام الله، ومعنى: أجبر عندهم من كلام الله: أي أقطع لخصوم الملحد من كلام الله؛ ويروون أن من لم يقل بقولهم هذا فيه فهو من أهل النار.

ثم اختلفوا فرقتين: فرقة تزعم أنه يأتيهم في السر ولا ينقطع عن زيارتهم، في حال مغيبه، وأنهم لا يفعلون شيئاً إلا بأمره.

وفرقة تبطل ذلك، ويقولون: إنه لا يشاهد بعد الغيبة، إلى وقت ظهوره وقيامه، وإنما هم يعملون بما وضع في كتبه.

وقالت الإمامية جميعاً: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نص على إمامة علي عليه السلام باسمه وعينه ونسبه، ونصبه للناس إماماً واستخلفه وأظهر الأمر في ذلك إلى غيره، وإن الإمامة ضلت وكفرت بصرفها الأمر إلى غيره.

ثم اختلفت الإمامية فرقتين: فقالت فرقة منهما: إن الإمام بعد علي ابنه الحسن بن علي، ثم الحسين بن علي، ثم ابنه محمد بن علي الباقر وهو ابن الحنفية، وهذه الفرقة تسمى الكيسانية.

وقالت الفرقة الثانية: إن الإمام بعد الحسين بن علي: ابنه علي بن الحسين، ثم محمد بن علي الباقر وهو أبو جعفر.

ثم اختلفت الكيسانية ثلاث فرق: فقالت فرقة منهم تسمى الكريية - أصحاب أبي كرب الضريو والسيد الحميري - : إن محمد بن الحنفية حي لم يموت، مقيم بجبال رضوى بين ملكين في صورة أسد وتمر يحفظانه من عن يمينه وشماله يأتيه رزقه بكرة وعشياً، وإن الله تعالى يبعث إليه كل يوم ملائكة تحادثه وتحمل إليه من ثمار الجنة ما يأكله. وإنه القائم المهدي المنتظر عندهم، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وإن الجبال لم تخلق إلا من أجله، والله فيه تدبير عجيب، لا يعلمه غيره.

وبعض الكربية تقول: إنما فعل به ذلك عقوبة له على ركونه إلى عبد الملك ابن مروان وبيعته إياه، قال الشاعر الكربية:

يا شعيب رضوى ما لمن بك لا يرى ... وبنا من الصباية أوثق  
حتى متى وإلى متى وكم المدى ... يا ابن الوصي وأنت حي ترزق  
وقال شاعرهم:

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة الأمر أربعة سواء  
عليّ والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط لبس بهم خفاء  
فسبطٌ سبط إيمان وبر ... وسبطٌ غيبته كربلاء  
وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء  
تغيب لا يرى عنا زماناً ... برضوى عنده غسل وماء  
وقال شاعرهم أيضاً:

ألا قل للوصي فدتك نفسي ... أطلت بذلك الجبل المقاما  
أضر بمعشرٍ والوك منا ... وسموك الخليفة والأماما  
وعداوا فيك أهل الأرض طراً ... مقامك عنهم ستين عاما  
وما ذاق ابن خولة طعم موتٍ ... ولا وارت له أرضٌ عظاما  
هدانا الله إذ جرتم لأمرٍ ... به وعليه تلتمس التماما  
تمام مودة المهدي حتى ... تروا راياتنا تترى نظاما

وكان محمد بن الحنفية تحول إلى الطائف، هارياً من عبد الله بن الزبير، فمات بالطائف، سنة إحدى ومائتين وهو ابن خمس وستين سنة.

وقالت الفرقة الثانية من الكيسانية - وهم أصحاب الرجعة، حيان السراج ومن قال بقولهم - : إن محمد بن الحنفية ميت بجبال رضوى، وإنه يرجع إلى الدنيا، ويبعث قبل يوم القيامة، ويبعث معه شيعته، فيملك بهم الدنيا، ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ولا تقبل التوبة ممن خالفه، وإن الله تعالى عناه بقوله: (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل).

وقالت الفرقة الثالثة من الكيسانية: إن محمد الحنفية قد مات، وإنه أوصى إلى ابنه عبد الله بن محمد وهو أبو هاشم، وهو الإمام بعده، فهلك أبو هاشم ولا عقب له، وكان عظيم القدر.

ثم افترق أصحاب أبي هاشم من بعده خمس فرق: فقالت فرقة منهم: إن أبا هاشم أوصى إلى ابن أخيه الحسن بن علي بن محمد ابن الحنفية، وإنه الإمام بعده، وإن الحسن بن علي أوصى إلى ابنه علي بن الحسن، وإنه الإمام بعد أبيه؛ فهلك علي بن الحسن ولا عقب له، فهم ينتظرون رجعة محمد ابن الحنفية إلى الدنيا، بعد موته، ويقولون: أنه سيرجع قبل يوم القيامة ويملك، فهم في التيه لا إمام لهم بعده إلى أن يرجع محمد بن الحنفية.

وقالت الفرقة الثانية من أصحاب أبي هاشم: إن الإمام بعد أبي هاشم: محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وإن أبا هاشم صار بأرض السراة بعد متصرفه من الشام، فأوصى إلى محمد بن علي، فهو الإمام بعده، ثم أفضت الخلافة إلى بني العباس بوصية بعضهم إلى بعض. ثم افرقت هذه الفرقة فرقتين: فرقة يقال لها: المسلمية: زعمت أن أبا مسلم الخراساني، حي لم يموت، وتسمى أيضاً: الحرمية.

قال أبو القاسم البلخي: وعندنا منهم بيلخ قوم يستحلون المحارم، على ما بلغني عنهم. وفرقة تقول يموت أبي مسلم.

وقالت الفرقة الثالثة من أصحاب أبي هاشم، وهم الحزبية: إن أبا هاشم أوصى إلى عبد الله بن حرب الكندي، وإنه الإمام بعده، وإن روح أبي هاشم تحولت فيه، ووقفوا على كذبه فرفضوه فذهبوا إلى المدينة يلتمسون إماماً، فلقبهم عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فدعاهم إلى إمامته، فأجابوه وقالوا بإمامته، وادعوا أن أبا هاشم أوصى إليه.

وكان عبد الله بن معاوية يقول: إنه رب، وإن العلم ينبت في قلبه، كما تنبت الكمأة والعشب، وإن الأرواح تتناسخ، وإن روح الله كانت في آدم ثم نسخت حتى صارت فيه، فعبدته شيعته، وكفروا بالقيامة، وزعموا أن الدنيا لا تبقى، واستحلوا الخمر والميتة وغيرهما من المحارم، وتأولوا قول الله تعالى: (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا).

فلما هلك عبد الله بن معاوية، افرقت الحزبية بعده فرقتين: أ - فرقة قالت: إنه حي بجبال أصبهان، ولا يموت حتى يلي أمور الناس، ويملاً الأرض عدلاً، وإنه المهدي المنتظر عندهم. ومنهم من يقول: حتى يقود نواصي الخيل مع المهدي.

ب - وفرقة قالت: إنه مات، فبقوا بعده مذنبين لا إمام لهم.

وقالت الفرقة الرابعة من أصحاب أبي هاشم: إن أبا هاشم أوصى إلى بيان بن سمعان التميمي، وإنه الإمام بعده، وليس لبيان أن يوصي بها في عقبه، ولكنها ترجع إلى الأصل؛ وكان بيان بن سمعان يقول: إن الله تعالى على صورة الإنسان وإنه يهلك ويبقى وجهه، لقوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه)، وادعى أنه يدعو الزهرة باسم الله الأعظم فتجيئه؛ فبلغ خبره خالد بن عبد الله القسري فقتله.

وقالت الفرقة الخامسة من أصحاب أبي هاشم: إن الإمام بعد أبي هاشم علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، ثم اجتمعت هذه الفرقة من أصحاب أبي هاشم على إمامة أبي جعفر الباقر مع الفرقة التي قالت: إنها في ولد الحسين، فصاروا فرقة واحدة.

ثم اختلفوا فصاروا ثلاث فرق: جعفرية ومنصورية ومغربية.

فقالت الجعفرية: إن الإمام بعد محمد بن علي الباقر ابنه جعفر بن محمد.

ثم افرقت الجعفرية ست فرق: ناووسية، وإسماعيلية، وشمطية، وفحطية، وجواقية، وخطابية.

فقالت الناووسية: إن جعفر بن محمد حي لم يموت، ولا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها ويملاًها عدلاً، وإنه القائم المهدي المنتظر عندهم؛ ونسبت هذه الفرقة إلى رجل من أهل البصرة يقال له: ابن ناووس، كان

ذا قبر فيهم.

وقالت الإسماعيلية: إن جعفرًا نص على ولده إسماعيل أنه الإمام بعده، وجعل الوصية إليه، لأنه كان أسن ولده وآثرهم عنده، فمات إسماعيل في حياة أبيه.

ثم افتردت الإسماعيلية فرقتين: أ - فقالت فرقة منهم: إن الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل وإنه حي لم يموت، ولا يموت حتى يملك الأرض، ويكون إماماً بعد أبيه، واحتجوا بأن جعفرًا قال: ما كان الله ليدوا له علي في إمامة إسماعيل.

ب - وقالت الفرقة الثانية من الإسماعيلية - وهم يسمون المباركية نسبوا إلى عظيم من عظمائهم يسمى المبارك - : إن الإمام بعد جعفر ابن ابنه محمد بن إسماعيل بن جعفر، لأن جعفرًا كان جعل الأمر والوصية لإسماعيل دون سائر ولده، وأن إسماعيل قد مات في حياة أبيه وأوصى إلى ولده محمد بن إسماعيل بمقامه من أبيه، فصار محمد ولي عهد جده جعفر، دون عمومه، فلما مات جعفر استحق محمد الإمامة بعده بذلك. ثم افتردت المباركية فرقتين: أ - فقالت فرقة منهم: إن محمد بن إسماعيل بن جعفر حي لم يموت، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً، وإنه القائم المهدي المنتظر عندهم، واحتجوا بروايات لهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن سابع الأئمة قائمهم.

قالوا فالسبعة: علي، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، والسابع محمد بن إسماعيل بن جعفر.

ب - وقالت الفرقة الثانية من المباركية: إن محمد بن إسماعيل قد مات، وإن الإمامة في ولده من بعده. ثم اختلفت هذه الفرقة في الحاكم بأمر الله.

فقالت فرقة: إنه قتل في شعب من شعاب المقطم ليلاً، وكان يركب إليه كل ليلة، ويتفرد فيه. وقالت الفرقة الثانية: إنه حي لم يموت، ولا يموت حتى يملك جميع الأرض ويملاًها عدلاً، وإنه المهدي المنتظر عندهم.

وقالت الشمطية من الجعفرية: إن الإمام بعد ابنه محمد بن جعفر، وإن الإمامة من بعد محمد في ولده، وقد كان خرج محمد بن جعفر وهو المعروف بدباجة... على المأمون، ثم أسر وأتى به المأمون فعفا عنه وتوفي بخرجان، وله عقب، ونسبت هذه الفرقة إلى رجل من كبرائهم يقال له: يحيى بن أبي شط.

وقالت الفطحية: إن الإمام بعد جعفر ابنه عبد الله بن جعفر، وكان أكبر من خلف من ولده، وسحوا الفطحية، لأن عبد الله كان أفتح الرأس، وأفتح القدم، أي عريضها، قال الراعي يصف جمالاً:

له عنقٌ عاري الخال وكاهلٌ ... كلوح اليماني ذو أساس أفتح

والخال: فقار الظهر. والكاهل: ما بين العنق إلى الظهر. والساس: أطراف الفقار.

وقيل: إنما نسبوا إلى رجل من رؤسائهم يسمى: عبد الله بن فطح؛ وتسمى الفطحية أيضاً: العمارية، نسبوا إلى رجل من عظمائهم يقال له: عمار الساباطي.

قال أبو القاسم البلخي: والفطحية أعظم فرق الجعفرية، وأكثرهم جمعاً؛ قال: وقد مال إلى العمارية خلق

كثير من الزرارية.

والزرارية كثر الشيعة فقهاً وحديثاً، قال: والفتحية يزعمون أن زرارة ابن أعين كان على مقاتلتهم وإنه لم يرجع عنها، وزعم بعضهم أنه رجع عنها حين سأل عبد الله بن جعفر عن مسائل فلم يجد عنده جوابها، فتركه وقال بإمامة موسى بن جعفر.

وقال بعضهم: لم يأت به، ولكنه أشار إلى المصحف وقال: هذا إمامي.

ثم أن الفتحية بعد موت عبد الله بن جعفر قالوا بإمامة أخيه موسى بن جعفر، وقالوا: هو الإمام من بعد عبد الله بن جعفر، ودخلوا في القطعية.

وقالت الجوالقية: إن الإمام بعد جعفر ابنه موسى بن جعفر، وإن جعفر نص على إمامة موسى عند جمهور شيعته.

ثم افرقت الجوالقية بعد حياة موسى بن جعفر الثانية، فصاروا ثلاث فرق: فقالت فرقة منهم: إن موسى بن جعفر قد مات، وقطعوا على موته فسموا: القطعية.

وقالت فرقة: إن موسى بن جعفر حي لم يميت، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً، وإنه القائم المهدي المنتظر عندهم، وهذه الفرقة تسمى: الواقفة وتسمى أيضاً: المطورة. لأن رجلاً منهم ناظر يونس بن عبد الرحمن، وهو من القطعية، فقال له يونس: لأنتم أنتن علي من الكلاب المطورة.

وقالت فرقة: لا ندري أمات موسى بن جعفر أو لم يميت، إلا أنا مقيمون على إمامته حتى يصح أمره لنا، وأمر هذا المنسوب، يعنون ولده.

ثم افرقت القطعية فرقتين: أ - فقالت فرقة منهما: إن الإمام بعد موسى بن جعفر ابنه علي بن موسى، وإن الإمام بعد علي بن موسى محمد بنعلي بن موسى، ومات أبوه علي وهو ابن أربع سنين، وقيل ابن ثمان سنين. فاختلف الذين قالوا بإمامة محمد بن علي، فقال بعض المؤتمين به: إنه كان إماماً في حال صغره واجب الطاعة عالمًا بما تعلمه الأئمة من الأحكام والحلال والحرام، وغير ذلك من أمور الدين، يجب استفتاؤه في الحوادث، ويصلح لما يصلح له غيره من الأئمة؛ وقالوا: ليس كبر السن من شرائط الإمامة.

وقال بعضهم: إنه كان في تلك الحال إماماً، على أن الأمر له وفيه دون سائر الناس، ولا يصلح للإمامة في وقته أحد غيره، فإما يجتمع فيه في تلك الحال ما اجتمع في الأئمة المتقدمين من خلال الإمامة فلا. قالوا: ولا يجوز أن يؤمهم في الصلاة، ولا يجب استفتاؤه في الحوادث في ذلك الوقت، وإنما يتولى ذلك غيره من أهل الصلاح منهم إلى وقت إدراكه، وقالوا بعد ذلك: إن الإمام بعد محمد ابن علي ابنه علي بن محمد، وإن الإمام بعد علي ابنه الحسن بن علي وهو المعروف بالعسكري، ومات العسكري، وهو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى ابن جعفر بن محمد، في شهر ربيع الأول لثمان خلون منه، سنة ستين ومائتين، ولا ولد للعسكري، فاختلف عليه أمره، فقالوا: إن له ولداً مكتوماً يظهره الله عز وجل إذا شاء، وإنه القائم المهدي المنتظر عندهم، وإن خواص شيعته تعرفه وتلقاه، وإنه يظهر إذا شاء الله.

وروا أخباراً عن أسلافهم أن الأئمة من آل محمد اثنا عشر إماماً لا يزيدون ولا ينقصون، أولهم علي ثم

الحسن ثم الحسين، ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي بن محمد ثم الحسن بن علي العسكري.  
قالوا: فهؤلاء أحد عشر إماماً، والثاني عشر هو ولد العسكري هذا المستور الذي ادعوه، وهو المهدي المنتظر عندهم.

وهؤلاء يسمون: القطعية والإثني عشرية، وهم أكثر الشيعة عدداً على وجه الأرض.  
وقالت الخطابية: إن الإمام بعد جعفر أبو الخطاب، واسمه محمد بن أبي زينب مولى لبي أسد؛ وقالوا: إن الأئمة أنبياء لا يزال منهم رسولان، واحد صامت، والآخر ناطق، فالصامت علي، والناطق محمد، وإن رسل الله تترى، أي اثنان في كل وقت. قالوا: فجعفر أحد الرسل إليهم، والآخر أبو الخطاب. وقالوا: إن ولد الحسين وشيعتهم بناء الله وأحباؤه. وقالوا: إن عبادة الأئمة واجبة، وتأولوا في ذلك قول الله تعالى: (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي... الآية). وعبدوا أبا الخطاب وقالوا: إنه المههم، وأن جعفر بن محمد إلههم أيضاً، إلا أن أبا الخطاب أعظم من جعفر ومن علي. وخرج أبو الخطاب على أبي جعفر المنصورة فقتله عيسى بن موسى في سبخة الكوفة.

والخطابية يستحلون شهادة الزور لمن وافقهم في دينهم على من خالهم في الأموال والدماء والفروج؛ وتقول: إن دماء مخالفيهم، وأموالهم، ونساءهم: لهم حلال.  
ثم اختلفت الخطابية أربع فرق: فرقة يقال لها: العميرية، عبدوا معمر الصغار وكان رجلاً يبيع الحنطة، كما عبدوا أبا الخطاب. وزعموا أن الدنيا لا تفتنى، وأن الجنة هي ما يصيب الناس من العافية والخير، وأن النار ما تصيب الناس من خلاف ذلك. وقالوا بالتناسخ وإنهم لا يموتون ولكن ترفع أرواحهم إلى السماء وتوضع في أجساد غير تلك الأجساد واستحلوا الخمر والزنا وسائر الحرمات ودانوا بترك الصلاة.  
وقالت الفرقة الثانية من الخطابية: إن جعفر بن محمد هو الله، ولكن تشبه للناس في صورة جعفر، وزعموا أن كل ما حدث في قلوبهم وحي، وأن كل مؤمن يوحى إليه، وتأولوا قول الله تعالى: (وأوحى ربك إلى النحل) وقوله: (وإذ أوحيت إلى الخوايين). وزعموا أن فيهم خيراً من جبريل ومن ميكائيل ومن محمد. وزعموا أنه لا يموت منهم أحد، ون أحدهم إذا بلغ عبادته رفع إلى الملكوت. وادعوا معارضة موتاهم وأنهم يروهم بكرة وعشياً.

وقالت الفرقة الثالثة من الخطابية: بتكذيب هؤلاء في الموت، وقالوا: أنهم يموتون ولا يزال منهم خلف في الأرض أئمة وأنبياء، وعبدوا جعفرًا كما عبده المتقدمون، وزعموا أنه ربهم، وضربوا خيمة في كناسة الكوفة ثم اجتمعوا ليلون لجعفر، ويدعون إلى عبادته، وهؤلاء يسمون: العميرية، نسبوا إلى عمير بن البنان العجلي وكان رئيسهم، فأمر عمير بن هبيرة بعمير بن البنان فقتل وصلب في كناسة الكوفة، وحبس قومًا من أصحابه.

وقالت الفرقة الرابعة من الخطابية: بالبراءة من هؤلاء، وقالوا: بربوبية جعفر وانتحلوا النبوة والرسالة، إنما خالفوهم في البراءة من أبي الخطاب فقط، لأن جعفرًا أظهر البراءة من أبي الخطاب حين لبي به أصحابه في

الطريق، وهؤلاء يسمون: المفضلة، نسبوها إلى رئيس لهم كان صيرفياً يسمى المفضل.  
قال البلخي: وقد مال إلى الائتتام بمحمد بن إسماعيل جماعة من الخطابية أيضاً، ودخلوا في المباركية.

وقالت المغيرة: إن الإمام بعد أبي جعفر، محمد بن علي الباقر المغيرة بن سعد العجلي، وإن أبا جعفر أوصى إلى المغيرة، فهم يأتون به إلى أن يظهر المهدي، والمهدي عندهم: محمد بن عبد الله النفس الزكية ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما أظهر المغيرة هذا القول، برئت منه الجعفرية، وكان المغيرة بن سعد يدعي أنه نبي، وأنه يعلم اسم الله الأكبر، وأن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور، وله من الأعضاء مثل ما للرجال، وله جوف، وقلب ينبع بالحكمة، وأن حروف أبجد على عدد أعضائه، فالألف موضع قدمه، لاعوجاجها؛ وذكر الصاد فقال: لو رأيتم موضع الصاد منه لرأيتم أمراً عظيماً، يعرض لهم بالعورة، وأنه قد رآه وقال: إنه يحيي الموتى بالاسم الأعظم.

وبلغ خالد بن عبد الله القسري خبره، فقتله وصلبه، فاستأمت المغيرة بعده جابر الجعفي، فمات جابر، فادعى وصيته بكر الأعور الهجري العتات فاستأموه، ثم هجموا منه على الكذب فخلعوه، وانصرفوا إلى عبد الله بن المغيرة بن سعد، فنصبوه إماماً، فأكل عبد الله أموالهم.

وقالت المنصورية: إن الإمام بعد محمد بن علي الباقر، أبو منصور العجلي، وإن محمد بن علي إنما أوصى إلى أبي منصور دون بني هاشم، كما أوصى موسى إلى يوشع بن نون، دون ولده، ودون ولد هارون، ثم أن الإمام بعد أبي منصور يرجع إلى ولد علي.

وقال أبو منصور: إنما أنا مستودع، وليس لي أن أضعها في غيري، إلى أن يظهر المهدي المنتظر، وهو محمد بن عبد الله النفس الزكية.

وقال أبو منصور: إن آل محمد هم السماء، وشيعتهم الأرض، وإنه هو الكسف الساقط من بني هاشم.  
وقال: في نزل: (وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً).

وقال: إنه عرج إلى السماء فمسح معبوده رأسه بيده، ثم قال: أي بني اذهب فبلغ عني، ثم نزل به إلى الأرض.

ويمين أصحابه إذا حلقوا أن يقولوا: لا والكلمة.

وزعم أن عيسى أول ما خلق الله من خلقه، ثم علي، وأن رسل الله لا تنقطع أبداً، وكفر بالجنة والنار، وزعم أن الجنة رجل والنار رجل، واستحل الزنا وأحل ذلك لأصحابه، وزعم أن الميتة والدم والخمر والميسر، وغير ذلك من المحارم: حلال. وقال: إن ذلك أسماء رجال حرم الله ولايتهم، وأسقط جميع الفرائض مثل الصلاة والزكاة والحج والصيام؛ وقال: هي أسماء رجال أوجب الله ولايتهم. واستحل خنق المخالفين، وأخذ أموالهم. فأمر به يوسف بن عمر فقتل وصلب.

وافترقت المنصورية بعد أبي منصور فرقتين: حسينية، ومحمدية.

فقال: الحسينية إن الإمام بعد أبي منصور ولده الحسين بن أبي منصور، وجعلوا له الخمس مما وقع في أيديهم من الخنق.

وقالت احمديّة: إن الإمام بعد أبي منصور محمد بن عبد الله النفس الزكية، لأن أبا منصور قال: إنما أنا مستودع وليس لي أن أضعها في غيري، ولكنه محمد ابن عبد الله. فهذه الشيعة في الإمامة على ما حكاه عنهم أبو عيسى الرزاق، وزرقان بن موسى، وأبو القاسم البلخي في كتبهم.

وأما الخوارج: فقد ذكرنا أقوالهم في أصل الإمامة، وسنذكر من فرقهم ما ذكره أبو القاسم البلخي ورواه عنهم من الاختلاف.

فمن فرق الخوارج النجدية: إمامهم نجدة بن عامر الحنفي، والذي تفرّدوا به أنهم قالوا: أن المخطئ بالجهل معذور، فمن اسحل شيئاً من طريق الاجتهاد مما هو محرم فهو معذور على جهله. قالوا: ومن خاف العذاب على المجتهد المخطئ في الأحكام متى تقوم عليه الحجة فهو كافر. وقالوا: من نقل عن دار هجرتهم فهو منافق. وقالوا: دماء أهل العهد في دار النقية حلال، ويرثوا ممن حرمها. وقالوا: إن أصحاب الحدود المذنبين منهم غير خارجين من الأيمان، والمذنبين من غيرهم كفار. وقالوا: لا ندرى لعل الله يعذب المؤمنين بقدر ذنوبهم في غير النار. وقالوا: من أصر على نظرة محرمة، أو كذبة فهو مشرك؛ ومن زنى أو سرق غير مصر فهو مسلم.

ومنهم الفديكية. إمامهم أبو فديك قاتل نجدة بن عامر بعد إحدائه، ولا يعلم لهم قول أبدعوه، غير إنكارهم على نجدة ونافع ابن الأزرق أحدهما. ومنهم العطوية: إمامهم عطية بن الأسود الحنفي، وكان عطية أنكر على نجدة، ونافع بن الأزرق، ما أحداثاه، ومضى إلى سجستان وخراسان، فهو أصل الخوارج بهما.

ومن العطوية: العجزية: إمامهم عبد الكريم بن العجرد، وهم يقولون: يجب دعاء الطفل إذا بلغ، ويجب البراءة منه قبل ذلك حتى يدعى إلى الإسلام.

ومن العجاردة: الميمونية: إمامهم ميمون، وقيل: إن ميموناً هذا كان رجلاً من أهل بلخ، وقيل: بل كان عبد الكريم بن العجرد، والميمونية لا يرون إلا قتال السلطان خاصة، وأعوانه، ومن رضي بحكمه، ومن طعن في دينهم. وهم يجيزون نكاح بنات البنين، وبنات البنات، وبنات الأخوات، وبنات بني الأخوة. ويقولون: إن الله حرم نكاح البنات والأخوات، وبنات الأخ، وبنات الأخت، وأحل ما وراء ذلك. وهم يقولون بالعدل. وكانت الغلبة بخراسان وسجستان لهؤلاء وللعجاردة.

ومن الميمونية: الخلفية: وهم يخالفون الميمونية في القول بالعدل، ويقولون بالجبر، وهم بكرمان. وقالوا: لا نستحل العقد لإمام بعده، حتى يصح لنا خبره، أو يتم مائة وعشرين سنة، من يوم ولد، وكان إمامهم هذا يجارب الحمزية.

ومن الميمونية: حمزية: إمامهم حمزة بن أدرد، وهم يجيزون كون إمامين وأكثر من ذلك في وقت واحد، وهم يقولون بالعدل.

ومن العجاردة خازمية: وهم يقولون بالأخبار، ويقولون: إن الولاية والعداوة صفتان في الذات.

ومن الخازمية: مجهولية: وهم يقولون: من لم يعلم الله تعالى بجميع أسمائه فهو له جاهل، وإن أفعال العباد ليست بمخلوقة، وإن الاستطاعة مع الفعل كالكون إلا ما شاء الله.  
ومن الخازمية: معلومية: وهم يقولون: من علم الله ببعض أسمائه فلم يجبهله.  
ومن العجاردة: صلئية: إمامهم عثمان بن أبي الصلت، والصلت بن أبي الصلت. وهم يقولون: إذا استجاب الرجل في الإسلام توليناه، وبرئنا من أطفاله، لأنهم ليس لهم إسلام حتى يدركوا، فيدعوا إلى الإسلام ويسلموا.

ومن العجاردة فرقة يقولون: ليس لأطفال المؤمنين، ولا لأطفال الكافرين ولاية ولا عداوة حتى يدركوا ويسلموا.

ومن العجاردة: ثعلبية: إمامهم ثعلبة، وهم يقولون في الأطفال: إنهم مشتركون في عقاب آبائهم، وإنهم ركن من أركانهم، وبعض من أبعاضهم.

ومن الثعلبية: أخنسية: إمامهم الأحنس، وهم يقفون عن جميع ما في دار النقية من أهل القبلة، إلا من عرفوه بإسلام، أو كفر، ويحرمون البيات والاعتقال والقتل في السر، وأن يبدأ أحد بقتال حتى يدعى إلى الإسلام، فبرئ منهم جمهور الثعلبية.

ومن الثعلبية: معبدية: إمامهم معبد، وهم يرون أخذ زكاة أموال عبيدهم إذا استغنوا، وإعطاءهم من زكاتهم إذا افترقوا، وكان مواليتهم على رأيهم أو لم يكونوا، فبرئت منهم الثعلبية.

ومن الثعلبية: شيبانية: إمامهم شيبان بن سلمة الخارج في أيام أبي مسلم، وكان أحدث أحداثاً منها معاونة أبي مسلم، فبرئت منه الخوارج وقتل؛ فقالت الشيبانية: إنه قد تاب، وقال سائر الثعلبية: لا تقبل توبة مثله، إلا بأن يقص منه، أو يعفو صاحب الحق، وبرئوا ممن أجاز توبته.

ومن الثعلبية: رشيدية: إمامهم رشيد، وهم يقولون: إنه يجب فيما يسقي الفيول الجارية، والأهبار، نصف العشر، فبرئت منهم الثعلبية.

ومن الثعلبية: مكرمية: إمامهم أبو مكرم، وهم يقولون: إن تارك الصلاة كافر، وليس من قبل ترك الصلاة كفر، ولكن من قبل جهله. وكذلك قالوا في سائر الفرائض. وقالوا: من أتى كبيرة، فقد جهل الله تعالى. وقالوا بالموافاة، وهو أن الله إنما يتولى عباده، ويعاديهم على ما هم صائرون إليه لا على أعمالهم. فبرئت منه الثعلبية.

ومن الخوارج الأباضية: إمامهم عبد الله بن أباض التميمي من مقاعس تيم الحارث بن عمر بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

قال أبو القاسم البلخي: حكى أصحابنا أن عبد الله بن أباض لم يمت حتى ترك قوله أجمع، ورجع إلى الاعتزال، والقول بالحق.

قال: والذي يدل على ذلك، أن أصحابه لا يعظمون أمره.

وجهور الأباضية يقولون: إن مخالفتهم من أهل القبلة كفار، وليسوا بمشركين، حلال مناكحتهم، وحلال غنيمة أموالهم عند الحرب من السلاح والكراع، حرام ما وراء ذلك من سبيهم وقتلهم في السر، إلا من

دعا إلى شرك في دار تقية وادعى الإسلام، ولا ذمة له. وقالوا: إن الدار، دار مخالفهم، دار توحيد، إلا  
عسكر السلطان فإنه دار بغي. وقالوا: من سرق وزني، أقيم عليه الحد، ثم استتيب، فن تاب وإلا قتل.  
واختلفوا في النفاق.

فقلت فرقة منهم: النفاق براءة من الشرك، واحتجوا بقوله تعالى (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء).

وقالت فرقة منهم: كل نفاق شرك، لأنه يضاد التوحيد.

وقالت فرقة منهم: لا حجة لله على أحد في توحيد إلا بخبر، أو ما يقوم مقام الخبر من إيماء أو إشارة.

وقالت فرقة منهم: لا يجوز أن يخلي الله عباده من التكليف لوحدانيته ومعرفته.

وقالت فرقة منهم: يجوز أن يخليهم الله من ذلك.

وقالت فرقة منهم: من دخل في دين الإسلام وجبت عليه الشرائع والأحكام، ثم وقف على ذلك، أو لم  
يقف، سمعه، أو لم يسمعه.

وقالت فرقة منهم: يجوز أن يعث الله نبياً بلا دليل.

وقالت فرقة منهم: من ورد عليه الخبر بأن الخمر قد حلت، وأن القبلة قد حولت، فعليه أن يعمل بذلك،  
أخبره بذلك مؤمن أو كافر، وعليه أن يفعل ذلك بالخبر، وليس عليه أن يعلم ذلك بالخبر.

وقالت فرقة منهم: من قال بلسانه إن الله واحد، وعني المسيح، فهو صادق في قوله مشرك بقلبه.

وقالت فرقة منهم: ليس على الناس المشي إلى الصلاة والزكاة والحج، ولا شيء من أسباب الطاعة، التي  
توصل بها إليها؛ وإنما عليهم فعلها بعينها فقط.

وقالت فرقة منهم: الدرهم بدرهمين يداً بيد حلال. وقالوا: قد يكون في الإنسان إيمان، ولا يسمى به مؤمناً.

وقالت فرقة منهم: بتحليل الأشربة التي يسكر كثيرها، إذا لم تكن الخمر بعينها؛ وحرموا السكر، وهم يرون  
قتل المشبهة وبسبيهم وغنيمه أموالهم ويجهزون على جريحهم.

ومن الأباضية. حفصية: إمامهم حفص بن أبي المقدم. وهم يقولون: إن ما بين الشرك والكفر معرفة الله،  
فمن عرف الله، ثم كفر بما سواه من رسول أو كتاب أو جنة أو نار، أو عمل جميع الجنائيات، فهو كافر  
بريء من الشرك؛ ومن جهل الله وأنكره، فهو مشرك.

ومنهم البيديية: إمامهم يزيد بن أبي أنيسة، قال: إن الله تعالى سيبعث رجلاً من العجم، وينزل عليه كتاباً من  
السماء، ثم يكتب في السماء، وينزل عليه جملة واحدة، فيترك شريعة محمد ويأتي بشريعة أخرى وغيرها،  
وإن ملته تكون الصابية، وليست هذه الصابية؛ ولكن الصابيين الذين ذكرهم الله في كتابه، قال: ولم يأتوا  
بعد؛ وزعم أن في هذه الأمة شاهدين عليها، وأنه أحدهما، وأنه لا يدري أمضى الآخر، أم هو كائن؟ فبرئ  
منه جل الأباضية.

ومن الخوارج الواقعة: من قصتهم أن رجلاً منهم يقال له: إبراهيم من أهل المدينة، كان يصبي في منزله من  
دين إلى دين - قال أبو عبيدة: صبي من دينه إلى دين آخر، كما تصبي النجوم، أي تخرج من مطالعها -  
ومعه جماعة منهم، فبعث جارية له إلى السوق كانوا يتولونها، فأبطأت، فغضب إبراهيم وقال: لأبيعها في

الأعراب فقال له رجل ممن حضر - يقال له ميمون غير الذي من العجاردة - فكيف يسعك أن تباع جارية مسلمة من قوم كفار؟ فقال إبراهيم: إن الله أحل البيع وحرم الربا، وقد مضى أسلافنا وهم يستحلون ذلك؟؟؟!! فبرئ ميمون ممن استحل بيعها، ووقف سائر من في البيت، فلم يقولوا بتحليل ولا تحريم، وكتبوا إلى علمائهم يسألونهم عن ذلك، فأفتوا أن بيعها حلال، وبأن يستتاب أهل البيت من توقفهم في ولاية إبراهيم، وبأن يستتاب ميمون، وبالبراءة من امرأة كانت معهم وقتت، فماتت قبل ورود الفتوى، فأبى من كان في البيت أن يبرأوا منها، وأن يتوبوا من الوقوف، وثبتوا عليه، فسموا: الواقفة، فبرئت منهم الخوارج. ومن الخوارج الضحاكية: إمامهم الضحاك، وهم يجيزون أن تزوج المرأة المسلمة عندهم من كفار قولهم في دار النقية، كما يجوز للرجل منهم أن يتزوج الكافرة من قومه في دار النقية؛ فأما دار العلانية، ودار حكمهم، فلا يجوز؛ فبرئت منهم الخوارج، ووقفت فرقة في ذلك فسموا الواقفة، وقالوا: لا نعطي هذه المرأة من حقوق المسلمين شيئاً، ولا نصلي عليها إن ماتت، ونقف في أمرها، ومنهم من برئ منها.

ومن الخوارج البيهسية: وإمامهم أبو بيهس الهصيم بن جابر وهم يقولون: إن السكر من كل شراب حلال الأصل موضوع عن سكر منه، وكل ما كان من ترك صلاة أو شتم فهو موضوع عن صاحبه، لا حد فيه ولا حكم، ولا يكفر أهله بشيء من ذلك، ما داموا في حال السكر؛ وقالوا: إن الشراب الذي هو حلال الأصل، لم يأت فيه من التحريم ولا إقلال أو إكثار أو سكر، ويقولون: إنه لا يسلم أحد حتى يقر بمعرفة الله عز وجل، ومعرفة رسوله، ومعرفة ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم جملة من الشريعة؛ وقالوا: من جهل شيئاً من ذلك فهو مشرك، وقالوا: بقتل الغيلة، وأخذ مال المخالفين.

ومن البيهسية: العوفية: وهم يقولون: إذا كفر الإمام كفرت بكفره الرعية، الشاهد منهم والغائب، وصارت الدار دار شرك، يحل قتل أهلها وسبيهم على كل حال.

قال المدائني: طلب الحجاج أبا بيهس الهصيم بن جابر، وهو أحد بني سعد بن ضبيعة بن قيس أيام الوليد، فهرب إلى المدينة، فلم يعرفه أحد، فطلبه الحجاج، فأعياه، فبلغ الوليد أنه بمكة، فكتب إلى عثمان بن حبان المري فيه، ووصفه له صفته، فظفر به عثمان وحبسه، وكان يسامره إلى أن ورد الكتاب من الوليد بقطع يديه ورجليه وصلبه، ففعل به ذلك.

ومن الخوارج الصفرية: نسبوا إلى إمامهم زياد بن الأصفر، وزعم قوم أن الذي نسبوا إليه عبد الله بن الصفار، ونهم الصفرية بالصاد، وهم يقولون: إن كل ذنب مغلظ كفر وشرك، وكل شرك قيادة للشيطان، وهو قول الخوارج إلا الفضيلية.

والصفرية يجيزون مناكحة المشركين والمشركات، وأكل ذبائحهم وقبول شهادتهم ومواربتهم، ويحتجون بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم زوج بناته من المشركين في دار النقية.

ومن الخوارج: الفضيلية: وهم يقولون: إن كل معصية صغرت أو كبرت، فهي شرك، وإن صغائر المعاصي مثل كبائرهما؛ ويقولون: إنه لا يكفر عندهم من قال بضرب من الحق وهو يضمن غيره، نحو أن يقول: لا إله إلا الله، وهو يريد قول النصارى، أي الذي له الولد والزوجة، أو يريد ضمناً قد الحدود، ويقول: محمد

رسول الله، وهو يعني غيره، ممن هو حي، وأشبه ذلك.

ومن الخوارج الشمرائية: إمامهم عبد الله بن شمراخ، وهم يصفون خلف من صلى إلى القبلة، ولو كان يهودياً أو نصرانياً يوافق بصلاته.

ومن الخوارج الأزارقة إمامهم نافع بن الأزرق الحنفي، وهو أول من الحد الخلاف من الخوارج، وهم يقولون: إن من أقام من المسلمين في دار الكفر، فهو كافر، ويرون قتل النساء والأطفال، ويحتجون بقول الله تعالى: (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً... الآية إلى قوله كفاراً).  
ومن الخوارج: البدعية وهم يقولون: إن الصلوات ركعتان بالعشي وركعتان بالغداة، لا غير ذلك، لقول الله تعالى: (وأقم الصلاة طرفي النهار).

والبدعية يقطعون بالشهادة على أنفسهم وموافقتهم أنهم من أهل الجنة من غير شرط ولا استثناء.  
وأصل فرق الخوارج: الأزارقة، والأباضية، والنجدية، والصفورية، وسائرهما متفرع من هذه الفرق، وقيل: سائرهما متفرع من الصفورية.

هذه أصول فرق الشيعة والخوارج المشهورة التي نسبت إلى أول من ابتدعها منهم وقال بها من أئمتهم.  
فأما الفروع التي تفرعت منها والشعب التي تشعبت عنها فهي كثيرة، وكذلك أئمة هاتين الفرقتين الخارجون، والداعون إلى الجهاد لا يجمع ذكرهم إلا كتاب مفرد.

والشيعة والخوارج أشد فرق الأمة تمسكاً بالأئمة، وأكثرهم اختلافاً وتفرقاً وبراعة من ولاية بعضهم.  
وإنما سميت الشيعة: شيعة، لمشايعتهم علي بن أبي طالب، ولأولاده عليهم السلام؛ والمشايعة: الموالاة والمناصرة، والشيعة: الأولياء والأنصار والأصحاب والأحزاب، ومنه قوله تعالى: (ومن شيع الأولين)، وقوله: (وإن من شيعته لإبراهيم)، ومنه قول الكميت بن زيد الأسدي:

إذا الخيل وراها العجاج وتحتة ... غباراً أثارته السنايك أصهب

فما لي إلا آل أحمد شيعةً ... وما لي إلا مشعب الحق مشعب

المشعب: الطريق ويقال شيع الرجل: إذا صحبه، والمشايعة أيضاً: المخالطة والمشاركة في الأمر وغيره، ومنه

يقال: سهم مشاع أي غير مقسوم، وسهم شائع أيضاً، كما يقال سائر وسار، قال أبو ذؤيب يصف ظبية:

فسود ماء المزد فاهاً فلونها ... كلون النور وهي أدماء سارها

أي سائرهما، وقال آخر في صفة الوتد:

ومشج أماسوا قذاله ... فبدا وغيب ساره المعزاء

وقيل: إن اسم الشيعة مأخوذ من السهم الشائع، فإن صح هذا، فالشيعة جمع شاع، مثل حيرة جمع حار،

والشيعة أيضاً من غير هذا: مثل الأسد وهو ولده وهو الشيع أيضاً، ويقال: هذا شوع هذا وشيع هذا:

للذي ولد بعده، ولم يولد بينهما، ويقال: آتلك غداً شيع غداً: أي بعد غداً، قال عمر بن أبي ربيعة:

قال الخليل غداً تصدعنا ... أو شيعه أفلاً تود عناء

ويقال: إن الشيع: المقدار، ويقال: أقام شهراً أو شيعه، ويقال: شيع الراعي بأبله، وشايح، إذا صاح بها،

ودعاها إذا استأخر بعضها: والمصدر: المشايعة والشياع، الشيع: صوت مزمار الراعي، قال قيس بن أبي ذريح الكناني، أخو ليث بن بكر بن كنانة، المشهور بالعشق:  
إذا ما تذكرين يحن قلبي ... حنين النيب تطرب للشياع  
ويقال شيعه: أحرقه، ويقال: شيعت النار بالحطب تشييعاً إذا أذكيتهأ به، والمشيع: الشجاع، قال أبو ذؤيب:

فتبادروا وتواقفت خيلاهما ... وكلاهما بطل للقاء مشيع  
الرواية المشهورة: بطل اللقاء مخدع بالخاء المعجمة ودال مهملة، أي خدع مراراً في الحرب حتى صار مجرباً، ويروى: مجذع بالذال المعجمة مفتوحة أي مقطوع، أي مضروب بالسيف. والمشايع: اللاحق.  
وكانت الشيعة الذين شايعوا علياً عليه السلام على قتال طلحة والزبير وعائشة، ومعاوية، والخوارج في حياة علي عليه السلام، ثلاث فرق: فرقة منهم، وهم الجمهور الأعظم الكثير، يرون إمامة أبي بكر وعمر، وعثمان، إلى أن غير السيرة، وأحدث الأحداث.

وفرقة منهم، أقل من أولئك عدداً: يرون الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أبا بكر، ثم عمر، ثم علياً، ولا يرون لعثمان إمامة؛ قال أيمن ابن خريم الأسدي:

له في رقاب الناس عهدٌ وبيعةٌ ... كعهد أبي حفص وعهد أبي بكر  
وحكى الجاحظ أنه كان في الصدر الأول لا يسمى: شيعياً، إلا من قدم علياً على عثمان؛ ولذلك قيل:  
شيعي، وعثماني؛ فالشيعي: من قم علياً على عثمان، والعثماني: من قدم عثمان على علي.  
وكان واصل بن عطاء ينسب إلى التشيع في ذلك الزمان. لأنه كان يقدم علياً على عثمان.  
وفرقة منهم يسيرة العدد جداً، يرون علياً أولى بالإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويرون إمامة أبي بكر وعمر كانت من الناس على وجه الرأي والمشورة، ويصوبونهم في رأيهم ولا يخطئونهم، إلا أنهم يقولون: إن إمامة علي كانت أصوب وأصلح.

ولم تزل الشيعة على هذه الأقوال الثلاثة، إلى أن قتل الحسين بن علي عليه السلام، ثم افتقرت الشيعة بعده على ثلاث فرق: فرقة قالت: إن الإمام بعد الحسين ابنه علي بن الحسين، وإن الإمامة بعد الحسين في ولده خاصة، لأنها استقرت في يده فلم تكن لتخرج من أيدي ولده إلى غيرهم، وإنما تمضي قدماً قدماً لا تأخذ يمينا ولا شمالاً، وإنما لا ترجع القهقري ولا تمشي إلى وراء، ولا تكون إلا بنص من الإمام الأول على الإمام الثاني، وإن الأرض لا تخلو من إمام طرفة عين، إما مشهور وإما مستور، ولهذا سموا: بالإمامية، لالتزامهم بالإمام.

وقالت الفرقة الثانية: لم يصح عندنا أن الحسين عهد إلى أحد، ولا دعى ابنه علي إلى بيعة، فنحن نقف حتى نرى رجلاً من أحد البطينين - يعنون: ولد الحسن والحسين - يصح لنا ولادته، وزهده، وعلمه، وشجاعته، وعدالته، وورعه، وكرمه، يشهر السيف، ويباين الظالمين، فتلزمنا طاعته، فسموا: الواقفة، فمكثوا بعد قتل الحسين ستين سنة، حتى قام زيد بن علي بن الحسين بالكوفة، في زمن هشام بن عبد الملك، فبايعوه، فسموا: الزيدية.

وقالت الفرقة الثالثة: إن الإمام بعد الحسين أخوه محمد بن علي، وهو ابن الحنفية، واحتجوا في ذلك بأن علياً عليه السلام أحضره في وقت وصيته مع أخويه الحسن والحسين، ووصاه بطاعتهم، ووصاهما ببره وتعظيمه، قالوا: فلم يحضره في الوصية إلا وله شرك في الإمامة، وهذه الفرقة تسمى الكيسانية، نسبوا إلى رئيس لهم يقال له: كيسان، وهو مولى لبطن من بجيلة بالكوفة، وقيل: إن كيسان مولى لعلي عليه السلام.

وقيل: إن كيسان هو المختار بن أبي عبيد الثقفي، وإن علياً سماه بذلك، وكان المختار كيسانياً، يؤمن بالرجعة، ويقول: إن محمد بن الحنفية، سيموت، ثم يبعث هو وشيعته، فيملأ الأرض عدلاً، وكان يدعى أن خروجه كان عن أمره، وتتبع قتلة الحسين بن علي، فقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص وابنه حفص بن عمر، وقتل شمر بن ذي الجوشن الضبائي، ووجه إبراهيم بن الأشتر، فقتل عبد الله ابن زياد، وغيرهم، وغلب على الكوفة، حتى خرج نفر من أهل الكوفة يستنجدون أهل البصرة على المختار، فخرج أهل البصرة مع مصعب بن الزبير، فقاتلوه، وكان في عسكر مصعب: عبد الله بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن الأشعث ابن قيس، فقتلها المختار؛ ثم قتل المختار، قتله صراف بن يزيد الحنفي في سنة سبع وستين، وعقب المختار لكوفة كثير، وكان المختار يزعم أن جبريل يأتيه وينزل عليه قرآناً، وهو أحد الكذابين، قال فيه أعشى همدان، وفي الحجاج ابن يوسف:

إن تقيفاً منهم الكذبان ... كذاهما الماضي وكذابٌ ثان

إنا سمونا للكفور الفتان ... حين طغى الكفر بعد الإيمان

بالسيد العطريف عبد الرحمن ... يا رب مكن من تقيف همدان

وكان المختار توعده أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري، وولد سعيد بن قيس ابن يزيد بن ذي مرت الهمداني. بهدم داريهما، وبلغ أسماء بن خارجة أن المختار يقول لأصحابه: إنه نزل عليه في قرآنه: (لتنزلن من السماء نار بالدهماء، فلتتخوفن دار أسماء!!) فقال أسماء: ويلى على ابن الخبيثة، قد عمل في داري قرآناً!! لا أقف بعد هذا؛ فهرب أسماء من المختار، فهدم داره وأحرقها، وحالت همدان دون دار صاحبهم؛ فقال عبد الله بن الزبير الأسدي: يؤنب مضر في هدم دار أسماء:

فلو كان من همدان أسماء أصحرت ... كتائب من همدان صعر خدودها

لهم كان ملك الناس من قبل تبع ... تقود وما في الناس حي يقودها

وقيل لعبد الله بن عمر: إن المختار يعمد إلى كرسي فيجعله على بغل أشهب، ويحف بالديباج، ثم يطوف حوله هو وأصحابه فيستسقون به ويستنصرون به، ويقولون: هذا الكرسي فينا، مثل تابوت آل موسى. فقال ابن عمر: فأين بعض جنادة الأزدي عنه؟ قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي: يعني: جندب بن كعب بن عبد الله ابن حر بن عامر بن مالك بن ذهل بن ثعلبة بن ظبيان، قاتل الساحر الذي يقال له: بستاني، وكان يلعب للوليد بن عقبة، يريد أنه يقتل رجلاً، ثم يحيه، ويدخل في فم ناقة، ثم يخرج من حياتها، فرآه جندب بن كعب يفعل ذلك؛ فقال لمولى له صقل: أعطي سيفاً هداماً، فأعطاه السيف، فأقبل جندب إلى الساحر فضربه ضربة فقتله، ثم قال: أحي نفسك، فأخذه الوليد بن عقبة فحبسه؛ فلما رأى السجن

صلاة جندب، وصومه، خلى سبيله؛ فأخذ الوليد السجان فقتله؛ قال أعشى همدان في المختار وأصحابه:  
شهدت عليكم أنكم سبيته ... وأني بكم يا شرطة الكفر عارف  
وأن ليس كالكروسي فينا وإن سعت ... شبام حواليه ونهم وخازف  
وإن شاكر طافت به وتمسحت ... بأعواده وأدبرت لا تساعف  
وسميت الرافضة من الشيعة: رافضة، لرفضهم زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، وتركهم  
الخروج معه، حين سأله البراءة من أبي بكر وعمر، فلم يجبهم على ذلك.  
وروى عوانة بن الحكم قال: لما استتب الأمر لزيد بن علي عليه السلام جمع أصحابه فخطبهم وأمرهم  
بسيرة علي بن أبي طالب في الحرب.

فقالوا: قد سمعنا مقاتلك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال: وما عسيت أن أقول فيهما؟ صحبا رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم بأحسن الصحبة، وهاجرا معه، وجاهدا في الله حتى جهاده، ما سمعت أحداً من  
أهل بيتي تبرأ منهما، ولا يقول فيهما إلا خيراً.  
قالوا: فلم تطلب بدم أهل بيتك، ورد مظالمهم إذاً، وليس قد وثبا على سلطانهم، فنزعه من أيديكم، وحملا  
الناس على أكتافكم، يقتلونكم إلى يومكم هذا؟ فقال لهم زيد: إنما وليا علينا وعلى الناس، فلم يألوا العمل  
بكتاب الله وسنة رسوله.

قالوا: فلم يظلمك بنو أمية إذاً، إن كان أبو بكر وعمر لم يظلماك! فلم تدعونا إلى قتال بني أمية، وهم ليسوا  
لكم ظالمين، لأن هؤلاء إنما تبعوا في ذلك سنة أبي بكر وعمر؟

فقال لهم زيد: إن أبا بكر وعمر ليسا كهؤلاء، هؤلاء ظالمون لكم ولأنفسهم، ولأهل بيت نبيهم، وإنما  
أدعوكم إلى كتاب الله ليعمل به، وإلى السنة أن يعمل بها، وإلى البدع أن تطفأ، وإلى الظلمة من بني أمية أن  
تخلع وتنفي، فإن جبتم سعدتم، وإن أبيتم خسرتم، ولست عليكم بوكيل.  
قالوا: إن برئت منهما وإلا رفضناك!! فقال زيد: الله أكبر، حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم قال لعلي عليه السلام: (إنه سيكون قوم يدعون حيناً لهم نبز يعرفون به، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم  
فإنهم مشركون). اذهبوا فإنكم الرافضة.

ففارقوا زيدا يوماً فسماهم: الرافضة، فجرى عليهم هذا الاسم.  
وروى السيد أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسيني في كتاب الدعامة: أن جميع فرق الأمة اجتمعت  
على إمامة زيد بن علي عليه السلام، إلا هذه الفرقة التي تقدم ذكرها.

فقال: لما شهر فضله وتقدمه، وظهر علمه وبراعته، وعرف كماله، الذي تقدم به أهل عصره، اجتمع  
طوائف الناس، على اختلاف آرائهم، على مبايعته، فلم يكن الزيدي أحصر عليها من المعتزلي، ولا المعتزلي  
أسرع إليها من المرجي، ولا المرجي من الخارجي، فكانت بيعته عليه السلام مشتملة على فرق الأمة، مع  
اختلافها، ولم يشذ عن بيعته إلا هذه الطائفة العلية التوقيف.

قال: ومن الواضح الذي لا إشكال فيه، أن زيد بن علي، يذكر مع المتكلمين إن ذكروا، ويذكر مع الزهاد

إن ذكروا، ويذكر مع الشجعان وأهل المعرفة بالضبط والسياسة، وكان أفضل العترة، لأنه كان مشاركاً لجماعتهم في جميع خصال الفضل، ومتميزاً عنهم بوجوه لم يشاركوه فيها. فمنها: اختصاصه بعلم الكلام، الذي هو أجل العلوم، وطريق النجاة والعلم الذي لا ينتفع بسائر العلوم إلا معه، والتقدم فيه، والاشتهار عند الخاص والعام. هذا أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ يصفه في صنعة الكلام ويفتخر به ويشهد له بنهاية التقدم، وجعفر بن حارث في كتاب الديانة، وكثير من معتزلة بغداد كمحمد ابن عبد الله الإسكافي وغيره، وينسبون إليه في كتبهم، ويقولون: نحن زيدية.

وحسبك في هذا الباب انتساب المعتزلة إليه، مع أنها تنظر إلى الناس بالعين التي ينظر بها ملائكة السماء إلى أهل الأرض مثلاً، فلولا ظهور علمه وبراعته، وتقدمه كل أحد في فضيلته، لما انقلبت له المعتزلة. وإذا أردت تحقيق ما قلناه فسم بعض تلامذتهم، أو متوسطهم أن ينسب إلى غيره من أهل البيت، ممن لا تحصيل له في رتبة زيد بن علي، ليسمع منه العجائب.

ومن الوجوه التي اخص بها: تميزه عن جماعتهم بفضل الفصاحة والبيان. ومنها: اختصاصه بعلم القرآن ووجوه القراءات، وله قراءة مفردة مروية عنه. ومنها: تقدمه بالشجاعة، والرغبة في الجهاد، فقد روى عنه عليه السلام أنه لما خفقت الروايات على رأسه، قال: الحمد لله الذي أكمل لي ديني بعد أن كنت أستحي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أرد عليه، ولم أمر في أمته بمعروف، ولم أنه عن منكر.

ومما يدل على صحة ما رواه السيد أبو طالب من إجماع فرق الأمة، على زيد بن علي، لما كان من فضله، قول شاعر الخوارج يرثي زيداً عليه السلام ويقرع الزيدية:  
يا با حسين والأمور إلى مدى ... أولاد درزة أسلموك وطاروا  
يا با حسين لو شراة عصابة ... علقتك كان لوردهم إصدار  
وقال أيضاً:

أولاد درزة أسلموك ميلا ... يوم الخميس لغير ورد الصادر  
تركوا ابن فاطمة الكرام تقوده ... بمكان مسخلة لعين الناظر  
وروى حسن بن علي، عن يحيى بن أبي يعلا، عن عمر بن موسى، قال: قلت لزيد بن علي: أكان علي إماماً؟ فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نبياً مرسلًا، لم يكن أحد من الخلق بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا كان لعلي ما ينكر الغالية، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان علي من بعده إماماً للمسلمين في حلالهم وحرامهم، وفي السنة عن نبي الله، وتأويل كتاب الله، فما جاء به علي من حلال أو حرام أو كتاب أو سنة، أو أمر أو نهي، فردده الراد عليه، وزعم أنه ليس من الله، ولا من رسوله، كان رده عليه ككفرًا، فلم يزل ذلك حتى أظهر السيف، وأظهر دعوته، واستوجب الطاعة، ثم قبضه الله شهيداً.

ثم كان الحسن والحسين، فوالله ما ادعيا منزلة رسول الله، ولا كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من القول فيهما ما قال في علي عليه السلام، وأيضاً أنه قال: سيدا شباب الجنة، فهما كما سماهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانا إمامين عدلين، فلم يزالا كذلك، حتى قبضهما الله تعالى شهيدين.

ثم كنا ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بعدهما ولد الحسن والحسين، ما فينا إمام مفترضة طاعته، ووالله ما ادعى علي بن الحسين أبي ولا أحد منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا منزلة علي، ولا كان من رسول الله فينا ما قال في الحسن والحسين، يغر أنا ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فهؤلاء يقولون: حسدت أخي وابن أخي!! أحسد أبي حقاً هو له؟ لبئس الولد أنا من ولد، إني إذا لكافر، إن جحدته حقاً هو له من الله. فوالله ما ادعاها علي بن الحسين، ولا ادعاها أخي محمد بن علي، منذ صحبته حتى فارقتني.

ثم قال: إن الإمام منا أهل البيت، المفروض علينا وعليكم وعلى المسلمين، من شهر سيفه، ودعا إلى كتاب ربه وسنة نبيه، وجرى على أحكامه، وعرف بذلك، فذلك الإمام الذي لا تسعنا وإياكم جهالته. فأما عبد جالس في بيته، مرخ عليه ستره، مغلق عليه بابه، يجري عليه أحكام الظالمين، لا يأمر بمعروف، ولا ينهي عن منكر، فأني يكون ذلك إماماً مفروضة طاعته؟ وفي فضل زيد بن ما روى محمد بن سالم، قال: قال لي جعفر بن محمد: يا محمد هل شهدت عمي زيداً؟ قلت: نعم، قال: فهل رأيت فينا مثله؟ قلت: لا، قال: ولا أظنك والله ترى فينا مثله، إلى أن تقوم الساعة؛ كان والله سيدنا، ما ترك فينا لدين ولا دنيا مثله. وروى عن محمد بن علي أنه قال - وأشار إلى زيد - : هذا سيد بني هاشم، إذا دعاكم فأجيبوه، وإذا استنصركم فانصروه.

وروى أن زيداً بن علي دخل على هشام بن عبد الله فدار بينهما كلام، حتى قال له هشام: إنك لترجى بالخلافة وأنت ابن أمة؟ فقال له زيد: يا أمير المؤمنين، إن أمي مع أمك كأم إسماعيل مع أم إسحاق فلم يمنعه ذلك من أن جعله صديقاً نبياً.

فلما خرج زيد أتبعه هشام بصره، وقال: كذب من قال: ذهب أهل بيت فيهم مثل هذا.

ثم خرج زيد بن علي بالكوفة على هشام بن عبد الملك - ووالى العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفي - فقتل زيد في المعركة، وذهبت أصحابه، فعلم به يوسف بن عمر، فنبشه وصلبه. ثم كتب هشام يأمر أن يحرق. فأحرق ونسف في الفرات.

ثم خرج ابنه يحيى بن زيد بالجورجان على الخليل الكافر الوليد بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان، فبعث نصر بن سيار إليه، وأحضر المازني، فحاربه، فقتل يحيى بن زيد بالجورجان من أرض خراسان بقرية يقال لها أرعوية، ودفن في بعض الخانات.

وكان الوليد بن يزيد زنديقاً خليفاً، كافراً، فصيحاً شاعراً، ونظر يوماً إلى المصحف ليتفائل، فوقع على قوله تعالى: (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد)، فجعل المصحف غرضاً يرميه، ثم مزقه وأحرقه وقال يخاطب المصحف:

أتوعد كل جبارٍ عنيد ... فهذا أنا ذاك جبارٌ عنيد

إذا لاقيت ربك يوم حشرٍ ... فقل يا رب حرقني الوليد  
وقال أيضاً:

تلعب بالخلائق هاشميّ ... بلا وحي أتاه ولا كتاب  
أتوعدني الحساب ولست أدري ... أحق ما تقول من الحساب  
فقل لله يمنعني طعامي ... وقل لله يمنعني شرابي  
وقال أيضاً:

يا أيها السائل عن ديننا ... وهم على دين أبي شاعر  
نشرهما صرفاً ومزوجةً ... بالسخن أحياناً وبالفاطر  
وقال أيضاً:

أدر الكأس يمينا ... لا تدرها ليسار  
أسق هذا ثم هذا ... صاحب العود النضار  
من كميت عتقوها ... منذ دهر في جرار  
ختموها بالأفاوي ... ه وكافور وقار  
فلقد أيقنت أني ... غير مبعوث لنار  
سأروض الناس حتى ... يركبوا أي؟.. الحمار  
وذروا من يطلب الجن؟ ... ؟ة يسعى لتبار

وأما قول الوليد بن يزيد: فقل لله يمنعني طعامي... البيت، فإن هذا البيت لبجير بن عبد الله بن عامر بن  
سلمة القشيري، في شعره الذي رثى به هشام بن مغيرة المخزومي، إلا أن الوليد قلب البيت فجعل عروضه  
ضروباً وضروبه عروضاً، وهذا قول بجير:

تحيتي بالسلامة أم بكر ... وهل لك بعد رهطك من سلام  
ذريني أصطبح يا بكر إني ... رأيت الموت نقب عن هشام  
ونقب عن أهلك وكان قرماً ... من الفتيان شراب المدام  
فود بنو المغيرة لو فدوه ... بألف من رجال أو سوام  
وود بنو المغيرة لو فدوه ... بألف مدجج وبألف رام  
وكائن بالطوى طوى بدر ... من الفتيان والخيال الجسام  
وكائن بالطوى طوى بدر ... من الأحسان والقوم الكرام  
وكائن بالطوى طوى بدر ... من الشيزى تكلل بالسنام  
أبوعدنا ابن كبشة أن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام  
أيعجز أن يرد الموت عني ... ويحييني إذا بليت عظامي  
ألا من مبلغ الرحمن عني ... بأني مفطرٌ شهر الصيام

فقل لله ينعني شرابي ... وقل لله ينعني طعامي

وكان المشركون يسمون النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ابن كبشة، وابن أبي كبشة.  
وكان أبو كبشة، رجلاً من خزاعة، مخالفاً لقريش في عبادة الأوثان، وكان يعبد الشعري العبور، وقد ذكر  
الله تعالى ذلك في كتابه بقوله: (وإنه هو رب الشعري)، أي رب هذا النجم الذي يعبد من دونه.  
وأبو كبشة جد جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمه، وأم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: آمنة بنت  
وهب بن عبد مناف بن زهرة، وأم وهب بن عبد مناف كبشة بنت أبي كبشة الخزاعي.  
ومن رمى بالزندقة من أهل الإسلام: معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو  
الشيبياني.

ومنهم عبد السلام بن رعبان، وقيل إنه القائل:

هي الدنيا وقد نعموا بأخرى ... وتسويف الظنون من السوافي

فإن يك بعض ما قالوه حقاً ... فإن المبتليك هو المعافي

ومنهم أبو نواس الحسن بن هانئ، وقيل إنه وجد في بيته بعد موته هذان البيتان:

باح لساني بمضمر السر ... وذاك أني أقول بالدهر

وليس بعد الممات حادثة ... وإنما الموت بيضة العقر

وقيل: كان سبب موته أنه كان صديقاً لبني نوبخت، ولهم إليه إحسان، وكان لهم مذهب في التشيع، فأغرى  
بهجاتهم، وكان لهم كاتب بغدادى، يقال له زنبور، فروى عليه هجاء كثيراً فيهم، من ذلك قوله في رئيس  
لهم يقال له إسماعيل:

خبز إسماعيل كالوشى ... إذا ما شق يرفا

عجباً من محكم الصنعة ... فيه كيف يخفى

الأبيات. وكان مما روى عنه أيضاً في هجاتهم، وهجاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول  
فيه:

لله رافضة بليت بهم ... يتلاحظون بأعين خزر

يرضون أن أرضى أبا حسن ... لهم وأبراً من أبي بكر

فلاجمع على عدوانه ... ولأشهدن عليه بالكفر

ولأشكرن لراحة ضربت ... تلك المفارق آخر الدهر

فلما بلغتهم هذه الأبيات سقوه سماً فمات منه.

وقيل: بل كانوا في منتزه لهم عند سليمان بن أبي سهل، ومعهم أبو نواس وزنبور، فأنشد زنبور هذا الشعر،  
وقد عمل فيهم الشراب، فقاموا إلى أبي نواس فداسوا بطنه، فلم يزل يضع أمعاه حتى مات.

ومنهم عبد الكريم بن نويرة الدهلي، وهو الذي سير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة آلاف  
حديث كذباً، فقتله محمد بن سليمان بن علي بالكوفة وصلبه، فقال للمسلمين حين أحس بالقتل: اعملوا ما  
شئتم فقد لبست عليكم دينكم وجعلت حلالكم حراماً وحرامكم حلالاً، ودسست عليكم في كتبكم أربعة

آلاف حديث كذباً، كل يعملون به منها.

ومنهم الأخطل، الشاعر: غياث بن غوث بن الصلت الغلبي، وهو القتال:  
ولست بصائم رمضان عمري ... ولست بأكل لحم الأضاحي  
؟ولست براكب عيساً بكوراً إلى بطحاء مكة للنجاح

ولست بقائم كالغير أدعو ... مع الأصباح حي على الفلاح  
ولكني سأشربها شمولاً ... وأسجد قبل منبلج الصباح  
وغير هؤلاء ممن رمي بالزندقة، وهم كثير، واختصارهم أولى من ذكرهم، إلا أنا ذكرناهم عند ذكر الوليد  
بن يزيد وما كان من كفره.

وكان الوليد بن يزيد، أحد خلفاء بني أمية، فلما أعلن بالكفر خرج عليه ابن عمه، يزيد بن عبد الملك،  
وهو الذي يقال له: الناقص، وخرجت معه الغيلانية، وهم يقولون بالعدل والتوحيد، فقتل الوليد، وولي  
الأمر بعده وسمي الناقص، لأنه نقص الجند من أرزاقهم.  
وكان يزيد بن الوليد صالحاً، مرضي السيرة، ولم يكن من خلفاء بني أمية مثله، ومثل عمر بن عبد العزيز.  
فلما استولى يزيد على الأمر، قام في الناس خطيباً، فقال - بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي  
صلى الله عليه وآله وسلم - : والله ما خرجت أشراً، ولا بطراً، ولا حرصاً على الدنيا، ولا رغبة في الملك،  
وما أطري نفسي وإني لها لظلوم، ولكني خرجت غضباً لله، ولدينه، وداعياً إلى كتاب الله، وسنة نبيه، لما  
هدمت معالم الهدى، وأطفئ نور أهل التقى، وظهر الجبار العنيد، المستحل لكل حرمة، والراكب لكل بدعة،  
مع أنه والله ما كان ليؤمن يوم الحساب، وأنه لابن عمي في الحسب وكفيئي في النسب، فلما رأيت ذلك  
استخرت الله في أمري، وسألته ألا يكلني إلى نفسي، واستعنت من أطاعني من أهل ولايتي، إلى أن أراح الله  
منه العباد، وطهر منه البلاد، بحول الله وقوته، لا بحولي وقوتي.

أيها الناس: إن لكم علي ألا أضع حجراً، ولا أجري نهرًا، ولا أكتنز مالاً، ولا أعطيته زوجة ولا ولداً، ولا  
أنقل مالاً من بدل إلى بلد، حتى أسد فقرة ذلك البلد، وخصصت أهله بما يغنيهم، فإن فضلت فضلة نقلته  
إلى البلد الذي يليه، ممن هو أحوج إليه، ولا أجهزكم في ثغوركم، فأفتنكم وفتن أهاليكم، ولا أغلق بابي  
دونكم، فإأكل قوياتكم ضعيفكم، ولا أحمل أهل جرينتكم ما أجلبهم به عن بلادهم، ولكن لكم عطاياكم كل  
سنة، وأرزاقكم في كل شهر، حتى تستلر المعيشة بين المسلمين، فيكون أقصاهم كأدناهم؛ فإن أنا وفيت  
لكم بهذا، فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة؛ وإن لم أف لكم، فلکم أن تخلعوني إلا أن تستتيوني، فإن  
تبت قبلتم مني، فإن رأيتم أحداً، أو عرفتموه بالفضل يعطيكم من نفسه، مثل ما أعطيتكم، وأردتم أن  
تبايعوه، فأنا أول من يبايعه، ويدخل في طاعته.

أيها الناس، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم.

وكانت ولاية يزيد بن الوليد خمسة أشهر ثم مات.

وولي بعده مروان بن محمد بن مروان، وهو الذي يقال له الحمار، فأمر بيزيد ابن الوليد، فبش وصلب،

وكان مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية.

قال البلخي: ولا أعلم كورة يغلب فيها التشيع إلا قُمّ وبلاد إدريس وأهلها معتزلة.

وباليمن من الشيعة فرقان: الجارودية من الزيدية، والمباركية من الإسماعيلية.

وأول من دعا باليمن إلى مذهب الزيدية، ونشر مذهب أئمتهم: يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولقبه الهادي إلى الحق، فنزل بين حولان، وغلب على صعدة.

فخرج أحمد بن عبد الله بن محمد بن عباد الأكيلى من اليمن، إلى العراق، وافداً على المعتضد بالله في آخر أيامه، يستنجد به على يحيى بن الحسين، فوجد المكتفي قد بويح له، فواجهه المكتفي بالعراق، وأمر معه بالجيوش العظيمة، حتى ورد كتاب أبي مزاحم عجم بن شاح، وإلى الحرمين، يخبر أن يحيى بن الحسين العلوي خرج من صنعاء، ففتر السلطان عن ذلك العزم.

قال أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني في الجزء الأول من الأكليل: حدثني أبو الصباح الحسن بن أحمد عن أبيه، قال: دخلت على الخليفة فبثت له خبري، وأعلمته بما قصدت له، من نجدته لي.

فقال لي: أتيت على حاجتك، وبلغت منا أقصى مرادك.

قال: ثم أدخلت عليه بعد ذلك، ليتأكد علي في بعثته، الذي يبعث معي.

قال: فألح علي في ذلك.

قال: فقلت يا أمير المؤمنين، إنهم خلعتك يصيرون إلى بلدك، وإلى جوار رعيتك وطاعتك.

قال: فقال لي: إن لأهل اليمن وثبات كوثبات السباع النهمة.

قال: فما أقمنا إلا أياماً حتى أتى كتاب عجم، يذكر إخراج العلوي من صنعاء.

فقال لي الوزير: كيف رأيت قول أمير المؤمنين؟

قال: قلت: الله أعلم حيث يجعل رسالاته، ما جعله الله عميد هذا الخلق بأمر قريب.

وأحمد بن عبد الله القائل في شعره إلى العراق:

هي العين أمست والكرى لا يطيعها ... فقيم تلوم النفس أو ما صنيعها

والقائل أيضاً:

لعمرك ما زال المطايا نواجياً ... لمن رسيم دائمٌ وخيب

شعرين من أحسن الأشعار وأفصحها.

وأول من نشر مذهب الإسماعيلية باليمن منهم: الداعي أبو القاسم أبو الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي، وهو منصور مستور؛ وهم يرون أن محمد بن إسماعيل بن جعفر كان بالمدينة، وولد بها ولدين: جعفر وإسماعيل، وأقام حتى شهر أمره في زمن الرشيد، فحدث به يوماً أن يومئذ إليه، فبعث بحمله إليه، وحدث محمد فاتخذ سرباً، وغاب فيه زماناً واستتر في داره بالمدينه، ثم أنه بعد أن هدأ عنه الطلب خرج مستتراً، وخلف ولديه بالمدينة، فصار إلى نيسابور.

ثم صار إلى أرض ديلم لا يعرف مكانه إلا خواص شيعته، وهو يجول في أرض الديلم إلى نيسابور، وولد هنالك ولداً يكتمون اسمه، ويسمونه: الإمام المستور. وتوفي محمد بن إسماعيل بالمشرق، وأوصى إلى ابنه هذا بالأمامة، وأكد عليه في سترة اسمه.

قال: وكذلك توصي إلى ولدك الذي تعهد إليه وتأمره أن يوصي إلى ولده بمثل ذلك، فإنه لا يزال الأمر مستوراً، حتى يظهره الله بالربع من ولدك، فيقوم بالغرب وينجز الله له وعده، ويتصب راية لا تنكس إلى يوم القيامة، من ولده يكون القائم المنتظر.

فمضى ابنه بعده على هذه السيرة، وهم يلقبونه بالمهدي، ثم أوصى إلى ابنه الثاني بمثل ذلك، وهو يلقب بالمتدي، ثم أوصى إلى ابنه الثالث بمثل ذلك، وهو يلقب بالهادي.

ثم انتقل الهادي إلى الكوفة، وبعث منها المنصور أبا القاسم بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي داعياً إلى اليمن، وأمره أن يقصد اليمن، وينزل بعدن لآعه، في مغرب اليمن، فإن الله عز وجل قسم لليمانية ألا يتم أمر في هذه الشريعة إلا بنصرهم، وأمره أن يدعو إلى ابنه عبد الله المهدي.

قال: فأما أنا فلا حظ لي في الملك، وبعث معه علي بن الفضل الخنفرى وكان قد وفد إليه من اليمن، فخرجا

جميعاً إلى مكة، ثم افترقا. فقصد المنصور عدن لآعه، وقصد ابن فضل إلى أرض يافع، ثم أن المنصور شهر

السيف وطلع جبل مسور واستفتحته، وأسر العامل الذي كان فيه للأمير إبراهيم بن محمد بن يعفر الحوالمى،

وبنى حصن مسور ونزل به، وغلب على تلك الناحية؛ فبعث إليه الهادي بأبي عبد الله الحسين بن أمرن

الهرمزي، ولقبه المنصور أيضاً، وأمره أن يبعث أبا عبد الله هذا من اليمن إلى المغرب، فإن على يديه تمام

الأمر، فبعثه المنصور، فمضى أبو عبد الله إلى كتامة، وهم من حمير من ولد مرة بن عبد شمس ابن وابل

الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع ابن حمير الأكبر - وكتامة هؤلاء في بلد

البرابر - فنزل بينهم، وكان يعلم أولادهم، فلقب بالمعلم وعرف به، ثم عرف بالشيعة وبالمشركي، وربما

لقب بالصنعاني، فمكث فيهم ستة عشر سنة، حتى تم له الأمر، وخرج عبد الله المهدي، بعد أن كان أبوه قد

نزل بالشام هارباً من العراق مستتراً، فأقام في مدينة سلمية، من أعمال حمص، حتى مات الهادي في السمر،

وهو آخر المستوزرين، وطلب ابنه عبد الله أشد الطلب، وبعث له المكتفي من يقبض عليه من سلمية،

فهرب بوقتته، حتى صار إلى سواحل الشام، ثم مضى إلى مصر فأقام بها، ثم لحقه الطلب، فخرج إلى المغرب،

فظفر به بولده بسجلماسة، فحبسوا وبلغ إلى أبي عبد الله الشيعي خبره، وقد كان استفتح القيروان، فكنتم

أمره، وسار بكتامة حتى نزل بسجلماسة، فافتتحها، وأخرج المهدي وابنه عبد الله، وقال لكتامة: هذا الذي

بايعتكم له، فاجتمعوا على بيعته، وسار مع أبي عبد الله، وقد ملك المغرب كله، وجعل فيه العمال، وصارت

إليه أموال عظيمة، مما جمعه أبو عبد الله من الأحماس والهدايا والوصايا والزكاة في مدته التي أقام فيها بينهم،

وجاء المهدي حتى نزل القيروان، وبنى مدينة المهديّة على ساحل البحر الغربي، واتخذها دار خلافتته، وولده

بمصر يخرج الأمر منهم، من رجل إلى ولده بالنص عليه - كما مر ذكره في فرق الخطابية - إلى وقت

الحفاظ ويومنا هذا، وهو سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة سنة من مهاجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وسار علي بن فضل الخنفرى إلى أرض يافع، فاشتدت وطأته باليمن، واستولى على أكثر مخالفيه، وأعلن بالكفر، وأحل جميع المحرمات، وخرج المساجد، وكان يدعى أنه نبي، فقال فيه بعض شعراء أهل عصره:

خذي العود يا هذه واضربي ... نقيم شرائع هذا النبي

تولى نبي بني هاشم ... وهذا نبي بني يعرب

فحط الصلاة وحط الزكاة ... وحط الصيام ولم يتعب

وغالب الظن أنه كان من الخطابية، لأنهم يدعون أنهم أنبياء.

وابن فضل أول من سن القرمطة في اليمن، والقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة، وصاحبها عندهم قرمطي فجمعه قرامطة.

فلما مات علي بن فضل، قام ابنه بالمديخرة من بعده، وفرق الأموال في أصحابه، فخرج الأمير أسعد بن يعفر بن إبراهيم بن محمد بن يعفر بن عبد الرحمن ابن كريب الحوالي من صنعاء، في رجب سنة ثلاث وثلاثمائة، ومعه قواد اليمن، فلم يزل يحارب القرامطة، حتى استفتح بلدانهم، ودخل المديخرة في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثمائة، فحاصره حتى نزلوا على حكمه، وظفر بهم في رجب من هذه السنة، فتمثل منهم خلقاً كثيراً، وأخذ أموالاً عظيمة، يقصر عنها الوصف، وسبى نساء ابن فضل، فوهب بنته لابن أخيه قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر، فولدت له عبد الله بن قحطان أمير اليمن؛ ويبيع من القرامطة ناس كثير، وأخذ ولدين لعلي ابن فضل، وجماعة من رؤساء القرامطة، معه إلى صنعاء، وأمر بهم فذبحوا جميعاً، وطرحت أبدانهم في بئر في الجبانة، وأخذت رؤوسهم فبقرت ووجه بها في أربعة صناديق إلى مكة، فنصبت هنالك أيام الموسم. وسميت الخوارج: خوارج، لخروجهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورضي الله عنه، ومحاربتهم إياه.

ولهم أسماء غير الخوارج يسمون بها.

فمن أسمائهم: الحرورية: سموا بذلك لنزولهم بحروراء، اسم قرية، تمد وتقصّر.

ومن أسمائهم: الشراة: سموا بذلك لأنهم يقولون: إنهم شروا أنفسهم من الله بالجهاد.

ومن أسمائهم: المحكمة: سموا بذلك لإنكارهم التحكيم في صفين، وقالوا: لا حكم إلا لله.

ون أسمائهم: المارقة: وهم لا يرضون بهذا الاسم ويرضون بسائر الأسماء، وكان منهم عبد الرحمن بن ملجم

المرادي، قاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال عمران بن حطان الخارجي الشاعر، من بني سدوس، يمدح عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله:

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره حيناً فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا

أكرم بقوم بطون الطير قبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا

فبلغت الأبيات القاضي أبا الطيب الطبري فقال:

إني لأبرأ مما أنت قاتله ... عن ابن ملجم الملعون بهتانا

إني لأذكره يوماً فألعنه ... وألعن الدهر عمران بن حطانا

عليك ثم عليه الدهر متصلًا ... لعائن الله إسراراً وإعلاناً  
فأنتم من كلاب النار جاء به ... نص الشريعة برهاناً وتبيناً  
وكان علي بن محمد، الذي يسمى علوي البصرة، من الخوارج، وكان يرى رأي الأزارقة.  
قال البلخي: وأفعاله في النساء والصبيان تدل على ذلك.  
قال: وله خطبة يقول في أولها: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، ألا لا حكم إلا لله.  
وكان يرى أن الذنوب كلها شرك، وكان أنصاره الزنج، وكان خرج بالبصرة سنة خمس وخمسين ومائتين،  
فقتله علي بن أحمد الموفق.

وفي نسبه اختلاف، فمن الناس من يقول: هو علي بن محمد بن علي بن أحمد ابن عيسى بن زيد بن علي بن  
الحسين بن علي بن أبي طالب.

ومن الناس من يقول: إنه دعي، وإنه من أهل الري من قرية يقال لها: وزوى.

وفيه يقول علي بن محمد العلوي الزيدي الكوفي:

يقول لك ابن عمك من تعيد ... لتبت أو لنوح أو لهود

هتجت بنا بلا نسب إلينا ... ولو نسب اليهود إلى القرود

لحقت بنا على عجل كأنا ... على وطن وأنت على البريد

فهينا قد رضيناك ابن عم ... فمن يرضى بأحكام اليهود

والكور التي تغلب عليها الخوارج: الجزيرة، الموصل، وعمان، وسجستان.

وأهل عمان أباضية، وأمتهم من الأزد من بطن يقال له: التحمد بن حمى بن غيمان بن نصر بن زهران بن

كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، وهم غير منقطعين من سائر الكور.

ومن الأباضية باليمن: طائفة من همدان في مغارب همدان.

ومنهم أيضاً طائفة بحضرموت من همدان أيضاً من بشق، بطن من بطون همدان.

ومن أنكر أمر الحكيم، وليس من الخوارج، بل من أنصار علي وأوليائه: الأحنف بن قيس، والأشتر

النخعي، والحسن بن أبي الحسن البصري، وهؤلاء يتولون علياً عليه السلام قبل التحكيم وبعده.

وسميت المرجية: مرجية، لأنهم يرجون أمر أهل الكبائر، من أهل محمد، إلى الله تعالى، ولا يقطعون على العفو

عنهم ولا على تعذيبهم، ويحتجون بقوله تعالى: (وآخرون مرجون لأمر الله، إما يعذبهم وإما يتوب عليهم)

ويقولون: إخالف الوعد كذب، وإخالف الوعيد عفو وتفضل وكرم، ولو تهدد رجل عبداً من عبده قد

أساء إليه، وعصى وخالف أمره، وتوعده بالجلد أو القتل أو الصلب أو غير ذلك من العذاب، ثم عفا عنه،

وأخلف وعيده، ما كان يسمى كاذباً عند العرب؛ واحتجوا بقول الشاعر عامر بن الطفيل:

ولا يهرب ابن العم مني صولتي ... ولا إحتني من قوله المتهدد

وإني إذا أوعدته ووعدته ... لمخلف ميعادي ومنجز موعدي

قالوا: فجائر أن يخلف الله وعيده في القرآن، ولا يعذب أحداً من أهل الكبائر من المسلمين، ويجوز أن

يعذبهم بقدر ذنوبهم، وأرجوا الأمر في ذلك إلى الله تعالى، يقال: أرجوا وأرجأوا، بالهمزة والتخفيف، فسموا: المرجية.

وليس من كور الإسلام كورة إلا والمرجية غالبون عليها إلا القليل منها.

والمرجية على ضربين: منهم يقولون بالعدل والتوحيد، مثل: الغيلانية والشمرية.

وضرب منهم يقولون: بالجبر والتشبيه.

وخرجت المرجية على الحجاج بن يوسف الثقفي، مع عبد الرحمن بن الأشعث، حين قال الحجاج على المنبر:

أيها الناس، أرسول أحدكم في حاجته أكرم أم خلفته في أهله؟ فقالوا: إنه كفر بذلك؛ وكان الشيعي فيمن

خرج، وخرجت منهم الغيلانية مع يزيد بن الوليد الناقص على الخليع الكافر الوليد بن يزيد فقتلوه.

وسميت الحشوية: حشوية، لأنهم يحشون الأحاديث التي لا أصل لها في الأحاديث المروية عن رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم، أي يدخلونها فيها وليست منها، وجميع الحشوية يقولون بالجبر والتشبيه.

وسميت العامة: عامة، لالتزامهم بالعموم، الذي اجتمع عليه أهل الخصوص، وهم الذين يقولون بالأصول

ولا يعرفون شيئاً من الفروع، ويقرون بالله، وبرسوله، وكتابه، وما جاء به رسوله على الجملة، ولا يدخلون

في شيء من الاختلاف.

وسميت القدريّة: قدرية: لكثرة ذكرهم القدر، وقولهم في كل ما يفعلونه قدره الله عليهم.

والقدريّة يسمون: العدلية، بهذا الاسم، والصحيح ما قلناه، لأن من أكثر من ذكر شيء نسب إليه، مثل من

أكثر من رواية النحو، نسب إليه، فقول: نحوي، ومن أكثر من رواية اللغة نسب إليها، فقول: لغوي

وكذلك من أكثر من ذكر القدر، وقال في كل فعل يفعله: قدره الله عليه، قيل: قدري، والقياس في ذلك

مطرد.

وسميت المعتزلة: معتزلة، لقولهم بالمنزلة بين المنزلتين، وذلك أن المسلمين اختلفوا في أهل الكباثر من أهل

الصلاة.

فقالت الخوارج: هم كفار مشركون.

وقال بعض المرجية: إنهم مؤمنون لإقرارهم بالله ورسوله وكتابه، وبما جاء به رسوله، وإن لم يعملوا به.

وقالت المعتزلة: لا نسبهم بالكفر ولا بالإيمان؛ ولا يقولون: إنهم مشركون ولا مؤمنون، ولكن يقولون: إنهم

فساق؛ فاعتزلوا القولين جميعاً، وقالوا بالمنزلة بين المنزلتين، فسموا: المعتزلة.

ومن الناس من يقول: إنما سموا معتزلة، لاعتزالهم مجلس الحسن بن أبي الحسن البصري، وكان الذي اعتزله

عمرو بن عبيد ومن تبعه، ذكر ذلك ابن قتيبة في المعارف.

ومن الناس من يقول: سموا معتزلة، لاعتزالهم علي بن أبي طالب عليه السلام في حروبه، وليس كذلك، لأن

جمهور المعتزلة، وأكثرهم إلا القليل الشاذ منهم، يقولون: إن علياً عليه السلام كان على الصواب، وإن من

حاربه فهو ضال، وتبرأوا ممن لم يتب من محاربه، ولا يتولون أحداً ممن حاربه إلا من صحت عندهم توبته

منهم؛ ومن كان بهذه الصفة فليس بمعتزل عنه عليه السلام، ولا يجوز أن يسمى بهذا الاسم.

وقال كثير من المعتزلة: إن أفضل الأمة بعد نبيها: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بتقديمه لنظرائه في خصال الفضل في الدين.

قال قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد، في شرح الأصول الخمسة - وهذا القول هو الذي يقول به أكثر شيوخنا البغداديين، وبعض البصريين، وهو الذي نصره الشيخ أبو عبد الله رحمه الله، والمشهور في كتب أبي علي وأبي هاشم، الوقوف في ذلك - قال: وإنما استحق عليه السلام الفضل من جهة الأفعال، لا من جهة الأخبار، التي يرويها الشيعة، لأنها غير مجمع عليها، وهي مع ذلك تحتل التأويل، والأفعال التي استحق بها الفضل في الدين، فهي العلم والتبحر فيه، والورع والزهد والتقوى، والهجرة، والسبق إلى الإسلام، والجهاد، والدعاء إلى الله عز وجل، وتعليم الناس الفروع والأصول؛ ومعلوم من حال أمير المؤمنين التقدم في هذه الخصال، فيجب أن نشهد بأنه أفضل الأمة، لا بأن الأخبار دلت على فضله.

والمعتزلة يسمون: لسان الكلام، ويسمون: العدلية، لقولهم بالعدل والتوحيد. وقيل: إن المعتزلة ينظرون إلى جميع المذاهب كما تنظر ملائكة السماء إلى أهل الأرض مثلاً، ولهم التصانيف الموضوعات، والكتب المؤلفات في دقائق التوحيد، والعدل والتنزيه لله عز وجل، ما لا يقوم به سواهم ولا يوجد لغيرهم، ولا يحيط به علماً لكثرتة إلا الله عز وجل، وكل متكلم بعدهم يغترف من بحارهم، ويمشي على آثارهم؛ ولهم في معرفة المقالات، والمذاهب المتبدعات، تحصيل عظيم، وحفظ عجيب، وغوص بعيد، لا يقدر عليه غيرهم، ينقدون المذاهب كما تنقد الصيارفة الدنانير والدراهم.

ويقال: إن لمذهب المعتزلة أسانيد تنصل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ليس لأحد من فرق الأمة مثلهم، ولا يمكن خصومهم دفعه، وذلك أن مذهبهم مستند إلى واصل بن عطاء، وإن واصلاً يستند إلى محمد بن علي بن أبي طالب وهو ابن الحنفية، وإلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن علي، وإن محمد يسند إلى أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأن علياً يسند إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وكان واصل بن عطاء من أهل المدينة، ربه محمد بن الحنفية وعلمه، وكان مع ابنه أبي هاشم في الكتاب، ثم صحبه بعد موت أبيه صحبة طويلة؛ وحكى عن بعض العلماء أنه قيل له: كيف كان علم محمد بن علي؟ قال: إذا أردت أن تعلم ذلك فانظر إلى أثره في واصل.

ثم انتقل واصل إلى البصرة، فلزم الحسن بن أبي الحسن البصري. وكان واصل ألغى بالراء، فما زال يروض نفسه، حتى أسقط الراء من كلامه في محابته للخصوم وخطبه. قال البلخي: وله الخطبة المشهورة التي ارتجلها بحضرة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، فأسقط منها الراء، فذكرته الشعراء بذلك، قال الشاعر:

ويجعل البر قمحاً في تصرفه ... وجانب الراء حتى احتال للشعر  
ولم يطق مطراً والقول يعجله ... فعاد بالغيث إشفاقاً من المطر  
وقال صفوان الأنصاري:

ملقنٌ مفهّمٌ فيما يحاوله ... جمٌ خواطره جواب آفاق  
وقال آخر:

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا ... وحبروا خطباً ناهيك من خطب  
فقام مرتجلاً تغلي بديهته ... كمرجل القين لما حف باللهب  
وجانب الرء لم يشعر بما أحدٌ ... قبل التصفح والإغراق في الطلب  
وقال آخر:

فهذا بديه لا كتجبير قاتل ... إذا ما أراد القول زوره شهرا  
وقال آخر:

عليم يبادل الحروف وقامعٌ ... لكل خطيب يغلب الحق باطله  
وقال بشار بن برد الموعت وذكر خطبته، وكان واصل يكنى بأبي حذيفة:  
أبا حذيفة قد أوتيت معجبةً ... من خطبة بدت من غير تفكير  
وإن قولاً يروق الخالدين معاً ... لمسكتٌ محرسٌ من غير تجبير  
وروى عن رجل جليل من أصحاب الحسن أنه قال: ما كنا نعد علينا أيام واصل ملكاً.  
قال البلخي: وفرق واصل رسله في البلاد، يدعون إلى دين الله.

فأنفذ إلى المغرب: عبد الله بن الحارث، فأجابه الخلق، وهنالك بلد يدعى البيضاء، يقال إن فيه مائة ألف  
يحملون السلاح، يعرف أهله بالواصلية.  
وأنفذ إلى اليمن: القاسم بن الصعدي.  
وإلى الجزيرة: أيوب بن الأوتر.  
وإلى خراسان: حفص بن سالم، وأمره بلقاء جهم ومناظرته.

وإلى الكوفة: الحسن بن ذكوان، وهو من اصحاب الحسن وسليمان بن أرقم.  
وإلى أرمينية: عثمان بن أبي عثمان الطويل، أستاذ أبي الهذيل، وكان واصل قال له: اخرج إلى أرمينية، فقال  
له: يا أبا حذيفة، خذ شطر مالي وأنفذ غيري. فقال له: أنت يا طويل، فلعل الله أن يصنع لك!! قال عثمان:  
فخرجت فرجحت مائة ألف درهم عن صفقة يدي، وأجابني أكثر أهل أرمينية. وكان قال له: الزم سارية من  
سواري المسجد تصلي عندها حتى يعرف مكانك، ثم إذا كان كذا وكذا من شهر كذا فابتدئ في الدعاء  
للناس إلى الحق، فأتى أجمع أصحابي في هذا الوقت ونبتهل في الدعاء لك والرغبة إلى الله، والله ولي توفيقك.  
وعتب رجل من المعتزلة جليل على عمرو بن عبيد في شيء كان بينهما، فأنشد معرضاً:

إن الزمان، وما تفنى عجائبه ... أبقى لنا ذنباً واستأصل الراسا

ثم قال: يرحم الله واصل بن عطاء!! قال: فرفع عمرو رأسه، وقد اغرورقت عيناه؛ ثم قال: نعم، يرحم الله  
واصل ابن عطاء، كان لي رأساً، وكنت له ذنباً، والله ما رأيت أعبد من واصل قط، والله ما رأيت أزهى من  
واصل قط، والله ما رأيت أعلم من واصل قط، والله الذي لا إله إلا هو، لصحبت واصل بن عطاء ثلاثين  
سنة، أو قال: عشرين سنة، ما رأيت عصى الله قط.

وأرباب المذاهب من المعتزلة، ومصنفو الكتب، منهم: أبو حذيفة واصل ابن عطاء، وعمرو بن عبيد، وروى

عمر عن واصل عن الحسن بن أبي الحسن البصري، وروى عن عمر وسفيان الثوري، وسفيان بن عتبة، وأبي يوسف، وأبي مطيع.

وبعد واصل وعمرو: أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف، وهو من أهل البصرة مولى لعبد القيس؛ وأبو اسحق إبراهيم بن سيار النظام، وهو من أهل البصرة؛ وأبو المعتم بن عباد السلمي، وهشام بن عمرو الفوطي، وأبو سهل بشر ابن المعتمر رئيس المعتزلة بالبصرة، وجميع معتزلة بغداد، وأبو عمر ثمامة بن أشرس النميري، وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكتاني، وغير هؤلاء أيضاً ممن صنف الكتب منهم، وهم كثير لا يجمع ذكره إلا كتاب مفرد.

وخرجت المعتزلة مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب علي أبي جعفر المنصور، ورئيس المعتزلة يومئذ: بشير الرحال، وكان متقلداً سيفاً حائله تسعة، وعليه مدرعة صوف، متشبهاً بعمار ابن ياسر، فقتلوا بين يديه صبراً، وذلك أن أصحاب إبراهيم انهزموا، فوقف هو والمعتزلة، فقتلوا جميعاً بياحمرى على ستة عشر فرسخاً من الكوفة.

وكان أبو جعفر المنصور يقول: ما خرجت المعتزلة حتى مات عمرو بن عبيد.

وكان بلغ المنصور أن محمد بن عبد الله، النفس الزكية، كتب إلى عمرو بن عبيد يستمليه؛ فضاق المنصور بذلك ذرعاً وأرسل إلى عمرو بن عبيد، فلما وصله، أكرمه وشرفه، وقال له: بلغني أن محمد بن عبد الله كتب إليك كتاباً؛ قال عمرو: قد جاءني كتاب، يشبه أن يكون كتابه؛ فقال له المنصور: فبم أجبت؟ قال: لم أجبه إلى ما أرد؛ فقال المنصور: أجل، ولكن أحب أن تحلف لي ليطمئن قلبي؛ فقال عمرو: ولئن كنت كذبتك تقية، لأحلفن لك تقية؛ فقال له المنصور: أعني بأصحابك؛ فقال له عمرو: أظهر الحق والعدل، يتبعك أهله.

فقال له المنصور: عظنا يا أبا عثمان.

فقال عمرو: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد... إلى آخرها.

فبكى المنصور بكاء شديداً كأنه لم يسمع تلك الآيات إلا الساعة.

ثم قال: اتق الله، فإن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها، فأفقد نفسك منه ببعضها، واعلم أن الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد غيرك ممن كان قبلك، ثم أفضى إليك، وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك، وأحذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة.

فبكى المنصور بكاء شديداً، كبكائه الأول، حتى كادت نفسه تفيض.

فقال له سليمان بن خالد: رفقاً بأئمة المؤمنين فقد أتعبته منذ اليوم.

فقال له عمرو: اسكت لا أبا لك، وماذا خفت عليه إن بكى من خشية الله؟ فلما هم عمرو بالنهوض، قال له المنصور: هل من حاجة يا أبا عثمان؟ فقال عمرو: نعم، وذلك ألا تبعث إلي حتى آتيك؛ قال المنصور: إذاً لا نلتقي؛ فقال عمرو: عن حاجتي سألتني؛ فقال المنصور: أستحفظك الله، وودعه. وانصرف عمرو.



كتاب : الحور العين  
المؤلف : نشوان الحميري

والكور التي تغلب عليها الاعتزال والقول بالعدل، على ما حكى البلخي: عمانة، وهي مدينة كبيرة؛ وتدمر أيضاً، وهي من بناء الشياطين لسليمان بن داوود عليه السلام؛ وبلاد المدارح كلها، وأهلها كلبٌ وقضاة، وتدمر أيضاً في أيدي كلب وأعرابهم بين حمص إلى رحبة مالك بن طوق، وعامة كلب يذهبون مذهب الاعتزال؛ وكثير من قرى الشام، منها: نمبا، وأزكه، وبعلبك، وغير ذلك.

ومن الغرب: البيضاء، وهي كور كبيرة، يقال إن فيها مائة ألف يحملون السلاح يقال لهم: الواصلية، وقد تقدم آنفاً، وبها أيضاً صنف من الصفرية؛ وطنجة: وهي بلاد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب، وهم معتزلة، وكان رئيسهم إسحاق بن محمود بن عبد الحميد، وهو الذي اشتمل على إدريس بن عبد الله بن الحسن، حين ورد عليه، فأدخله في الاعتزال.

ومن اليمن: وهب بن منبه وأصحابه، وهم أبناء فارس الذين باليمن، ثم ارتدوا بعد ذلك عن الاعتزال، حين وليت بنو أمية اليمن، وكان بنو أمية يسمون المعتزلة: شيعة، لخبثهم علياً رضي الله عنه، فضربوا من الأبناء لهذا السبب اثنتين وسبعين رقية، فارتدوا عن ذلك.

وأكثر أهل أرمينية، وفيهم ضرارية، وبعض أهل أذربيجان، وبعضهم خوارج. ومن كور الأهواز: عسكر مكرم كلها، وهي كورة عظيمة فيها بشر كثير، يقال إن بها مائة ألف حائك، سوى سائر أهل الصناعات، ورامهرمز، وستر، والسوسن وغير ذلك.

ومن كور فارس: سيرا، وغيرها أيضاً. وكورة أيضاً بكرمان. ومن كور السند: المنصورة، وكورة أيضاً غيرها، وقيل عامة السند. ومن جزيرة العرب: هجر، والبحرين، وعامة الأيلة، وعامة البصرة.

واعلم أن أول اختلاف جرى بين الأمة بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، اختلافهم في الإمامة يوم سقيفة بني ساعدة.

فقالت الأنصار لقريش: الإمامة فينا وفيكم، منا أمير ومنكم أمير. وقالت قريش: نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والإمامة في قريش دون غيرهم، ونحن الأمراء وأنتم الوزراء.

فجرى هذا الاختلاف في الإمامة بين الأمة إلى يومنا هذا. فمن الناس من يقول: الإمامة في قريش خاصة. ومنهم من يقول: هي في جميع الناس.

وكانت الأنصار قد بايعوا يوم السقيفة أبا ثابت سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، فحسده ابن عمه بشير بن سعد بن خلاص بن زيد بن مالك الأصغر ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج.

فكسر بشير على سعد، وكان بشير أول من بايع أبا بكر من جميع الناس، ثم تبعته الأنصار، فازدهموا على بيعة أبي بكر، ورفضوا بيعة سعد، وكان سعد بن عباداً مريضاً يوم السقيفة: فقال قائل: لا تطأوا سعد، لا تقتلوا سعداً؛ فقال عمر بن الخطاب: اقتلوا سعداً، قتله الله؛ فقام قيس بن سعد بن عباد فلزم بلحية عمر، وقال: والله لو قذذت منه شعرة لأخذت ما فيه عيناك.

فقال سعد: والله لولا المرض لتسمعن لسعد بين لابنيها زئير كزئير الأسد يخرجك منها وأصحابك إلى حيث كنتم أذلة صاغرين! ولم يبايع سعد أبا بكر ولا عمر، وخرج إلى الشام غاضباً من قومه في خذلانهم إياه، فمات بجوران لستين ونصف من خلافة عمر بن الخطاب.

وللأنصار أشعارٌ كثيرة في يوم السقيفة، يلوم فيها بعضهم بعضاً على خذلانهم سعد بن عباد، ويعنفون بشير بن سعد، وابن الحصين، ومن تبعهما منهم في ميلهم إلى قريش وكسرهم على سعد.

فمن أشعار الأنصار: قول الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري:

سعى بن الحصين في العناد حاجةً ... وأسرع منه في الفساد بشير

يظنان أنا قد أتينا عظيمةً ... وخطبهما فيما تراه صغير

وما صغر إلا بما كان منهما ... وخطبهما لولا الفساد كبير

ولكنه من لا يراقب قومه ... قليلٌ ذليلٌ فاعلمن وحقير

فيا ابن الحصين وابن سعد كلاكما ... بتلك التي تعنى الرجال خبير

ألم تعلمنا لله در أبيكما ... وما الناس لا أكمةً وبصير

بأنا ذا ما سار منا كئائبٌ ... أسودٌ لها بالغايتين زئير

نصرنا وآوينا النبي وماله ... سوانا من أهل المكثين نصير

فديناه بالأبناء بعد دمائنا ... وأموالنا والمشركون حضور

وكان له في كل أمر يرينه ... سهاماً حداداً ضمهن جفير

وكان عظيماً أنني قلت منهم ... أميرٌ ومنا يا بشير أمير

وقال حسان بن ثابت:

لا تنكرون قريش فضل صاحبنا ... سعد وما في مقالي اليوم من أود

قلت قريشٌ لنا السلطان دونكم ... لا تطمعن بهذا الأمر من أحد

قلنا لهم ثوروا حقاً فنتبعه ... لسنا نريد سواه آخر الأبد

إن كان عندكم عهدٌ فيظهر في ... أشاخ بلر وأهل الشعب من أحد

نحن الذين ضر بنا الناس عن عرض ... حتى استقاموا وكانوا بيضة البلد

في كل يوم لنا أمرٌ نفوز به ... يعطي الإله عليه جنة الخلد

لستم بأولى به منا لأن لنا ... وسط المدينة فضل العز والعدد

وإننا يوم بعنا الله أنفسنا ... لم نبد خوفاً على مالٍ ولا ولد

والناس حرباً لنا في الله كلهم ... مثل الثعالب تغشى غابة الأسد  
وقال آخر من الأنصار:

علام قريش تطلب الأمر دوننا ... وكأن نبيان يكونان في عصر  
فتحمل رأياً خالف الرأي بيننا ... وفرقنا يوم السقيفة بالعمر  
وهل كان لولا ذلك، خلق مكابر ... لنا من جميع الخلق في ساعة العسر  
وقال آخر منهم:

وخبرتمونا أنما الأمر بيننا ... خلاف رسول الله يوم التشاجر  
فهلاً وزيراً واحداً تحسبونه ... إذا ما عددنا منكم ألف أمر  
سقى الله سعداً يوم ذاك ولا سقى ... عراجلة هابت صدور البواتر  
وقال آخر منهم أيضاً:

مالي أقاتل عن قوم إذا قدروا ... عدنا عدواً وكنا قبل أنصارا  
ويل أمها أمة لو أن قائدها ... يتلو الكتاب ويخشى العار والنارا  
أما قريش فلم نسمع بمنلهم ... غدرًا وأقبح في الإسلام آثارا  
ضلوا سوى عصبة حاطوا نبيهم ... بالعرف عرفاً وبالإنكار إنكارا  
وقال آخر منهم أيضاً:

دعاها إلى حرماننا وجفائنا ... تذكر قلبي في القليب تككبوا  
فإن بغضب الأبناء من قتل من مضى ... فوالله ما جئنا قبيحاً فتعتبوا

وكان المهاجرون والأنصار مجتمعين على الشورى غير مختلفين في ذلك، يدل على ذلك قول أمير المؤمنين  
علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نهج البلاغة في كتاب كتبه إلى معاوية: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا  
بكر وعمر وعثمان، على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى  
للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً، كان ذلك لله رضي، وإن خرج عن أمرهم  
خارج بطعن أو بدعة، ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما  
تولى.

وقوله في الرسالة: وما فعلت حكماء الهند، في عبادة البد، واختيار العباد منهم في المواقيت، بأبكار  
كالواقيت، بضم هم منهن والتتام، ولمس للفروج للبر لا للآتام، بعد تجردهن وتجردهم من الثياب، لزوال  
الشك والارتباب.

من حكمة الهند أنهم يقدمون في معرفة الحساب والنجوم، ويقدمون في معرفة الطب وعلاج الأدواء.  
والبد: الصنم بلغة الهند، وجمعه بددة، وهي أصنامٌ ينحتونها بأيديهم، ثم يعبدونها، ويجعلون لها بيوتاً كمساجد  
المسلمين، وفيها بنات رؤسائهم موهوبة لتلك البددة عل وجه التقرب بها، والندور والكفارات، وتلك  
النساء واقفة للفساد والفجور، يأمرها أهلها بذلك، ويرون أن لهم فيه أجراً عظيماً، ولهم عباد ورهبان في  
تلك البيوت، متجردون من اللباس، يدعون الزهد في الدنيا، لا يسمون الماء، يتبركون بأوساخهم،

ويحبونهم بتلك النساء وملاعبتها، فمن اشتقاق من أولئك العباد إلى تلك النساء وأنعظ، فقد كفر كفوفاً عظيماً عندهم، وأتى بأعظم منكر، وألحقه أنواع العذاب والنكال وقتلوه. هذا في الزهاد خاصة، وأما غيرهم منهم فلا ينكر عليهم الفجور بتلك النساء.

وهذا عجيب في جمع الهندين الحكمة في دنياهم، والجهل العظيم في دينهم، وكذلك غيرهم بهذه الصفة، وإنك لتلقي الرجل الذكي الفطن الكامل من الناس، فترى من معرفته بأمور الدنيا وفطنته فيما يعي به غيره، وحسن نظره، وإصابة حدسه، وجودة تمييزه، وشدة ذكائه، ما يستحق به الفضل على غيره، ويستوجب به المزية على سواه، ثم إذا باحثته في أمور دينه، أنكرت منه ما عرفت، ووجدته رجلاً مستلب اللب، عازب الفهم، أعمى البصيرة، كالمصاب في عقله، والصبي في مهده. قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب الأخبار: بعد، فإن الناس يحضون الدين من فاحش الخطأ، وقبيح المقال، بما لا يحضون به سواه من جميع العلوم والآراء والآداب، والصناعات؛ ألا ترى أن الفلاح والصانع والنجار، والمهندس والمصور، والكاتب والحاسب، من كل أمة، لا تجد بينهم من التفاوت في الفهم والعقل والصناعة، ولا من فاحشة الخطأ وإفراط النقص، مثل الذي تجد في أديانهم، وفي عقولهم، عند اختيار الأديان؛ والدليل على ما وصفت لك: ن الأمم التي عليها المعتمد في العقل والبيان والرأي والأدب والاختلاف في الصناعات، من ولد سام خاصة: العرب والهند والروم والفرس، ومتى نقلتهم من علم الدين، حسبت عقولهم مجتبلية وفطرهم مسترقة.

كالعرب فإنها مخصوصة بأمور، منها: البيان الذي ليس مثله بيان، واللغة التي ليس مثلها في السعة لغة، وقيافة الأثر الإمام قيافة البشر، وليس في الأرض قوم غير العرب يرون المتباينين في الصور، والمتفاوتين في الطول والقصر، والمختلفين في الألوان، فيعلمون أن هذا الأسود ابن لهذا الأبيض، وهذا الطويل ابن أخي هذا القصير، وهذا القبيح عم هذا المليح.

وللعرب الشعر الذي لم يشاركهم فيه أحد من العجم. قال: وقد سمعت للعجم كلاماً حسناً، وخطباً طويلاً يسمونها أشعاراً، فأما أن يكون لهم شعر على أعرابهم معلومة وأوزان معروفة، إذا قصص منها حرف أو زاد حرف، أو ترك ساكن أو سكن متحرك، كسره وغيره، فليس يوجد إلا للعرب خاصة دون غيرهم، وليس في الأرض قوم أعنى بدم جليل القبيح ودقيقه، وبحمد دقيق الحسن وجليله، من العرب، حتى لو أجهد أظن البرية وأعقل الخليقة أن يذكر معنى لم يذكره لما أصابه.

وللعرب من صدق الحس، وصواب الحدس، وجودة الظن، وصحة الرأي، ما لا يعرف لغيرهم؛ ولهم العزم الذي لا يشبهه عزم، والصبر الذي لا يشبهه صبر، والجود والأنفة والحمية التي لا يدانيهم أحد فيها، ولا يتعلق بها رومي ولا هندي ولا فارسي، لأن هذه الأمم كلها بخلاف العرب شيماً.

ثم لهم من بعد الهمة، والطلب بالطوائف، ما ليس لغيرهم، مع المعرفة بمساقط النجوم، والعلم بالأنواء، وحسن المعرفة بما يكون منها للاهتداء.

ولهم خط العربية، مع الحفظ لأنسابهم، ومحاسن أسلافهم، ومساوئ أكفائهم، للتعاثر بالقبيح والتفاخر بالحسن، ليجعلوا ذلك عوناً لهم على إثبات الجميل، واصطناع المعروف، ومزجرة لهم عن إثبات القبيح وفعل العار، وليؤدبوا أولادهم بما أدبهم به آبؤهم، ثم الحفظ الذي لا يقدر أحد على مثله، وإن دونه عنده وجلده في كتبه.

وخصلة لا تصاب إلا فيهم، وذلك أن العي والبيان في كل قوم مبعوث متفرق، ولست واجداً بالبادية عياً رأساً، على أنهم وإن تفاوتوا في البيان فليس ذلك بمخرج أحسنهم إلى العي. وفيهم أيضاً خصلة لا تصاب إلا فيهم، وذلك أن سلفة كل جيل وعلية كل صنف إذا اشتد تشاجرهم، فطالت ملاحقتهم، وكثر مزاحمهم، والدعابة بينهم، وجدتهم يخرجون إلى ذكر الحرمات، وشتم الأمهات، واللفظ السيئ، والسفه الفاحش، ولست بسامع من هذا وشبهه حرفاً بالبادية، لا من صغيرهم ولا كبيرهم، ولا جاهلهم، ولا عالمهم، وكيف يقولون هذا والحيان منهم يتعابيان بدون ذلك. وليس في الأرض صبيان في عقول الرجال غير صبيانهم، وكل شيء تقوله العرب، فهو سهل عليها وبطبيعة منها؛ وكل شيء تقوله العجم، فهو تكلف واستكراه. وللعرب البديهة في الرأي والقول خاصة، ولهم الكنى مع أسماء خاصة، وهي من التعظيم؛ وقد زعم قوم من الفرس: أن فيهم الكنى، واحتجوا بقول عدي ابن زيد. أين كسرى كسرى الملوك أبوسا ... سان أم أين قبله سابور وليس كذلك، إنما كناه عدي بن زيد على عادته، حين أراد تعظيمه، إن صحت الكنية في هذا البيت.

فأما عمرو بن العلاء، ويونس النحوي، وأبو عبيدة، فرووا جميعاً أن عدياً قال: أين كسرى كسرى الملوك أنوشر ... وان، أم أين قبله سابور فأخطأ الرواية، وقيل ذلك عنه من لا علم له، وليس في الأرض أعجمي له كنية إلا أن تسكنيه العرب. وليس في الناس أشد عجباً بالخيال من العرب، ولا أصنع لها، وأكثر لها ارتباطاً، ولا أشد لها إثارة، ولا أهجاً لمن لا يتخذها، أو لمن اتخذها وأهانها، وأهزلها، ولا أمدح لمن اتخذها وأكرمها ولم يهنها، ولذلك أضيفت الخيل إليهم بكل لسان، حتى قالوا جميعاً: هذا فرس عربي، ولم يقولوا: هذى فرس هندي، ولا رومي، ولا فارسي، فحصنوها تحصين الحرم، وصانوها صون الأعراض، ليبتذلوها يوم الروع وليدركوا عليها الثأر. وكانوا يؤثرونها على أنفسهم وأولادهم، ويصبرون على مؤزنتها في الجذب والأزل، ويغتبقون الماء القراح، ويؤثرونها بالخليب، لأنها كانت حصونهم ومعاقلهم؛ وقالوا في إثارة أشعاراً كثيرة في الجاهلية والإسلام، ليقتدى الآخر منهم بالأول، ولتبقى ذكر مآثرهم وقديم مفاخرهم. فمن أشعارهم في الجاهلية: قول الأسعر الجعفي، اسمه مرثد بن حمران، وسمي الأسعر بيت قاله، البيت: فلا تدعني الأقوام من آل مالكٍ ... إذا أنا لم أسعر عليهم وأتقب وهو هذا:

لكن قعيدة بيننا مجفوة ... ناد جناجن صدرها لها غنا

تقفي بعيشة أهلها وثابة ... أو جرشع عبل الحارم والشوى  
وقال خالد بن جعفر بن كلاب:

أريغوني إراغتمك فإني ... وحذفة كالشجا تحت الوريد  
مقربة أسويها بخز ... وأحفها ردائي في الجليد  
وأوصى الحالبين ليؤثروها ... لها لبن الخلية والصعود  
وقال الضبي:

نوليها الصريح إذا شتونا ... علاتنا ونلى السمارا  
وقال عمرو بن مالك:

وساح كعقاب الدجن أجعله ... دون العيال له الإيثار واللطف  
وقال جرير بن لوزان، وقيل لعنترة: ؟لا تذكرى مهري وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجر  
كذب العتيق وماء شن باردٌ ... إن كنت سائلي غبوقا فاذهي  
إني امرؤ إن يأخذوني عنوة ... أقرن إلى سير الركاب وأجنب  
إني لأخشى أن تقول حليلتي ... هذا غبار ساطع فتليب  
؟إن العدو لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضي  
ويكون مركبك العقود وحده ... وابن النعامه يوم ذلك مركبي  
وقال لبيد بن ربيعة:

معاقلنا التي نأوي إليها ... بنات الأعوجية والسيوف  
الأعوجية: منسوبة إلى الأعوج: فرس كريم.

وقال المرار بن منقذ الحظلي:

أخلصته حولين أمسح وجهه ... وأخو المواطن من يصون ويدأب  
وجعلته دون العيال مقربا ... حتى انجلت وهو الدخيل المقرب  
وقال طفيل بن عوف الغنوي:

إني وإن قل مالي لا يفارقي ... مثل النعامه في أوصالها طول  
أو ساهم الوجه لم تقطع أباجله ... يسان وهو ليوم الروع مبدول  
تقريبها المرطى والجوز معتدل ... كأنه سبد بالماء مغسول  
وقال آخر: ؟بني عامر إن الخيول وقاية لأنفسكم والموت وقت مؤجل  
أهينوا لها ما تكرمون وباشروا ... صيانتها والصون بالخيول أجمل  
متى تكرموها يكرم المرء نفسه ... وكل امرئ من قومه حيث ينزل  
وقال آخر من بني تميم، قد سأله بعض الملوك فرسالة يقال لها: سكاب، فمنعه إياها:

أبيت اللعن إن سكاب علق ... نفيس لا يباع ولا يعار  
مفداةً مكرمةً علينا ... يجاع لها العيال ولا تجاع

سليلة سابقين تناجلاها ... إذا نسباً يضمهما الكراع  
وفيهما عزّة من غير نفرٍ ... يجيدها إذا حر القراع  
فلا تطمع آيت اللعن فيها ... ومنعكها بشيء يستطاع  
وكفى يستقل بحمل سيفي ... وي من تمضميني امتناع  
وحولى من بني قحفان شيبٌ ... وشبانٌ إلى الهيجا سراع  
إذا فزعوا فأمرهم جميعٌ ... وإن لاقوا فأيديهم شعاع

ولهم أشعار كثيرة غير هذه في إكرام الخيل في الجاهلية، غير ما قالوا في الإسلام.  
قال: وهم مع ما حكيت لك من صحة العقل، وكرم الطبيعة، وحسن البيان، وسعة المعرفة، وجودة الرأي،  
وشدة الأنفة: يعبدون الحجارة، ويحلفون بها، ويحاربون دون كسرهما، وتمجبنها، وينكسون لها، ويدعونها  
آلهة، ويخطبونها، ولا يستحيزون عيبتها، وينكرون على من ينتقصها، ثم مع ذلك ربما رموا بها، واتخذوا  
سواها، ثم كانوا يرون أن الرجل منهم إذا مات فلم يأخذ وليه بعده بعيره، فيحفر له حفرة ثم يقبده على  
شفيرها، وي طرح برذعته على وجهه ورأسه، ثم لا يسقيه ولا يعلفه حتى يموت، ثم ن ذلك الرجل الميت  
بزعمهم يحيا يوم القيامة حافياً راجلاً، وإذا فعل ذلك أتى ركباً، وذلك البعير البلية، قال أبو زيد:

؟ كالبلايا رؤوسها في الولايا ... ما نحات السموم حر الحدود  
يعني الناقة التي كانت تعكس على قبر صاحبها، ثم تطرح الولية على رأسها إلى أن تموت، وقال الطرماح:  
منازل لا ترى الأنصاب فيها ... ولا حفر المبلى للمنون  
أي أنها منازل أهل الإسلام دون أهل الجاهلية، ويقولون: أيما رجل قتل، فلم يطلب وليه بدمه، خلق من  
دماغه طير يسمى: هامة، فلا يزال يزقو على قبره، وينعى إليه عجز وليه، حتى يبعث، قال الشاعر:

فإن تك هامة بهراة تزقو ... فقد أزقيت بالمروين هاما  
وقال جريبة بن أشيم الأسدي، وهو أحد شياطين بني أسد وشعرائها:  
لا تزقون لي هامة فوق مرقب ... فإن زقى الهام أحيث خابث  
وقال توبة بن الحمير:

فلو أن ليلي الأخيلىة سلمت ... علي ودوني تربةً وصفائح  
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا ... إليها صدى من جانب القبر صائح  
وكانوا يقولون: أيما شريف قتل، فوطأته امرأة مقلاة: عاش ولدها، قال بشر بن أبي حازم:  
تظل مقاليت النساء يطأنه ... ألا يلقي على المرء متزر  
وكانوا يقولون: إذا كان لرجل ألف بعير فلم يفقأ عين بعير منها: إن السواف تأتي على إبله، فإن زادت  
على ألف: فقأ عينيه جميعاً، فذلك: المفقأ والمعمى.  
وكانوا إذا أجذبت بلادهم، فأرادوا الاستمطار: أخذوا بعيراً أورق فشدوا في ذنبه العشر والسلع وصعدوه  
في جبل وأشعلوا في ذنبه النار، ودعوا وتضرعوا، فإن لم يفعلوا ذلك لم يستجب الله منهم، بزعمهم.

وكانوا إذا وقع العر في الأبل: يأخذون بعيراً سليماً لا عيب فيه، فيقطعون مشفره ثم يكورونه، ليذهب العر من سائر الإبل وإلا فشا فيها، قال النابغة:

وحملني ذنب امرئ وتركته ... كذي العر يكوي غيره وهو راتع

وكانوا يرون أن النهيس إذا علقوا عليه الحلبي سلم، وإن لم يعلقوها عليه هلك.

وكان الرجل منهم إذا غزا عقد خيطا في ساق شجرة، فإذا رجع ورآه منحلاً، فقد خانته قعيدته، بزعمهم، وإن وجده بحاله، فقد حفظت نفسها، قال الشاعر:

هل ينفعنك اليوم إن همت بهم ... كثرة ما توصى وتعقاد الرتم

والرتمة: اسم الخيط بعينه.

وكانوا يقولون: إذا أحب الرجل امرأة وأحبته، فإن لم يشق عليها برقعها وتشق رداءه، فسد حبهما، وإن فعلا ذلك، دام حبهما، قال سحيم عبد بني الحساس:

وكم قد شققنا من رداء محبر ... ومن برقع عن طفلة غير عانس

إذا شق برد شق بالبرد مثله ... دواليك حتى كلنا غير لابس

هذا مع إيمانهم بغزو الجن وتلون الغيلان، وأن الجن هي التي طردت أهل وبارعن ديارهم، وصارت الجن سكانها، فليس بها إلا الجن والوحش.

ومع مذهبهم في الحامي والبحيرة والوصيلة والسائبة، مع أمور كثيرة لا يحتاج إلى ذكرها. وإنما أردنا من ذلك أن يعرف الناس تفاوت ما بين حال العاقل في دنياه ودينه، فإذا صار إلى التكذيب والتصديق والأيمان والكفر، صار إلى غير الذي كان.

قال: ثم ملنا إلى الهند، فوجدناهم يقدمون في الحساب والنجوم، ولهم الخط الهندي خاصة، ويقدمون في الطب، ولهم أسرار الطب وعلاج فاحش الأدوية، ولهم حفظ التماثيل، ونحت الصور مع التصوير بالأصباغ كزي الحاريب وأشبه ذلك، ولهم الشطرنج، وهي أشرف لعبة، وأكثرها تدبيراً وفطنة، ولهم صنعة السيوف، ولهم الكنكلة، وهو وتر واحد على قرعه فيقوم مقام العود والصنج، ولهم ضروب الرقص والخفة، ولهم الثقافة خاصة، ولهم السحر، والتدخين، والخطب الطوال، ولهم الرأي والنجدة والصبر، وليس لأحد من الصبر ما لهم، ولهم الزى الحسن والأخلاق المحمودة، والسواك والخضاب.

وهم - مع جميع ما ذكرنا - أصحاب بددة، ينحتونها بأيديهم، ويوجون عبادتها على أنفسهم، وهم اجتلبوها وأوجبوا طاعتها، ثم يتكفنون، ويتصنلون، ويحملون معهم الألفاظ والهدايا، ويدخلون النيران، إذا اشتاقوا إلى موتاهم، على أنهم بزعمهم يرجعون إلى أهلهم، إذا قضوا أوطارهم من زيارة موتاهم، لا ينهى الآخر طول غيبة الأول، مع هذه الحكمة الشريفة، والأخلاق السنية، والمعرفة الحسنة، يعرفون من أمر الدنيا ما لا يعرفه أحد، ويجهلون من أمر الدين ما لا يجله أحد.

قال: ثم ملنا إلى الروم، فوجدناهم أطباء وحكماء ومنجمين، ولهم أصول اللحون وصنعة القرسطون، وكيان الكتب، وهم الغايات في التصوير، يصور مصورهم الإنسان حتى لا يغادر شيئاً، ثم لا يرضى بذلك

حتى يصوره شاباً، وإن شاء كهلاً، وإن شاء شيخاً، ثم لا يرضى بذلك حتى يصوره باكياً أو ضاحكاً، ثم لا يرضى بذلك حتى يجعله جميلاً ناعماً عتيقاً، ثم لا يرضى بذلك حتى يفصل بين ضحك السامت، وضحك الخجل، وبين المبتسم والمستعبر، وبين ضحك السرور وضحك الهزئ، وضحك المتهدد، فيركب صورة في صورة، وصورة في صورة، وصورة في صورة؛ ثم لهم في البناء ما ليس لغيرهم، ومن الخطر والنجر والصناعة ما ليس لسواهم.

ثم هم مع ذلك أصحاب كتاب وملة، وهم بعد في الجمال والحساب، والقضاء في النجوم، والخط، والنجدة والرأي، وأنواع المكيدة، ما لا ينكر ولا يجحد؛ وإنما قلت عقول الزنج، وأشباه الزنج، لتباعدهم عن هذه الخصال.

ثم هم - مع ذلك أجمع - : يرون أن الآلهة: ثلاثة بطن اثنان وظهر واحد، كما لا بد للمصباح من الدهن، والفتيلة، والوعاء، فكذلك جوهر الآلهة، فزعموا أن مخلوقاً استحال خالقاً، وأن عبداً تحول رباً، ون حديثاً انقلب قديماً، إلا أنه قد قتل وصلب بعد هذا، وفقد، وجعل على رأسه أكاليل الشوك، ثم أحيا نفسه بعد موته، وإنما أمكن عبيده من أخذه وأسرره، وسلطهم على قتله وصلبه، ليواسي أنبياءه بنفسه، وليتجنب إليهم بالتشبيه بهم، ولأن يستصغروا جميع ما صنع بهم، ولئلا يعجبوا بأعمالهم فيستكثرونها لربهم، فكان عندهم أعظم من جرمهم.

قال: فلولا أنا رأينا بأعيننا، وسمعنا بأذاننا، لما صدقنا ولا قبلنا أن قوماً متكلمين، وأطباء ومنجمين، ودهاة وحساباً، وكتابة وحذاق كل صنعة، يقولون في إنسان رأوه يأكل ويشرب، ويبول وينجو ويجوع ويعطش، ويكتسي ويعري، ويزيد وينقص، ثم يقتل بزعمهم ويصلب: إنه رب خالق، وإله رازق، وقديم غير محدث، يميت الأحياء ويحيى الموتى، وإن شاء خلق أضعافاً للدنيا، ثم يفخرون بقتله وصلبه، كما يفخر اليهود بقتله وصلبه.

قال: ثم ملنا إلى فارس، فوجدنا هناك العقول التي لا تبلغها عقول، والأحلام التي لا تشبهها أحلام والسياسة العجيبة، والملك المؤبد، وترتيب الأمور، والعلم بالعواقب؛ ثم كانوا مع ذلك يغشون الأمهات، ويأكلون الميتة، ويتوضون إلا بوال، والماء لهم مباح، ويعظمون النار، وهم أظهورها، فإذا شاءوا أطفأوها؛ ويقولون: بأن الله تعالى كان وحده لا شيء معه، فلما طالت وحدته استوحش، فلما استوحش فكر، فلما فكر، تولد من فكرته أهر من، وهو إبليس، فلما مثل بين يديه أراد قتله، فلما أراد قتله امتنع، فصالحه إلى أجل معلوم، ووادعه إلى مدة مسماة، على لا يمتنع عليه إذا استوفى الأجل وبلغ المدة؛ ثم أن أهر من نوى الغدر، وذلك شيمته، فأنشأ يخلق أصناف الشر، يستمد بها عليه؛ فلما عرف ذلك منه أنشأ يخلق أصناف الخير، ليضع يازاء كل جند جنداً، وله بعد ذلك فضل قوته، وإنه يسمى القديم دونه.

ثم قولوا في قسمة العوالم الخمس عندهم، وفي أسمائها وجواهرها وهيئاتها، وفي خلق مهنة ومهينة وهما آدم وحواء، وفي سوين المنتظر عندهم، ولا يستطيع وصفه أحق منقوص، ولا عالم تام، ولو جهد كل جهده واستفرغ كل قوته.

قال: ووجه يستدل به على قلة عناية الناس بأكثر الدين، وإن شأهم تعظيم الرجال، والاستسلام للمنشأ، والذهاب مع العصية والهوى، والرضى بالسابق إلى القلوب، واستثقال التمثيل، وبغض التحصيل، ما تجد من اعتقاد أكثر البصريين وسوادهم لتقديم عثمان بن عفان، ومن اعتقاد أكثر الكوفيين وسوادهم لتقديم علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن اعتقاد أكثر الشاميين لدين بين أمية، وتعظيم عثمان وحب بني مروان، حتى غلط لذلك قوم، فزعموا أن ذلك من قبل الطالع، وقال آخرون: بل من عمل التربة، كما تجد لأهل كل ماء وهواء وطينة: نوعاً من الأخلاق، والمنظر والزبي، والصناعة واللغة؛ وليس ذلك - أكرمك الله - إلا من قبل تقليد السلف، وحب الرجال، وما وقع في القلوب، وهيجته الحجة، لأن تقليد الآباء هو الذي ارتقنهم، وحب الرجال هو الذي أعماهم وأصمهم، والنسق على التقليد هو الذي ملاً خواطرهم، وأمات قلوبهم، ولو كن ذلك من قبل الطالع أو التربة، لما حسن الأمر والنهي، ولما جاز الحمد والثواب، واللائمة والعقاب، ولما كان لإرسال الرسل معنى؛ ولو كان ذلك للطالع والبلدة، لجاز ذلك في المصيب كما في المخطئ، ولجاز في الناظر كما جاز في المقلد.

وإنما صير أكثر أهل البصرة عثمانية، لأنهم كانوا صنائع ثلاثة أمراء عليهم: أولهم عبد الله بن عامر، والثاني زياد، والثالث الحجاج بن يوسف، وهؤلاء الثلاثة الغايات في حب عثمان وبين أمية، فلم يقصروا في تقديمه واستمالة الناس إليه بالترغيب والترهيب، والسياسة والتدبير، ولصنائع ابن عامر فيهم فرع إليهم طلحة والزبير وعائشة، حين قدموا عليهم يطلبون بدم عثمان، ولأن علياً عليه السلام حاربهم وقتل أعلامهم وقلدهم، ولذلك قال رجل من كبراء البصريين في علي عليه السلام: كيف أحب رجلاً قتل من قومي من لدن كانت الشمس ههنا إلى أن صارت ههنا إحدى عشرة مائة.

ولو كان هذا من قبل البحث والنظر، لما صار أهل عمان كلهم أباضية، وغيرهم مرجية، ولما اختار أولاد النصراني كلهم النصرانية، وأولاد اليهود كلهم اليهودية، وأولاد المجوس كلهم المجوسية؛ وكيف يجوز أن يعتقد أولاد اليهود كلهم اليهودية بالنظر؟ وقد تجد الأخوين ينظران في الشيء الواحد فيختلفان في النظر، ولربما نظر الناظر فيصير له في كل عام قول، ولربما كان ذلك في كل شهر؛ فصح أن دين الناس بالتقليد لا بالنظر، وليس التقليد إلى الحق بأسرع منه إلى الباطل.

وروى الجاحظ في كتاب الأخبار أيضاً، عن أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام، أنه قال - في الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - : وكيف يجيز السامع صدق المبخر، إذا كان لا يضطره خبره، ولم يكن معه علم يدل على صدق غيبه، ولا شاهد قياس يصدق، وكون الكذب غير مستحيل منه مع كثرة العلل التي يكذب الناس لها ودقة حيلهم فيها، ولو كان الصادق عند الناس لا يكذب، والأمين لا يخون، والثقة لا ينسى، والوفي لا يغدر، لطابت المعيشة، ولسلموا من سوء العاقبة.

قال إبراهيم: وكيف نأمن كذب الصادق، وخيانة الأمين، وقد ترى الفقيه يكذب في الحديث، ويدلس في الإسناد، ويدعى لقاء من لم يبلغه، من غريب الخبر ما لم يسمعه، ثم لا يرى أن يرجع عن ذلك في مرضه بل أن تفرغ نفسه وقد أيقن بالموت، وأشقى على حفرة، بعد طول إصراره، والتمتع بالرياسة في حياته، وأكل أموال الناس به؟ ولولا أن الفقهاء والمحدثين، والرواة والصلحاء المرضيين، يكذبون في الأخبار، ويغلطون في

الآثار، لما تناقضت آثارهم، ولا تدافعت أخبارهم.

قالوا: ولو وجب علينا تصديق المحدث اليوم لظاهر عدالته، لوجب علينا تصديق مثله، وإن روى ضد روايته، وخلاف خبره، وإذا نحن قد وجب علينا تصديق المتناقض، وتصحيح الفاسد، لأن الغلط في الأخبار، والكذب في الآثار، لم تجده خاصاً في بعض دون بعض!!

قال إبراهيم: وكيف لا يغلطون، ولا يكذبون، ولا يجهلون، ولا يتناقضون؛ والذين روى منهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا عدوى ولا طيرة، وأنه قال: فمن أعدى الأول؟ هم الذين روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: فر من المجدوم فرارك من الأسد، وأتاه رجل مجذوم لبياعه بيعة الإسلام، فأرسل إليه من بايعة مخافة أعدائه؛ وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين توجه إلى بدر أراد أن ينزل الصفراء، وهي بين جبلين، فسأل عن اسميهما، وعن الحيين النازلين بهما، فقييل: ينزلهما بنو النار، وبنو حراق، بطنان من بني عفار، فبتطير منهما، وتعداهما إلى غيرهما، واسم الجبلين الضيقين.

وأنه قال: الشؤم في المرأة والدار والداية.

قال: والذين يروون أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: خير أمتي القرن الذي بعثت فيه، هم الذين روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره).

قال: والذين روى منهم أن الصعب بن جثامة قال: يا رسول الله ذراري المشركين تطأهم خيلنا في ظلم الليل عند الغارة، قال: اقتلوهم فإنهم مع آبائهم؛ وأنه حين أغرى أسامة بن زيد إلى ناحية الشام، أمر أن يحرق المشركين بالنار وذراريهم؛ هم الذين يروون أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث سرية فقتلوا النساء والصبيان، فأنكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك إنكاراً شديداً؛ فقالوا: يا رسول الله، إنهم ذراري المشركين؛ وإن خالد بن الوليد لما قتل بالغمصا الأطفال، رفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يديه، حتى رأى المسلمون بياض أبطيه، وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، ثم بعث علياً عليه السلام فوداهم.

قال: والذين يروون أن خديجة قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله أرايت أطفالي منك أين هم؟ قال: هم في الجنة، قالت: أفرأيت أطفالي من غيرك أين هم؟ قال: في النار، فأعادت عليه الكلام، فقال مثل ذلك، فلما أعادت عليه، قال: ن سكت وإلا أسمعك ضغاءهم في النار.

وإن عقبة بن أبي معيط لما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتله قال: من للصبيبة؟ قال: النار. هم الذين روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: المؤودة في الجنة والشهيد في الجنة وإن أولاد المشركين خدم أهل الجنة.

قال: والذين روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن الله جل ذكره أوحى إلي إني خلقت عبادي كلهم حنفاء فأتتهم الشياطين فآغتنلتهم عن دينهم، وأنه قال: كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه الذين يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه. هم الذين روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فهو يعمل للسعادة، وإن كان من أهل الشقاء فهو يعمل للشقاء؛

وأن الله عز وجل مسح ظهر آدم فقبض قبضتين، فأما الذين في قبضته اليمنى فقال: إلى الجنة برحمتي، وقال للذين في اليسرى: إلى النار ولا أبالي، والسعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقى في بطن أمه، وإذا وقعت النطفة في الرحم أوحى الله إلى ملك الأرحام: اكتب فيقول: يا رب ما أكتب؟ قال: اكتب شقياً أو سعيداً.

والذين رَووا أن القدرية مجوس هذه الأمة، وأنهم قد لعنوا على لسان سبعين نبياً؛ هم الذين رَووا أن ميكائيل كان قدرياً حتى خصمه جبريل، وأن موسى كان قدرياً حتى خصمه عمر.

قال: وتلوا علينا قول الله عز وجل: (وإبراهيم الذي وفى، ألا تزرر وازرّة وزر أخرى).

ثم رَووا أن ولد الزنا شر الثلاثة، وأن المعول عليه يعذب بعويل أهله، وأما صبي مات ولم يعف عنه أبواه فهو محتبس عن الجنة حتى يعفا عنه.

قال: وتلوا علينا: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقوله: (ولقد اخترناهم على علم على العالمين)، وأن النبي

صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ما كفر نبي قط)، ثم رَووا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على دين قومه أربعين سنة، وأنه قال: ما ذبحت للعزى إلا كبشاً واحداً؛ وأنه زوج ابنتيه: عتبة بن أبي لهب وأبا العاص بن الربيع، وأنه قال - قبل الوحي - لزيد بن عمرو بن نفيل: يا زيد، إنك فارقت دين قومك وشتمت أهلتهم، فقال له زيد:

يا أيها الإنسان إياك والردى ... فإنك لن تخفى من الله خافياً

والذين رَووا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا يفضلني أحدٌ على يونس بن متى، فقد كان يرفع له في اليوم الواحد مثل عمل جميع أهل الأرض؛ هم الذين رَووا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر، وإن كل نبي يقول في القيامة: نفسي نفسي!!

وأنا أقول: أمتي أمتي، ومعى لواء الحمد) وهم الذين رَووا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا تفضلوا بعض الأنبياء على بعض، فإنهم بنو علات أمهاتهم واحدة، والذين رَووا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن روح الشهداء تكون في حواصل طير خضر تأوي الليل إلى قناديل في الجنة، وإن الأرواح في الهوا جنود مجندة، تتشام كما تتشام الخيل، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقف على قلبب بدر فقال: يا عتبة بن ربيعة، يا شيببة بن ربيعة، يا أبا جهل، يا أمية بن خلف: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقبل له في ذلك، فقال: والذي نفسي بيده إنهم ليسمعون كما

تسمعون، وإن منكراً ونكيراً ليأتيان الرجل في قبره فيسألانه: من ربك وما دينك؟ وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: والذي نفسي بيده إنهم ليسمعون خفق نعالكم. هم الذين تلوا علينا: (وما أنت بمسمع من في القبور) وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: اللهم رب الرواح الفانية والأجساد البالية.

وأن عبد الله بن عباس سئل عن الأرواح أين تكون إذا فارقت الأجساد وأين تذهب الأجساد إذا بليت؟

قال: أين يذهب السراج، إذا طفى، وأين يذهب البصر إذا عمى، وأين يذهب لحم الصحيح إذا مرض؟

فقال السائل: لا أين!! قال: كذلك الأرواح، إذا فارقت الأجساد.

قال: والذين رووا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ليؤمكم خياركم فإنهم وفدكم إلى الجنة؛ وقال: صلاتكم قربانكم، فلا تقربوا بين أيديكم إلا خياركم، ولا صلاة لإمام قوم له كارهون. هم الذين رووا: صلوا خلف كل إمام، براً كان أو فاجراً، ولا بد من إمام بر أو فاجر.

قال: والذين رووا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: وأذن لي أن أحدث عن ملك من الملائكة رجلاه في الأرض السفلى وعاتقه تحت العرش، ما بين عاتقة إلى شحمة أذنه سبعمائة عام، خفقان الطير المسرع؛ هم الذين رووا أن الله عز وجل ينزل عشية عرفة، ويوم النصف من شعبان على جبل أورق، وأنه ينزل في قفص من ذهب.

والذين رووا أن أربعة أملاك التقوا، واحداً من المشرق، والآخر من المغرب، وآخر من السماء السابعة، وآخر من الأرضين السفلى، فقال كل واحد منهم للآخر: أين تركت ربك؟ فقال: من عند ربي جنت!! هم الذين رووا أن حمل العرش من فرق غضب الله يتقل العرش على كواهلهم، وأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أتاني ربي في أحسن صورة فوضع كفه بين كفتي فوجدت برد أنامله بين ثدي.

قال إبراهيم: ثم يتحدث فقيهم بمثل هذه الأحاديث، ويخبر بمثل هذه الأخبار، ويشهد على الله عز وجل بمثل هذه الشهادة، وهو غير محتفل بذلك ولا مستح منه.

وإنما ذكر الجاحظ والنظام: أن دين الناس بالتقليد، لا بالنظر والبحث والاستدلال، وقد ذم الله تعالى في كتابه المقلدين فقال: (إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مقتدون) الأمة ههنا: الدين. وقالت العلماء: المقلد مخطئ في التقليد، ولو أصاب الحق، لأن من اعتقد الحق بغير حجة ولا دليل، مثل من اعتقد الباطل بغير حجة ولا دليل، وإذا دخل في الحق بالتقليد، خرج منه بالتقليد، قال الشاعر في ذم التقليد:

ما الفرق بين مقلدٍ في دينه ... راضٍ بقائده الجهول الحائر

وبهيمة عمياء قاد زمامها ... أعمى على عوج الطريق الجائر

وفي كل أهل مذهب ثقة يسندون إليه، وعالم يعتمدون عليه، وكلهم يحنج بقول الله تعالى، ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كثر التندليس في الكتب، والزيادة في الأخبار، والتأويل لكتاب الله عز وجل، على قدر الأهواء والمذاهب والآراء.

فيجب على العاقل التيقظ والتحرز والتحفظ من التقليد، الذي هلك به الأولون والآخرون، وجار عن قصد السبيل الحائرون، أعاذنا الله من إتباع الأهواء في الدين، وانقياد الأتباع والمقلدين.

وقوله في الرسالة: فمن شبق منهم وانعظ، فقد كفر وما انعظ.

والشبق: شهوة النكاح، وهو مصدر شبق يشبق شبقاً، قال رؤبة بن العجاج:

لا يترك الغيرة من عهد الشبق

ويقال انعظ الرجل: إذا تحرك عضوه.

وقوله: ووجب عليه القتل، وعبادته مكيدة وختل، فعملت رجالهم في استحضار المنية، وحمل للهدايا السنينة، والتكفن والتضمخ بالصندل.

وقوله: وطرح النفوس في النار طرح عود المنديل.

عود المنديل: الذي يتبخر به، والمنديل: بلد من بلاد الهند إليها ينسب العود، قال العجيز السلوي يصف جارية بطيب الريح:

إذا ما مشت نادى بما في ثيابها ... ذكى الشذا والمندي المطيب

والشذا: كسر العود ههنا، ويروى: المندي المطير.

وقوله: شوقاً إلى زيارة من هلك من الأحباب.

وقوله: وكم للجهل في الناس من سورة وعباب!! السورة: الحدة، ومنه سورة الشراب. والعباب: الكثرة والزيادة، ومنه عباب الماء.

وقوله: وما فعلت الروم في عبادة الصليب، والحض على ذلك والتأليب، وأكل لحوم الخنازير، بغير تثريب على الأكل ولا تعزير، وقولهم أمكن ربه عبيده من أسره وغلبه، وأقدرهم على قتله وصلبه، ليتأسى بذلك أنبياءه، ويتشبه حزبه وأولياؤه، ثم أحيا نفسه بعد الموت، وأعادها بعد القوت.

صليب النصرى معروف، والصليب: المصلوب، ومنه صليب النصرى، مثل قتيل وصرير وما شاكله، والصليب أيضاً: الودك: قال مرة بن خويلد الهذلي، وذكر عقابا:

جريمة ناهض في رأس نيقٍ ... ترى لعظام ما جمعت صليبا

يقال: اصطلب الرجل: إذا جمع العظام، فاستخرج ودكها ليأتمم به، قال الكميت الأسدي:

واحتل برك الشتاء منزله ... وبات شيخ العيال يصطلب

ويقال: المصلوب من هذا، لأنه يسيل ودكه على العود الذي يصلب عليه، والصليب العلم، قال النابغة:

ظلت أقاطيع أنعام مؤبلةٍ ... لدى صليب على الزراء منصوب

والحض: الحث، ومنه قوله تعالى: (ولا يحضون على طعام المسكين) والتأليب: الجمع، يقال: ألب الجيش: إذا جمعه. والتثريب: اللوم والتعنيف، ومنه قوله تعالى: (لا تثريب عليكم اليوم).

والتعزير: الضرب والتأديب، وهو الحد، والتعزير أيضاً - في غير هذا الموضع - : التعظيم، ومنه قوله تعالى: (وتعزروه وتوقروه).

وقوله: وما فعلت الفرس في عبادة النيران، وغسل الوجوه بأبوال النيران، وأكل الميتة ووطء الأمهات،

بصریح الحدود لا الشبهات، واحتجوا بأن الذبح مؤلم ضار، والنكاح لأهله سار.

النيران: جمع نار، وهو جمع فعل بفتح الفاء إلا أنه معتل العين بالألف، وكان أصل ألفه واواً يدل على ذلك تصغيره فنقول: نوية.

والنيران: جمع ثور، وهو جمع فعل بتسكين العين، وأتى الجمعان بلفظ واحد.

وكانت الجوس يغسلون وجوههم بأبوال البقر، تحشعاً وتقرباً إلى الله تعالى، قال الشاعر فيهم، وفي غيرهم من أهل المذاهب:

عجبت لكسرى وأشياعه ... وغسل الوجوه بيول البقر  
وقول النصرى إله يضام ... ويظلم حقاً ولا يتنصر  
وقول اليهود إله يجب ... كسيس لدماء وريح الفتر  
وقوم أتوا من أقاصي البلاد ... لرمي الجمار ولثم الحجر  
فوا عجباً من مقالهم ... أيعمى عن الحق كل البشر

قوله: وقالوا للخلق فاعلان متضادان، أحدهما إهر من والآخر يزدان، فيزدان فاعل الخير والسرور، واهر من فاعل الغم والسرور، وقالوا ليس الحكيم لما بني من الحكمة هادماً، ولا يصيح على الفعل الحسن نادماً، ونسبوا فعل ذلك إلى العيث، وصريح الأديان شبيه بالخيث.  
وما فعل أصحاب السبت في استقباح نسخ الأديان، وحظر المناهل على الصيدان، إلا منهلاً واحداً للفارط والتالي، والعشار والمتالي، وقالوا النسخ هو البدأ، ولا يجوز على الرحمن أبداً، ورووا عن موسى أنه قال إن شريعته غير منسوخة، وعقدتها غير محلولة ولا مفسوخة، وحججهم من التوراة، وكل الفرق ظاهر العورات.

الصديان: العطشان. والمنهل: المورد. والنهل: الشرب في أول الورد، ومنه اشتقاق المنهل. والحظر: المنع والتحریم، ومنه قوله تعالى: (وما كان عطاء ربك محظوراً).

والفارط: المتقدم في طلب الماء. والتالي: الذي يتلوه. والعشائر: جمع عشراء وهي الخوامل التي لها عشرة أشهر منذ حملت، ثم كثر استعمال ذلك حتى قيل لكل حامل عشراء. والمتالي: التي يتلوها أولادها.  
وقوله: وما فعلت الجالوتية منهم في مضاهاتها الرقوب، وإرثها الأرض عن يوسف بن يعقوب، وما وجدت في سفر شعيا أو دانيال من صفة قديم الأيام، أنه لا يزال من الأملاك في فيام، قاعداً على الكرسي، بيده ناصية كل وحشي وأنسي، أبيض اللحية والرأس.  
المضاهاة: المشابهة، ومنه قوله تعالى: (يضاهون قول الذين كفروا).  
والرقوب ههنا: المرأة التي لا يعيش لها ولد، والرقوب ههنا: المرأة التي ترقب موت زوجها لترثه. والرقوب: الناقة التي لا تشرب مع الأبل إذا ازدحمت على الحوض لكرمها.  
والجالوتية يقولون: إن الله عز وجل ملك الأرض يوسف بن يعقوب ونحن وارثوه، والناس ممالك لنا.  
والسفر: الكتاب، جمعه أسفار.

وشعياً: هو شعيا بن راموص النبي عليه السلام، وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل.

وقديم الأيام عندهم: هو الله تعالى.

والقيام: الجماعة.

وقوله: لما مر علي من الأحراس.

وما فعلت السامرية منهم في عبادة العجل الذي له خوار، ولكل جلس من المذاهب شين وعوار، والسامرية بالقول يعلنون، ألا نبوءة لغير موسى ويوشع بن نون.

وما فعلت العزيزية منهم في عزير، وسيرهم فيه بأبعد السير، ورفع له من درجة النبوة، إلى نبوة الأبوة.  
الأحراس: الدهور، واحدها حرس، وهو الدهر.

وقوله: وما فعل أصحاب الأحد في المسيح، وسيرهم فيه بالعنق الفسيح، وقولهم في الحي القيوم، هو ثلاثة  
أقانيم يوصف بأقوم، أبّ وابن وروح قدس، وكل يدين بتظنن وحدس؛ وحججهم من الإنجيل، وضل عن  
قصد السبيل كل جبل.

وما فعلت منهم اليعقوبية، فيما جعلت لعيسى من الربوبية؛ زعمت أنه كان قديماً لا في مكان، ثم تجسم  
فصار جسداً ذا أركان، وأه تناسى بعد علم، وتجسم بعد أن كان غير جسم، وأنه قادر على الزيادة في  
الذات، ليصل بذلك إلى اللذات، ونفوا عنه لذلك وهن العجز، وما يختص بغيره من المنع والحجز، لأنه  
القادر على ما يشاء، لا يتعذر عليه الفعل والإنشاء.

أصحاب الأحد: النصارى، وهم يعظمون من الأيام الأحد، مثل ما تعظم اليهود السبت، ويعظم المسلمون  
الجمعة.

والعنق: السير الفسيح.

والأقانيم: الأشياء بلغة النصارى، واحدها: أقوم.

وقوله: وما فعلت النسطورية منهم في صفات اللاهوت، واستتاره ببدن الناسوت.

اللاهوت: الإله بلغة النصارى. والناسوت: الإنسان بلغتهم.

وقوله: وقولهم في الماسح والممسوح، ولم يزل الجهل نازلاً بكل سوح.

الماسح عندهم: هو الله تعالى. والممسوح: هو الذي انتقل إليه، وهو عيسى. والسوح: جمع ساحة.

وقوله: وما فعلت الفلاسفة في ضرب المزاهر، والأطناب في الأعراض والجواهر، ووصف المركب والبسيط،

وما ظفروا من الدين بفسيط، وأقدامهم على أبطال الشرائع؛ وقولهم بتدبير الأربع الطبائع.

المزاهر: جمع مزهر وهو العود. والأطناب: المبالغة.

والأعراض: جمع عرض، وهو صفة الجوهر.

والجواهر: جمع جوهر، وهو القائم بذاته الحامل للأعراض، والجوهر عندهم على ضربين: مركب وبسيط،

فالمركب: هو الجسم مثل الجسد وما شاكله، والبسيط: هو النفس والروح وما شاكل ذلك، والنفس: هي

الروح عندهم، وهي القوة الناطقة، فكل جسم عندهم جوهر، وليس كل جوهر جسماً.

والفسيط: قلامة الظفر. والفسيط: تفروق التمرة، وهو قمعها.

وقوله: وقد قالوا مع الأربع بخامس، كهول هرمس الهرامس، وأكثر الفلاسفة، على غير الطريق عاسفة، وفي

أباض من الحيرة راسفة، وشموسها المنيرة كاسفة.

وما فعلت الهولانية في قدم الهيولى الذي عندهم أصل الأشياء، ومدبر للموات والأحياء، بتحرك قوة في

الجوهر أصلية، قديمة أزلية، تجعل الميت ناطقاً من الحيوان، وتفرد بتدبير هذه الأكوان؛ وقولهم بقدم الجوهر

القابل للأعراض، والصحاح أشبه شيء بالمراض، وقيل هي مقالة أرسطاطاليس.

هرمس الهرامس بهذه اللغة: حكيم الحكماء.

والعسف: الأخذ على غير الطريق.

والأباض: الحبل الذي يوبض به البعير، يقال: أبض البعير بأبضه: إذا شد رسغ يده إلى عضده.

والرسفان: مشى المقيد.

وقوله: ومن اطلع على الأغنياء وجدهم مفاليس.

وما فعل أصحاب التناسخ في تنقل الأرواح في الأجساد، وصلاحها بعد الفساد، ومثوبة المحسنين بالأبدان الأنسية، وإهياً كل الحسية، وعقوبة المقدمين على الجرائم، بأبدان أعجم البهائم، ودوام الدنيا على الأبد. يقال: اطلع الأمر واطلع على الأمر: بمعنى إذا أشرف عليه وعرف حقيقته، وقد جاءت اللغتان معاً في كتاب الله، قال الله تعالى: (اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً) وقال تعالى: (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً) وقوله: وما للمشرين من سيد ولا لبد، وقيل: هي مقالة بزرجمهر ابن بختكان، وكم انقاد للغبي حكيم واستكان.

وما فعلت في تعطيلها الزنادقة، وفصلت في أحكامها المزدقة، زعموا أن أهل الأرض في الأرزاق متظالمون، وأنهم بين الناس في ذلك حاكمون.

المثرون: الأغنياء أصحاب الثراء وهو المال.

والسبد: الشعر. واللبد: الصوف، يقال للنقير: ما له سبد ولا لبد، قال الراعي:

أما الفقير الذي كانت حلوبته ... رفق العيال فلم يترك له سبد

وقوله: يقسمون الأرزاق بالسوية، ولا يجيزون الأثرة باللوية وما فعلت الفضائية في عبادة الفضاء، ورد الحكم له والقضاء، والمشبه في الخلق والإمضاء، قالوا لحاجة كل شيء في الشاهد إليه، وغناه عما أحاط به واستولى عليه، ولأنه لا تحصره الأماكن، ولا يغرب عنه ولا يشبهه متحرك ولا ساكن، وقالوا لأنه غير متناه، وما نهي الجاهل عن الجهالة ناه.

وما فعلت المانية الغوية، ومن وافقها من الشوية، إذ جعلت مع الله صانعاً، وله عن بعض الأفعال مانعاً؛ وقولهم بتدبير ربين خلاقين، وضدين متشاقين، حيين عالمين، ومن جميع الآفات سالمين، وهما النور والظلام، وما رشد الشيخ ولا الغلام، فالنور عن فعل القبيح متعال، والظلام لكل شر فعال؛ قالوا ولن يكون التضاد من الذات الواحدة ممكناً، فيكون الحسن مسيناً والمسيء محسناً، كما ليس في النار برودة، ولا الثلج حرارة. اللوية: ما خبأته المرأة لزوجها من الطعام وآثرته به، وكذلك ما خبأت لغيره، قال الراعي:

الآكلين اللوايا دون ضيفهم ... والقدر مخلوعة منها أثافيا

قوله: ولا في الشرى حلاوة، ولا في الأرى مرارة.

وما فعلت الديصانية في تدبير حي وميت، وطال التعلل بعسى وليت، فالحي هو النور الحساس للدراك، والميت هو الظلام الذي ليس له حراك، وكلاهما يزعمهم ربان، على البرية يعقبان، ولكل واحد منهما في الخلق من جنسه تأثير، وأود المذاهب وسقطها كثير.

وما فعلت المرقبونية في تدبير الثلاثة الأرباب، خالق الهرم وخالق الشباب، وثالث بينهما معدل، لما استقيح

من أفعالهما مبدل.

وما فعل الصابون في عبادتهم للملائكة المتعبدين، وخروجهم من دين إلى دين.  
وما فعلت البراهمة في نفي الوسائط، وكم للصحة والسقم من شائب وسائط، إلا واسطة العقل فإنها عندهم  
غير منفية، وشواهدا النيرة غير غامضة ولا خفية، قالوا لأن إرسال المرسل إلى من علم أنه يعصيه ويمثل  
برسله، دليل عندهم على عبث المرسل وجهله.

وما فعلت الأطباء في تدبير الطبائع، وكم للضرر من شارٍ وبائع؟ وما فعلت الفلكية في تدبير الفلك،  
وسلوك سبيل الغي فيمن سلك.

وما فعل الحرايون عبدة النجوم، وأصحاب الظن والهجوم، في تدبير البروج والأماك، على قدر نزولها في  
الأفلاك، وقضائها في الخبرات والشُرور، على التوالي والمرور.  
الشري: الحنظل. والأرى: العسل.

وقوله: وليس في التنجيم، غير ترجيم، ولا عند الكواكب، نفع لواكن ولا واكب.

وما فعلت السوفسطائية في نفي الحقائق، وقطع الأسباب في الدين والعلائق، لقد جار عن الحق سوفسطا،  
ومال عن الطريق الوسطى.

الترجيم، والرجم: الظن الذي لا يوقف على حقيقته.

والواكن: الطائر الذي يحضن بيضته في وكنه، يقال: وكن الطائر يكن وكوناً، ووكن الطائر، ووكنته وكره.  
والواكب: الذي يدرج في مشيته، والوكبان: مشية فيها درجان، ويقال: ظبية وكوب، ومن ذلك اشتقاق  
الموكب.

والمنجمون يزعمون أنهم يدركون في علم النجوم ما سيكون من علم الغيب، الذي لا يعلمه إلا الله تعالى،  
ولا يشاركه فيه أحد من خلقه، وفساد قولهم ظاهر، لقوله تعالى: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا  
من ارتضى من رسول)، ولقوله تعالى: (لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) وغير  
ذلك من الآيات.

وفي نهج البلاغة أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لما عزم على المسير إلى الخوارج، فقال له  
رجل من أصحابه: يا أمير المؤمنين، إن سرت في هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم،  
فقال عليه السلام: أتزعم أنك تمدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه الشر، وتخوف من الساعة التي  
من سار فيها حاق به الضر؟ فمن صدق بهذا، فقد كذب القرن، واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل الخيوب،  
ودفع المكروه، وتبغى بقولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربه، لأنك بزعمك هديته إلى الساعة التي  
نال فيها النفع وأمن الضر؟ ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به في بر  
وبحر فإنها تدعو إلى الكهانة، والمنجم كالكاهن والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار،  
سيروا على اسم الله عز وجل.

وقوله: ولقد اختص ما ذهب إليه بمذهبه، وبعد عن الأسفار قطع غيبه.

وما فعل أصحاب الدهر، ومن قال بتدبير السنة والشهر، فيما نقل عنهم من الأقوال، من قدم الأعيان وحدث الأحوال، وبعضهم يقول بقدوم الصفات، وما ظفر ذو السقم بالمعافات.  
وأما فرق هذه الملة، فللتقاطع مستحلة، يكفر بعضهم بعضاً، ويرى عداوته عليه فرضاً، وقد أمسكت كل طائفة برئيس، وعدت حسناً منه كل بئيس، ولكل محاسن ومساو، وقول ليس بمتساوي، وقل من يوجد على غير دين أبيه، ومعلمه وأقربيه، وداء الناس في دينهم داء قديم، ما صح معه من النعل أديم.  
يقال: أسفر الصباح: إذا أضاء، والقطع: ظلمة آخر الليل، ومنه قوله تعالى: (فأسر بأهلك بقطع من الليل) قال الشاعر:

افتحي الباب وانظري في النجوم ... كم علينا من قطع ليلٍ بهيم  
البهيم: الذي لا يخلط لونه لون سواه. والغيب: الظلمة، وجمعه غياهب.  
وقوله: ومن أوضع في المذاهب، وقع في الغياهب، وأغرق في البحث عن الفرق، لم ير ناجياً من الفرق.  
الإيضاح: الإسراع في السير، ومنه قوله تعالى: (ولأوضعوا خلالكم).  
وقوله: أو نظر في املل، عثر على الزلل، وأشرف على اختلاف، مؤد إلى إتلاف، وهجم على رياض مرة الثمار، منهجة للأعمار.

يقال عثر على الشيء: إذا اطلع عليه، ومنه قوله تعالى: (وكذلك أعثرنا عليهم).  
وقوله: وموارد ماؤها أجاج، والمسيغ لها مجاج.  
الأجاج: الماء المتلج المر. والمسيغ: الذي يسوغ له الشراب، يقال: ساغ الشراب في الحق، إذا نزل، وكانت له لذافة. والمجاج: الذي يمج الماء من فيه، أي يصبه.  
وقوله: في العين الصحيحة عور، وفي القناة الصليبية خور، يشقى بما الغامز والعاجم، شقاء وافد البراجم، فهل عند ضد أو ولي، من نب جلي؟ الخور: الضعف، يقال: رمح خوار أي ضعيف رخو غير صليب، ورجل خوار: أي ضعيف، وهو من الأول مصدره الخور، قال عمر بن لجأ التميمي يهجو جريراً:  
بل أنت نزرة خوارٍ على أمةٍ ... لا يسبق الحلبات اللؤم والخور  
والغمز: اللمس باليد ليعرف لاسمين من غيره، قال جرير:  
غمز ابن مرة يا فرزدق كينها ... غمز الطيب نغانغ المعذور  
وعجم العود: عضه ليعرف صلابته من خوره.

ومن أمثال العرب: إن الشقي وافد البراجم، وكان سبب ذلك أن عمراً ابن هند، عم النعمان بن منذر - وهو الذي يلقب مضرط الحجارة لتجبره وشدة ملكه - كان له أخ مسترضع في بني تميم، يقال له أسعد، فخرج يوماً يتصيد، فمر بأبل لرجل من بني تميم، فرمى ناقة منها فعقرها، فجاء صاحبها، فلما رآها معقورة وثب عليه فقتله، فنذر عمرو بن هند أن يقتل من بني تميم مائة، فغزاهم يوم أواره، فأقبل يقتلهم على الثنية، أي العقبة، وآلى ليقنتلهم حتى تصل دماؤهم الحضيض وليحرقنهم؛ فقال له الوصاف، وهو الحارث بن مالك من بني ضبيعة ابن عجل بن الحر: أيها الملك، لو ذبحت الخلق كلهم على حلق واحد، ما بلغت

دماؤهم الحضيض، وكنت قد أفسدت ملكك، ولم تبرر أليتك، ولكن صب على دم كل قتيل منهم قربة من ماء؛ ففعل، فبلغت دماؤهم الأرض، فسمى الحارث الوصاف لذلك؛ وأمر عمرو فاحتفر له حفير عظيم، وألقى فيه الحطب واشتعلت النار، فألقى فيها تسعة وتسعون رجلاً منهم، وبقي واحد من نذره، وأبصر رجل من البراجم، لم يعلم بذلك الدخان، وشم القنار فظن أنه طعام يصنع، فأقبل إلى النار؛ فأخذ فأتى به عمرا بن هند؛ فقال: ممن أنت؟ قال: رجل من البراجم والبراجم حي من تميم - فقال عمرو: إن الشقي وافد البراجم، فأرسلها مثلاً، وألقى الرجل في النار، فتم نذره مائة.

وقوله: يحدث عنه الرائد بما لقي، وبمسك عما بقي، ويزيل دجى الشكوك والشكاه. بقبس هدى لا قبس مشكاه.

الرائد: الذي يتقدم في طلب الكلاً، يقال: لا يكذب الرائد أهله. والشكاه: الشكاية، قال أبو ذؤيب الهذلي: وعيرها الواشون أي أحبها ... وتلك شكاه ظاهر عنك عارها أي ينبو عنك، ولا يعلق بك. والقبس: شعلة من النار، يقال: قبست من فلان ناراً، واقتبست منه علماً، ومنه قوله تعالى: (بشهاب قبس). والمشكاه: الكوة التي ليست بنافذة، ومنه قوله تعالى: (كمشكاه فيها مصباح).

وقوله: يصدق جهينة الخبر عن أخيها، ويبلغ الخاتمة من توخيها. يعني بذلك قول الشاعر:

تسألني جهينة عن أخيها ... وعند جهينة الخبر اليقين

قال أبو بكر بن دريد في كتاب الاشتقاق: إن قولهم في هذا البيت خطأ، وهو قول العامة، وإنما هو جفينة، وله حديث.

وقوله أكثر من يتحل السنة، في دجنة، والعامة في طرق الحيرة أمه، والقدرية، للطنع درية، وحنة الرافضة، عند الله داحضة، والحشوية، غوية شوية، وركبت المرجية، مطية غير منجية، ومشت الخوارج، بأقدام عوارج، ونزلت المعتزلة، من الفضل بمنزله، فهم ملائكة الأرض، وأعلم الناس بالسنة والفرس، فرسان الكلام، وخروة أهل الإسلام.

الدجنة: الظلماء في كتاب الخليل، قال أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي في الجملة: ولو خففه الشاعر لجاز، كقول حميد الأرقط:

حتى المجلت دجا الدجون

والآمة: القاصدة، والأم: القصد، ومنه قوله تعالى: (ولا آمين البيت الحرام). ويقال: فلان غبي شويّ اتباع له، وكذلك غويّ شويّ.

وقوله: وجاراً كثر الشيعة، عن منهج الشريعة، واتخذوا الغلو ديناً، والسب خدينا، كم ينتظر لهم إمام غائب، ولم يؤب من سفر المنون آيب، وطال انتظار السبائية لعلي، وأتت فيه السحابية بالكفر الجلي، وأخرجته إلى الربوبية من الإنسانية، كما فعلت في أئمتها الكيسانية، وطال انتظار جعفر ابن الباقر على الناووسية العمية، كما طال انتظار أبي مسلم على الجرمية، وانتظار الحاكم بأمر الله على الحاكمة،

واستراحت القطعية في موسى بن جعفر الإمام انتظار الواقعة الممطورة، وأكاذيبها المسطورة، وطال انتظار ولد الحسن بن علي، المعروف بالعسكري، على الإثني عشرية، كما طال انتظار إسماعيل بن جعفر على فرقة من الجعفرية، وطال انتظار محمد بن إسماعيل على المباركية، كما طال انتظار فرق مكن الشيعة لمحمد بن عبد الله النفس الزكية، وطال انتظار محمد بن القاسم الطلقاني ويحيى بن عمر الكوفي على الجارودية، كما انتظر غيرهما من أئمة الزيدية، وطال انتظار الحسين بن القاسم الرسي على الحسسية، كما طال انتظار المستورين على الباطنية.

المنهج: الطريق الواضح، وكذلك المنهاج.

والخدين: الصاحب، وكذلك الخدن، والمخادنة: المصاحبة، والأخدان: الأصحاب.

والمنون: المنية، ومنه قوله تعالى: (نتربص به ريب المنون)، وسميت المنية منوناً، لأنها تنقص العدد، وتقطع المدد، وهي مأخوذة من المن، وهو النقص، ويقال: القُطع، ومنه قوله تعالى: (لهم أجرٌ غير ممنون) أي غير منقوص، وقيل: غير مقطوع، ومنه قول لبيد:

لمعفر قهد تنازع شلوه ... غبسٌ كواسب لا يمن طعامها

وقول الراجز:

ومنه سوق المطايا منا

والآيب: الراجع من سفره، قال أبو ذؤيب الهذلي:

وحتى يؤوب القارظان كلاهما ... وينشر في القتل كليب لوائل

وقوله: وكل فرقة من هذه الفرق تدعي غائبها مهدياً، وتهدى اللعنة إلى مخالفها هدياً، وتعلق الكل بروايات الأحاد، وما لبس به على المسلمين أهل الأحاد.

المهدي الذي ينتظر كل فرقة من فرق الشيعة أنه على رأيها، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وقد تقدم ذكر ذلك، ورواياتهم في المهدي كثيرة يطول شرحها.

والهدي: العروس.

وروايات الأحاد: التي هي غير مجمع عليها، وهي التي يرويها الواحد من الناس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يجمع معه أحد غيره من الصحابة، وأخبار الأحاد ضعيفة عند العلماء.

وأهل الأحاد: مثل عبد الكريم بن نويرة الذهلي الذي سير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة آلاف حديث كذباً، وغيره من الملحدين، والحشوية وغيرهم.

قال السيد أبو طالب في كتاب الدعامة: إن كثيراً من أسانيد الإثني عشرية مبنية على أسام لا مسمى لها من الرجال، قال: وقد عرفت من روايتهم الكثيرين من كان يستحل وضع الأسانيد للأخبار المنقطعة إذا وقعت إليه.

وحكى عن بعضهم: أنه كان يجمع روايات بزرجهر، وينسبها إلى الأئمة بأسانيد يضعها؛ ففيل له في ذلك؛

فقال: الحق الحكمة بأهلها؟! ومدلسو الأخبار على المسلمين في كتبهم كثير الإمام الملحدين وغيرهم لا

يحتمل ذكرهم هذا الكتاب لكثرتهم وكثرة رواياتهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقوله: ولو كشف الحجاب، لظهر العجب، من تشبيهات الغرابية، وشهادات الخطابية، وشعوذة المغيرة، وإفك المنصورية، وشرك العميرية، ومين الهريرية، وضلال الكاملية، وتيه المفضلية، وجهل المقاتلية، وفسوق المعمرية، ومروق الحروية، وتصوير الجوالقية، وتجويز الحجر الشقية. العجب: أعظم من العجب، ومنه قوله تعالى: (إن هذا لشيء عجاب). وقوله: لقد جار في التجسيم عن الثكم، هشام بن الحكم، شبه صانع البرية، بالدرة المضية، ومثله بالخشام، هبيل أم هشام، له حد وأبعاض، وحيزٌ وأعراض، تحيط به الجهات الست، والخلف والإمام واليمين والشمال والقوق والتحت.

وفر من التشبيه ضرار، فلم ينجه الفرار، زعم أن ربه يدرك في المعاد بحاسة سادسة، بروية منه وفكرة حادسة، يا ضرار بن عمرو، لقد جنت من العجب بأمر، أي حاسة تعقل غير الخمس، من بصر وسمع وشم وذوق ولمس؟ وغير ضرار يميز رؤية البصر، لما ولد في الكتاب والخبر، وعنده أن الجسم أعراض بالخلقة مؤلفة، وهي على هذا التأليف مضادة مختلفة، وعنده إثبات فعل واحد على الحقيقة من فاعلين، كجور من جائرين، وعدل من عادلين، وهو أول مبتدع لهذه المقالة، فهل له عند الله من عنر وإقالة؟ وإن صح ما روي عن المقاتلية، لقد عبت صنماً كأصنام الجاهلية، زعمت أن معبودها كالآدمي من لحم ودم، يطش بيد ويمشي على قدم.

أو صح قول البطيحة في التلذذ بعذاب النار، لقد سلك واردة سبيلاً من الرشد على منار. يعني: هشام بن الحكم القطعي، وكان يقول: إن ربه كالدرة المضية تتلألأ من كل جوانبها. وحكى عن أبي الهذيل أنه سأل هشام بن الحكم معنى - بحضرة جماعة من المتكلمين، منهم عبد الله بن يزيد - فقال هذا الجبل - يومي إلى جبل هنالك - أعظم أم ربك؟ فقال هشام: هذا الجبل!! والثكم: الطريق الواضح.

والخشام: الجبل الطويل الذي له أنف. والهبل: الثكل، يقال: هبلته أمه قبله هبلاً، كما تقول: ثكلته تنكله. وقوله: وفر من التشبيه ضرار، فلم ينجه الفرار، يعني: ضرار بن عمرو الذي تنسب إليه الضرارية. وكان ضرار يقول: بفعل من فاعلين على الحقيقة، وإن الله تعالى خالق لأفعال عباده، وهم فاعلون لها على الحقيقة دون المجاز، وهو أول من ابتدع هذا القول وأحدثه.

وكان يقول: إن الله تعالى يدرك في المعاد بحاسة سادسة، وإن الجسم أعراض مجتمعة هي له أبعاض، وإن الأعراس يجوز أن تقلب أجساماً، وإن الاستطاعة بعض المستطيع. وقوله: أو صح قول جهنم بن صفوان في أفعال العباد، فلا ذنب للحاضر ولا الباد، إذ الفاعل عنده كشجرة حركت بالريح، صرح بالجبر أي تصریح، أو صح قوله في فناء النار والجنة، إنهما لجاني الكبائر أحصن جنة. أو صح قول المرجية في إخالف الوعيد، فما أشبه الشقي بالسعيد، والعفو من الكريم المنان غير بعيد.

يعني: جهنم بن صفوان الترمذي، وكان جهنم خرج مع الحارث بن سريح يتتبع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقتل بمرو، قتله سلم بن أحور في آخر ملك بني أمية على شط نهر بلخ، وهو الذي تنسب إليه الجهمية.

وكان جهنم يقول: إن الجنة والنار يفتيان، وإن الإيمان هو المعرفة دون الإقرار، ودون سائر الطاعات، وإنه لا فعل لأحد على الحقيقة إلا الله تعالى، وإن الخلق فيما ينسب إليهم من الأفعال كالشجرة تحركها الريح، إلا أن الله تعالى خلق في الإنسان قوة بما كان الفعل، وخلق فيه إرادة الفعل واختياره، كما خلق فيه سروراً بذلك وشهوة له.

وقوله: أوصح قول الجبرة والخوارج في عذاب لأطفال، لقد حملت أحمال البوازل على الآفال.  
الآفال: بنات المخاض فما فوقها.

واختلف الناس في عذاب الأطفال المشركين.

فقال واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وغيلان، ومحمد بن الحنفية، وبشير الرجال، والحسن بن أبي الحسن البصري، وقتادة، وعبد الواحد بن زيد، وجميع المعتزلة، والميمونية، والنجيدات من الخوارج: أطفال المشركين في الجنة ولا يقع العذاب إلا على البالغين، واحتجوا بقول الله تعالى: (كل امرئ منهم بما كسب رهين) وبقوله: (لا تزر وازرةٌ وزر أخرى) وبقوله: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى).  
قالوا: وليس للأطفال كسب يرتقون به.

وقالت الجبرة كلها، والحشوية، وسائر الخوارج: أطفال المشركين في النار، لأنهم بعض من أبعاضهم، واحتجوا بأن الله تعالى خسف الأرض بقوم لوط، وأغرق قوم نوح وفيهم الأطفال، قالوا: فلما خسف بهم وأغرقهم مع آبائهم، قلنا: إنه يعذبهم مع آبائهم في النار، وكل فعل الله عدل، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وقال عبد الله بن يزيد، وابن التمار من الزيدية، وحسين النجار والمريسي من المرجية: أطفال المشركين خدم أهل الجنة.

وقالت الروافض جميعاً - إلا هشام بن الحكم - : يجوز أن يعذبهم ويجوز أن يعفو عنهم.

وقوله: أو صح ما قالت العوفية، إذا كفر الإمام كفرت بكفره الرعية، لقد أخذ المسلم بذنب الكافر، وضربت ذات الخف بجرم ذات الحافر.

وقوله: كمدواة ذي العر، بكى آخر سالم من الضر.

أو صح ما روى عن الميمونة من الهنات، من نكاح بنات البين وبنات البنات.

العر: داء يقع في الإبل، وكانت الجاهلية، إذا وقع العر في إبلهم أخذوا بعيراً سليماً منها لأداء به فطققوا مشفره وكووه، وزعموا أن ذلك يرفع الداء من سائر الإبل، قال النابغة الذبياني:

وحملتني ذنب امرئ وتركته ... كذي العر يكوي غيره وهو راتع

وقوله: لقد أحيوا سنة الجوس، وترويح حاجب لدختوس.

أو صح قول البيزيدية في آخر الزمن، من ظهور نبي مؤتمن، يأتي من السماء بكتاب، يزيل ريب كل مرتاب،

لقد سعد من نسيه الحمام، حتى يدركه نبيّ أو إمام.  
كان زرارة بن عدس التميمي مجوسياً، وكذلك ابنه حاجب بن زرارة، كان على دين المجوس، وتزوج ابنته  
دختنوس، وهو القائل عند وفاته:

يا ليت شعري دختنوس ... إذا أتاها الخبر المرموس  
أتسحب الذيلين أم تميمس ... لا بل تميمس إنما عروس  
وقيل: إن دختنوس ابنة أخيه لقيط بن زرارة، وإن لقيطاً قائل الأبيات.  
وقوله: أو صح ما روي عن مالك، في العبد المملوك وسيد المالك، لقد جاء يا حدى الكبر، وأتى في الدين  
بصماء العبر.

أو صح ما روي عن الشافعي في القمار بالشطرنج، فليت شعري ما عنده في لعب الزنج، وضربها على  
الطلب والصنج.

أو صح ما روي عن أبي حنيفة من تحليل مسكر الشراب، لقد نقل بيت الخمار إلى الخراب!!  
أو صح ما روي عن الجوالقية في تزويج المتعة بالأجور، لقد حملوا المحصنات على الفجور.

أو صح قول الأباضية إنه يجوز أن يبعث نبيّ بلا دليل، لقد أجازوا النبوة لكل ضليل؛ أو صح قولهم في  
تصديق ما ورد من الأخبار، عن المؤمن والكافر بغير اختيار، لقد خلطوا الصدق بالمين، وصدقوا الأذن على  
العين.

أو صح ما روي عن الخطابية من استحلال شهادات الزور، وأن الشاهد بها منهم على المخالف غير موزور،  
وأن مخالفهم ضلال، وأمواهم ونساءهم لهم حلال، لقد أتوا في الدين بشعاع ناد، وأوهنوا منه عضداً قوية  
الآد.

أو صح ما روي عن المعمرية من استحلال الزنا والفسوق، لقد أقاموا للفساد في الأرض شر سوق.  
أو صح ما روي عن المعمرية المفضلية من ربوبية جعفر، لقد باءوا بذنب غير مكفر، وأنهم رسله إلى الخليقة،  
لقد جاءوا في الدين بالفليقة، من ربهم يعد جعفر هلك ذلك الرب؟ وأصبح به ذو السنم وهو أجب.  
أو صح ما روي عن أبي منصور إنه الكسف الساقط من السماء، وإنه عرج إلى العرش بكلمة يمشي بها على  
الماء، وأن معبوده مسح رأسه بيده للإيناس وقال: أي نبي اذهب فبلغ عني كافة الناس، وأن النار والجنة،  
والبدعة والسنة، أسماء رجال، ما لها غير التسمية من مجال، يجب لبعضهم عداوة ول بعضهم إجلال،  
فالفروض ساقطة والمخارم حلال، وأن النبوة لا تنقطع بمحمد، ولا بد في كل وقت من نبي مصمد، وأن أول  
ما خلق الله موسى ثم علي، لقد خاب وخسر العجلي، ورجع دون العروج بالعرج، ولم ينج عند الله من  
حرج.

أو صح ما روي عن ولده الحسين من استحلال الخنق، وغيلة المخالف بوقص العنق، وأخذ ما معه من مال،  
لقد حمل من ظلم البرية أثقل الأحمال، وأنه ولي الأحماس؛ من ما غنم أصحابه من الخنق بالتماس، لقد تزود  
شر زاد للمعاد، وخرج إلى الله بحرم باغ عاد.

أو صح ما روي عن المغيرة بن سعيد، لبئس ما حفظ عنه أكرم قعيد، أن معبوده رجل من نور على رأسه من النور تاج، ينبع قلبه بالحكمة يهتاج، وأن أعضائه بعدد حروف أبجد، لقد عضه ربه وما مجد، وأشار بالعودة إلى الصاد، إن ربك للظالم بالمرصاد، هلك المغيرة، وأحصيت الكبيرة والصغيرة.

أو صح قول البيان بن سمعان، إن معبوده في صورة الإنسان، وإنه يهلك ويبقى وجهه، كما يهلك بزعمه نظيره وشبهه، وأنه يدعو النجوم فتجيب، إن شن التميمي لعجيب، لقد بان كفر البيان، وأعلن بالكفر أي إعلان.

أو صح ما روي عن المختارية، ونقل عن الضرارية، أن الدنيا غير فانية، لقد فاز كل جان للذنوب وجانية.

أو صح ما روي عن الطيارة الغالية أن ربهم يحتجب بأبدان الأئمة، وأن عبادتهم واجبة على كل أمة، لقد كثرت الأرباب، واتسع للداخل هذا الباب.

أو صح قول أصحاب الرجعة، في قدوم من انتجع من المنون أبعده نجعة، وظهور الأموات قبل القيامة مع ابن الحنفية، ورد جميع الأديان على الحنفية، لقد ضعف ناصر الرمم، وبعد استظهارها على الأمم.

أو صح قول الغرابية في أبي تراب، إنه بالنبي أشبه من الغراب بالغراب، وإن جبريل غلط في تبليغي الرسالة إلى غير علي، لقد نسبوا الغلط - جل عن ذلك - إلى الواحد العلي.

أو صح قول الراوندية إن الإمامة من التراث، وإنما لأقرب العصابة من الوراثة، فإنها بعد النبي للعباس، بغير فك عندهم ولا التباس، وإن بني البنات لا يرثون شيئاً مع العم، ولا إمامة في النساء فيدلون بأرث الأم، لقد اشترك فيها البر والفاجر، ووقع الاختلاف والتشاجر، وحكم بما لكل ظالم فظ، على قدر الوراثة والحظ.

أو صح قول أصحاب النص بأمامة من في المهدي، وخذ البيعة له والعهد، لقد طابقوا الأكاسرة في تقديم غير الكامل، ووضع التيجان على بطون الحوامل، والاتئمام بالجنين، قبل حدوث النجو والذنين.

أو صح قول الجارودية إنها منصوصة بالإشارة والوصف، بأخبار عندهم كخير النعل والخصف، لقد وصفوا الخالق بالرمز، والتليس بالإشارة والغمز؛ أو صح قولهم في حصرها على الذرية، دون غيرهم من البرية، وإنما لهم كالثقلاء، بما لهم من الولادة.

الكبر: الكبائر: ومنه قوله تعالى: (إنها لإحدى الكبرى).

وصماء العبر: اسم من أسماء الداهية. قال الحرمانى يمدح المنذر بن الجارود:

أنت لها منذر من بين البشر ... داهية الدهر وصماء العبر

يريد: يا منذر

يعني: مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن حمير ثم من الأصابع، وهو الذي تنسب إليه المالكية بالمغرب، ويروى عن المالكية أنهم يستحلون اللواط بالمماليك، وأن الشافعية يجيزون القمار بالشطرنج، وأن الحنفية يجيزون شرب الخمر، وأن الروافض يجيزون المتعة.

قال المعري يذكر هذه المذاهب:

الشافعي من الأئمة واحد ... ولديهم الشطرنج غير حرام

وأبو حنيفة قال وهو مصدق ... فيما يفسره من الأحكام  
شرب المنصف والمثلث جائزٌ ... فاشرب على أمن من الآثام  
وأجاز مالك الفقاح تطرفاً ... وهم دعائم قبة الإسلام  
وأرى الروافض قد أجازوا متعة ... بالقول لا بالعقد والإبرام  
فافسق ولط واشرب وقامر واحتجج ... في كل مسألة بقول إمام  
وذو النآد: اسم من أسماء الداهية، قال الكميت:  
وإياكم وداهية نآدي ... أظلتكم بعارضها المخيل  
والوهن: الضعف، ومنه قوله تعالى: (فما وهنوا لما أصابهم) وقوله تعالى: (إن أوهن البيوت لبيت  
العنكبوت).

والآد: القوة: قال الشاعر:

باد ما تهض في أدها

والأيد أيضاً: القوة، ومنه قوله تعالى: (واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب).

وبآء: يقال: بآء الرجل يائمة أي احتمله، ومنه قوله تعالى: (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) ويقال: بآء أيضاً:

أي رجع، ومنه قوله تعالى: (وبآءوا بغضب من الله) أي رجعوا.

ويقال: بآء القتييل بالقتيل: إذا كان كفتاً له، ويقال بآء بالحق: إذا قربه، قال لبيد:

أنكرت باطلها وبؤت بحقها ... عندي ولم يفخر على كرامها

والفليقة: الداهية.

والرب معرفاً: اسم الله تعالى، ورب كل شيء: مالكة.

والأجب: مقطوع السنام، قال النابغة:

ونمسك بعده بذناب عيش ... أجب الظهر ليس له سنام

وأول الأبيات:

ألم أقسم عليك لتخبرني ... أمحمول على العيش الهمام

فإني لا ألومك في دخول ... ولكن ما وراءك يا عصام

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ... ربيع الناس والبلد الحرام

ونمسك بعده بذناب عيش ... أجب الظهر ليس له سنام

وعصام: حاجب النعمان بن المنذر، وهو منم تيم اللات بن ثعلبة، وهو الذي قال فيه النابغة:

نفس عصام سودت عصاما ... وعلمته الكر والإقداما

وصيرته ملكاً هماما ... حتى علا وجاوز الأقواما

والمصمد: المقصود كثيراً، قال طرفة:

وإن يلتق الحي الجميع تلاقني ... إلى ذروة المجد الكريم المصمد

والمصمد: السيد المقصود كثيراً، ومنه قوله تعالى: (الله المصمد)، قال سيرة بن عمرو الأسدي:

ألا بكر الناعي بخير بني أسد ... بعمرو بن مسعودو بالسيد الصمد  
واعلم أن الناس اختلفوا في النبوة: هل هي مخصوصة أم مكتسبة.  
فقال أصحاب التناسخ - منهم أبو خالد الهمداني، وأبو خالد الأعمى المشعبد الواسطي، ومن قال بقولهم -  
: إن النبوة مكتسبة بالطاعة، واحتجاجهم في ذلك أنهم قالوا: لو كانت النبوة من طريق المثوبة على  
اكتساب الطاعة لكانت جبراً وضرورة، ولو كانت جبراً لكانت الأنبياء غير ممتعة منها، ولو كان من  
الأنبياء ثواب على فعل الله فيهم، فصح أنها مكتسبة بالطاعة.  
وقال حسين النجار - ومن قال بقوله، والمريسي من المرجية، وهشام بن الحكم ومن قال بقولهم - : إن  
النبوة خصوصية من الله عز وجل، وتفضل على من تفضل عليه قسراً وجبراً، وإن الله يثبت النبوة على  
الأنبياء تفضلاً، كما تفضل بما عليهم، ويشتهم على الطاعة دون النبوة جزاء، وعلى الله جزاء الحسنين.  
وقال واصل بن عطاء، ومن قال بقوله: النبوة أمانة قلدها الله تعالى من كان في علمه الوفاء بها، والقبول لها،  
والثبات عليها، من غير جبر، لقوله تعالى: (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) أي لم يجعلها الله تعالى لا فيمن علم  
منه الوفاء بها والقبول لها، وثواب الأنبياء على قبولهم وتأديتهم الرسالة، لا على فعل الله تعالى فيهم  
وتعريضهم.

وقال بهذا أو الهذيل، وبشرين المعتمر، والنظام، وسائر العدلية.

والعرج: الصمود، مصدر عرج يعرج بفتح العين من الماضي وضمها من المستقبل، ومنه قوله تعالى: (تعرج  
الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة).

والعرج: مصدر يعرج: إذا صار أعرج بكسر العين من الماضي وفتحها من المستقبل.  
والحرج: الإثم، ومنه قوله تعالى: (ليس على الأعمى حرجٌ ولا على الأعرج حرجٌ ولا على المريض حرجٌ)  
وقص العنق: دقه. والوقص: العيدان تلقى على النار قال حميد:

لا تصطلي النار إلا مجمراً أرجاً ... قد كسرت من يلنجوج له وقصا

والقعيد: المقاعد، وهو المجلس الجالس، ومنه قوله تعالى: (عن اليمين وعن الشمال قعيد) والقعيد أيضاً:  
الذي يحموك من ورائك، والقعيد: الجراد الذي لم يستو جناحه بعد، والعرب تقول: قعيدك لا آتيك، وهي  
يمين لهم، قال متمم بن نويرة اليربوعي:

قعيدك ألا تسمعين ملامةً ... ولا تنكثي قرح القواد فييجعا

وقعيدة الرجل: زوجته، قال الخطيب:

أطوف ما أطوف ثم آوي ... إلى بيت قعيدته لكاع

والقعيدة: الغرارة، والقعيدة من الرمل: التي ليست بمستطيلة والعضه: الشتم، والعصيهة: الشتيمة.  
والتمجد لله تعالى والعظيم.

والمرصاد: الطريق الواضح، وكذلك المرصد، مثل منهج ومنهج.

والنجة: الاسم من الانتجاع في طلب الكأ.

والفظ: سبي الخلق، ومنه قوله تعالى: (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك). والفظ أيضاً: ماء الكرش وقيل: إن اشتقاق الرجل الفظ من هذا. والجنين: الولد ما دام في بطن أمه، سمي بذلك لاجتنانه. والنجو في هذا الموضع: ما يخرج من البطن. والنجو في غير هذا الموضع: السحاب، وجمعه نجاه، قال المسحال الهذيل، واسمه مالك بن عويمر، أحد بني حيان بن هذيل: كالسحل البيض جلا لوفاً ... سح نجاء الحمل الأسول والنجو أيضاً: السر، والنجوة: المكان المرتفع الذي لا يبلغه الماء، قال عبيد: فمن بنجوته كمن بعقوته ... والمستكن كمن يمشي بقرواح والنجو مقصوراً: السر ومنه قوله تعالى: (وأسروا النجوى)، والنجوى: مثل المطوي، والمطوي: المتمطي ممدود التمطي، قال شيب بن البرصاء: وهم تأخذ النجواء منه ... يعل بصالب أو بالمالل والذنين: ما يسيل من الأنف.

وكانت الأكاسرة إذا مات الملك منهم وليس له ولد، وبعض نسائه حمل تركوا تاجه على بطن امرأته الحامل إلى أن تضع ولدها، ثم ملكوه عليهم، ولما هلك هرمز بن نرسا بن نهران الملك الفارسي، ولا ولد له، شق ذلك عليهم، فسألوا عن نسائه، فذكر لهم أن بعضهن حملاً، فأرسلوا إليها: أيتها المرأة التي قد قاست الحمل، قد تعرف علامات الذكران وعلامات الأنثى، فأعلمينا بالذي يقع عليه ظنك في بطنك، فأرسلت إليهم: إني أرى من نظارة لوني وتحرك الجنين في الشق الأيمن مع خفة الحمل ويسره ما أرجو أن يكون الجنين ذكراً! فاستبشروا بذلك وعقدوا التاج على بطن تلك المرأة، حتى وضعت غلاماً سموه سابور، وهم سابور ذو الأكتاف، وهو أعظم ملوكهم. وأقامت الوزراء يتولون تدبير الأمر والمملكة في حال صغره على انتشار عظيم، وضاع من ملكهم حتى طمع فيهم من يليهم من أعدائهم، وأوعثت العرب من عبد القيس وغيرهم في كثير من بلاد فارس، وأكثروا فيها الفساد.

فبينما سابور نائم ذات ليلة، وقد أضر وأيفع إذا أبهه ضجة الناس وأصواتهم فسأل الخدمة عن ذلك، فأعلموه أن تلك الأصوات مما على الجسر من الناس، وما يصيح به المقبل منهم، والمدبر يتنحى له عن الطريق، فقال وما دعاءهم إلى احتمال هذه المشقة وهم يقدرون على إزالتها بأيسر المؤونة؟ ألا يجعلون لهم جسرين، فيكون أحدهما للمقبلين والآخر للراجعين، ولا يزحم الناس بعضهم بعضاً؟ فسر من حضر بمقالته ولطف فطنته على صغر سنه.

فلما أتت له ست عشرة سنة أمرهم أن يختاروا ألف رجل من أهل النجدة والبأس ففعلوا، فأعطاهم الأرزاق، ثم سار لهم إلى نواحي العرب الذين كانوا يعيشون في أرضهم، فقتل من قدر عليه منهم ونزع أكتافهم، فسمي ذو الأكتاف لذلك، وهو بابي الإيواء الأعظم بالمدائن. ولقد شرك فيها ولد قرين، وولد الديباج ابن ذي النورين، كما إن عيسى من ذرية الخليل، لوجود الشاهد والدليل.

أو صح قولهم إنما شورى منهم بين الأفضل، لقد أيدوا حجة المناضل، ورجعوا إلى العموم بعد الخص، وإلى الشورى بعد النص، واستحسنوا ما استقبحوها من قبل، واقتطع بهم عن التمسك ذلك الحبل.

قرين: لقب عثمان بن عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام.

وأم قرين: سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وكانت سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عند مصعب بن الزبير بن العوام، فولدت له جارية، ثم قتل مصعب؛ فخلف عليها عبد الله بن حكيم بن حزام، فولدت له قريناً، وله عقب؛ ثم تزوجها الأصمغ بن عبد العزيز بن مروان أخو عمر بن عبد العزيز، فمات بمصر قبل أن يدخل بها، ثم تزوجها زيد بن عمر بن عثمان بن عفان، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها، ففعل.

وقال ابن الكلبي: أول أزواج سكينه: الأصمغ بن عبد العزيز، ومات عنها بمصر قبل أن يدخل بها؛ ثم خلف عليها مصعب بن الزبير، وولدت له جارية، ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، فولدت له عثمان الذي يقال له: قرين، وله عقب، ثم خلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف جد إبراهيم بن سعد الفقيه.

قال العقيلي، يحيى بن الحسين الحسيني، في كتاب أنساب مضر: قتل الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهما السلام، وعليه بضعة وسبعون ألف دينار، فباع علي ابنه ضياعاً لأبيه تسقيها عين جدية إلى الوليد بن عقبة بن أبي سفيان، فقصي عن أبيه دينه، فورثها آل حكيم بن حزام.

وأما الديباج: فهو محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وسمي الديباج: لجماله، وكان له قدر ونبل، وكان يقال فيه: سمي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ذريته، وزرع الخليفة المظلوم. وذي النورين: عثمان بن عفان.

وأخذ أبو المنصور الديباج وأحواله الفاطميين، فضرب عنقه صبراً، وله عقب وكانت بنت الحسين بن علي عند ابن عمها الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فمات عنها، ثم خلف عليها عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو الذي يقال له: المطرف، سمي بذلك: لجماله، قال فيه مدرك بن حصن:

كأني إذا دخلت على ابن عمرو ... دخلت على محبآت كعاب

فولدت لعبد الله المطرف: محمد الديباج.

فقال العقيلي، يحيى بن الحسين الحسيني: كان الحسن بن الحسن خطب إلى عمه الحسين بن علي؛ فقال الحسين: يا ابن أخي قد انتظرت هذه منك، اختر: إما فاطمة، وإما سكينه؛ فاختر الحسن فاطمة، فزوجه، فولدت فاطمة للحسن ابن الحسن: عبد الله بن الحسن وحسنًا وإبراهيم وزينب وأم كلثوم، فكانت زينب بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند الوليد بن عبد الملك بن مروان وهو خليفة، وكانت أم كلثوم عند محمد بن علي بن الحسين بن علي، فتوفيت عنده وليس لها ولد.

قال العقيلي: فلما حضرت الحسن بن الحسن الوفاة، قال لفاطمة بنت الحسين: إنك امرأة مرغوب فيك، فكأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان إذا خرج بجنازتي، وقد جاء على فرس مرجلاً جهته لا بساً حلية يسير في

جانب الناس يتعرض لك، فأنكحي من شئت سواه، فإني لا داع ولا رائي من الدنيا هما غيرك. قالت له فاطمة: أنت آمن من ذلك وغلظته الإيمان من العتق والصدقة، لأنكحته.

ومات الحسن بن الحسن، وخرج بجنائزته، فوافى عبد الله بن عمرو بن عثمان، في الحال التي وصف، وكان يقال لعبد الله بن عثمان: المطرف، من حسنه؛ فظفر إلى فاطمة حاسرة تضرب وجهها، فأرسل إليها: إن لنا في وجهك حاجة فارفقي!! به فاسترخت يداها، وعرف ذلك فيها وحمرة وجهها؛ فلما رحلت أرسل إليها بخطبها؛ فقالت: كيف يميني التي حلفت بها؟ فأرسل إليها: لك مكان كل يمين من مملوك مملوك، ومكان كل شيء شيئا؛ فوضعها من يمينها، فنكحته، فولدت له محمد الديباج بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وله عقب، والقاسم بن عبد الله، ولا عقب للقاسم، ورقية بنت عبد الله.

قال العقيلي: وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن يكنى أبا محمد، وكان خيراً، ورئي يوماً يمسح على خفيه، فقيل له: تمسح على خفيك؟ فقال: قد مسح عمر ابن الخطاب، ومن جعل عمر بن الخطاب بينه وبين الله تعالى فقد استوثق.

وكان مع أبي العباس السفاح، وكان له مكرماً وبه أنيساً، فأخرج يوماً سفظ جوهر، فقاسمه إياه، وأراه بناء قد بناه، وقال له: كيف ترى هذا؟ فقال عبد الله متمثلاً:

ألم تر حوشباً أمسى يبني ... قصوراً نفعها لبني نفيله  
يؤمل أن يعمر عمر نوح ... وأمر الله يحدث كل ليله

فقال له أبو العباس: تتمثل بهذين البيتين، وقد رأيت صنيعي بك؟ فقال عبد الله: والله ما أردت بها سوءاً، ولكنها أبيات خطرت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يحمل ما كان مني. قال: قد فعلت، ورده إلى المدينة.

فلما ولي إبراهيم جعفر ألح في طلب ابنه إبراهيم ومحمد ابني عبد الله، وتغيباً في البادية، فأمر أبو جعفر أن يؤخذ أبوهما عبد الله بن الحسن بن الحسن وإخوته الحسن وداود وإبراهيم، ويشدوا وثاقاً ويبعث بهم إليه، فوافوه في طريق مكة بالربذة - موضع قبر أبي ذر الغفاري - مكتوفين؛ فسأله عبد الله أن يأذن له في الدخول عليه، فأبى أبو جعفر، فلم يره حتى فارق الدنيا، ومات في الحيس هو وإخوته جميعاً.

وخرج ابنه محمد وإبراهيم، وغلبا على المدينة، ومكة، والبصرة، فبعث إليهما العساكر، فقتل محمد بالمدينة، وقتل إبراهيم باحمرى على ستة عشر فرسخاً من الكوفة.

وإدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن أخوهما، هو الذي صار إلى الأندلس والبربر فغلب على تلك الناحية.

ولن توجد جهة قاطعة على النص والحصر، يشهد لصاحبها على المخالف بالنصر، من تنزيل، لا يعارض بالتأويل، وتأويل لا ينقض بالسماع أو ضرورة العقل، التي لا تفتقر إلى النقل.

اختلاف الناس في الحججة بالخبر بعد النبي

صلى الله عليه وسلم

اختلف الناس في الحججة بالخبر بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقالت الأمامية: لا تعقل الحججة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلا عن الإمام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقالت الزيدية: لا تثبت الحججة في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بشهادة أربعة رجال من أهل العدالة، قياساً على شهادة الرنا.

وقالت الخوارج كلها - إلا الفضيلة - : الحججة في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشهادة عدلين، لقول الله عز وجل: (وأشهدوا ذوي عدل منكم).

وقال النظام: لا تعقل الحججة عند الاختلاف من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا من ثلاثة أوجه: أ - من نص من تنزيل لا يعارض بالتأويل.

ب - أو من إجماع الأمة على نقل خبر واحد لا تناقض فيه.

ج - أو من جهة العقل وضرورته.

وبقوله: قال أكثر المعتزلة.

وقال أبو الهذيل: الحججة في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشهادة عشرين رجلاً من أهل العدالة، لقوله تعالى: (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين).

وقال واصل بن عطاء، وغيلان بن عمرو بن عبيد: لا تعقل الحججة إلا بالإجماع، إما في إجماع الأمة على الخطأ والكذب من بطلان الدين وعدم الإسلام.

وحكى الجاحظ في كتاب الأخبار: إن من الناس من يقول: إن الحججة في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشهادة سبعين رجلاً لميقاتنا).

وقالت الحشوية: كل ثقة من العلماء يأتي بخبر مسند عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهو حججة.

وقالت الفضيلة من الخوارج: لا تعقل الحججة في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بتقليد أهل الثقة من العلماء الصالحين.

وبه قالت عامة المرجية.

قوله أو صح ما روي عن عبد الله بن معاوية، لقد هوى به إلى الهاوية، إن العلم يبيت في قلبه نبات العشب وبنات أوبر، لقد أساء العبارة بما عبر، وإن روح الله تحولت في آدم، ثم نسخت في كل نبي حدث وتقادم، حتى صارت فيه، لقد أعلن بالكفر ما يخفيه، فعبدته شيعته وكفروا بالقيامة، وكفروا على شرب المدامة.

أو صح ما روي عن الشمراخية لقد شدوا لملل الكفر مرس الأخيه، أن الصلاة جائزة خلف من صلى إلى القبلة، وإن كان مخالفاً للنحلة، من النصارى واليهود، أنهم على التصويب لهم شهود.

أو صح ما روي عن الصفيرية في تجويز مناكحة المشركين والمشركات، وقبول شهادتهم وموارثتهم في التركات، لقد مزجوا الغث بالسمين، وجعلوا الكفار مسلمين.

أو صح ما روي عن الحشبية في إجازة نسخ ما حكى الله من الأخبار، لقد نسبوا الكذب جل عن ذلك إلى

الجبار.

أو صح قول التغلبية إن أطفال المشركين مشركون كالأباء، لقد أخذهم بما حمل غيرهم من الأعباء.

أو صح قول الفضيلية إنه يكون مؤمناً من أظهر الإيمان، وأسر الكفر بالرحمن، لقد أجازوا النفاق، وأوجبوا عليه الاتفاق؛ أو صح قولهم في صغائر الذنوب، لقد حكموا للمؤمنين من الشرك بذنوب.  
أو صح قول البيهسية إن المسكر إذا اتخذ من المال الحلال، فهو أحل من الماء الزلال، وإن الذنوب موضوعة عنهم في حال السكر، لقد أتوا في الدين بشيء نكر، والبيهسية تسير في المخالف بأخذ المال وقتل الغيلة، وأعمال المكيدة في ذلك والحيلة.

أو صح قول النجدية إن من أذنب منهم في الإيمان غير خارج، ومن أذنب من غيرهم فقد كفر بذى المعارج، لقد صيروا الذنب إيماناً، تكون من العذاب لأهلها أماناً.  
أو صح قول الأزارقة: إن المسلم بدار الكفر كافر، ليس لذنبه غافر، لقد جعلوا الإسلام كهوراً، واتباع الحق نفوراً، والأزارقة تستحل قتل الأطفال، وترى مال المخالف من الأنفال، ويحتجون بقوله تعالى: (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً، إنك إن تدرهم يضلوا عبادك، ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً).  
وهذه جملة من مذاهب يسيرة، وقل من يمشي بقدم غير كسيرة، وسائرهما يكثر به الشرح، ويحسن الإلغاء له والطرح، فانظر إلى اختلال هذه العقائد، وضلال مقودها والعائد، فكل عروة منها انفصام، وخسر من له بها اعتصام.

أيها الرابط على ما في الكيس، هل أمنت على ما فيه من التوكيس؟ انصرف به إلى الصيارف، فكم له من ناقد وعارف، وطف به على الطوائف، لعله من الزوائف، كم هذه الجملة من قار، لا يرتدي عند القراءة بوقار، هل معه من الدين غير تقليد، أم فتح باباً مغلقاً ياقيد، أنى بالأران لفارس الأران، وطفه الحري بالحران، أين المحض من الضيغ، وأبي غيش من أبي وضيغ، ما للهدان بالفتك يدان، ولا للغيهب، إقدام على الغيهب، ظفر طالب الثار بكبوة العنثار، وضعف ظنوب الرار، عن الفوز بالأبرار، هل يباري الفرسان إلى الأنفال، كفل على ثفال، يعجز عن الزيادة، عن الجياد، وعن قبض الرهان، بكليل الجري مهان، أصبح عن السباق، مضاعف الرباق، وعن الطراد، مثنياً عن المراد.

بنات أوبر: ضرب من الكمأة، قال الشاعر:

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلاً ... ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

والمرس: الحبل، وجمعه: أمراس.

والأخية: مربط الدابة، وهي معروفة.

والذنوب: النصيب، ومنه قوله تعالى: (فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم). قال علقمة بن عبدة:

وفي كل حي قد خبطت بنعمة ... فحق لشأس من نذاك ذنوب

وشاس اسم أخي علقمة.

والذنوب: الدلو العظيمة، قال الراجز:

إني إذا نازعني شريب ... فلي ذنوب وله ذنوب  
والذنوب: الفرس الطويل الذنب. والذنب: لحم المتن.  
والنكر: المنكر، ومنه قوله تعالى: (لقد جئت شيئاً نكراً).  
والعقائد: جمع عقيدة، وعقيدة الرجل: دينه وما يعتقد.  
وفصم الشيء: كسره من غير أن يبين، ومنه قوله تعالى: (لا انفصام لها).  
والإقليد: المفتاح، وهو جمع على غير القياس، ومنه قوله تعالى: (له مقاليد السموات والأرض).  
وأنى بالأران: أي كيف بالأران، ومنه قوله تعالى: (أني يجيئ هذه الله بعد موتها)، قال الشاعر:  
عجبت لمسراها، وأني تخلصت ... إلي وباب السجن دوني مغلق  
والإران: النشاط. والأران: العرش الذي يحمل عليه الموتى.  
والطرف: الفرس الكريم.  
والحري: الحقيق، يقال: فلان حقيق بكذا، وحري بكذا، وخليق، وقمين، وجدير، كل ذلك بمعنى واحد.  
وحران الفرس: معروف.  
واخض: الخالص من اللبن.  
والضبيح: الممزوج بالماء.  
وأبو غيش: الليل، وغيشه: ظلامه.  
وأبو وضیح: النهار، وضحه: ضوؤه، قال الفراء: في الحديث: صوموا من وضح إلى وضح، يريد: من ضوء  
إلى ضوء وجاء بهما مصغرين، وهو يريد التكثير، كما قال الحباب بن المنذر يوم السقيفة: أنا جديلهما  
الحكك، وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير.  
والهدان: الرجل الأحمق الخامل، والجمع هدون.  
والعيهب: الرجل الضعيف عن طلب وتره. قال محمد بن حمران الجعفي، وليس الشويعر الحنفي:  
حللت به وتري وأدركت ثورتي ... إذا ما تناسى ذحله كل عيهب  
والعيهب: الظلمة.  
والكبو: السقوط، يقال منه كبا يكبو: إذا سقط.  
والظنبوب: عظم الساق.  
ويقال، مخ رار: أي ذائب من الهزال، يقال: لمخ الضعيف: رار، ولمخ السمين: نقي.  
والأبرار: السبق والغلبة. والمباراة: المسابقة.  
والأنفال: الغنائم، وهي جمع نفل، وهي الغنيمة، قال لبيد:  
إن تقوى ربنا خير نفل ... ويأذن الله ريثي والعجل  
والكفل: الذي لا يستقيم على ظهر الفرس ولا يحسن ركوب الخيل، والأنفال بالفتح: الحمل البطيء.  
والذياد: الطرد.

والجياذ: الخيل، ومنه قوله تعالى: (إذا عرض عليه بالعشي الصافنات الجياذ).

والرهان: جمع رهن وهو ما يرهن عند السباق.

وللكليل: نقيض الحديد.

والرباق: جمع ربة: وهو حبل يشد به العنق.

قوله: وقد جمع بين المين الغابر، والمعن السائر، دهر كأم الستة من الدوائر، واللييب مع الجميع، كحد السريع، نزل للخلاص بربع غير مربع، لا يستمتع بضرع ولا ضريع، ولزم للفكاك جزءاً وحده، واشتركت الثلاثة في الجزء الذي بعده، ولزم الآخران ثالث الأجزاء، وهو آخر النقوض والأجزاء، ولن يكون فك إلا من حركة، من آخر الدوائر المشتركة، وربما أدت الحركة، إلى غير البركة، وإل بالحرف، السكون حذف. كثرت حركات المتكاوس فسمي مخبولاً، وأصبح على النقص مجبولاً، وطرح من عبه الضروب، وأقلت شمسه بالغروب، واعتدلت حركات المتواتر، فستره عن الوصم ساتر، والناس للدهر نظام وقصيد، وزروع منها قائم وحصيد، وقد تدخل العلل على صحيح الوزن، وتبدل سهله بالحزن، وربما قطع المذال، فاستراح العذال، وحذف المشيع، وبشر بغير السلامة مربع، وإلى النقص غاية التمام، ونقص اللذات ذكر الحمام، وإقبال الدهر إدبار، وعجماوه جبار، لا يطلب في الجناية بضمان، وكم وقع هلك من أمان.

والمبن: المقيم، يقال: أبن بالمكان: إذا أقام به.

والغابر: الباقي، ومنه قوله تعالى: (إلا عجوزاً في الغابرين).

والمعن: الذي يلبس فرسه العيان.

والريع: المكان المرتفع، قال عمارة: هو الجبل.

والريع: الطريق، ومنه قوله تعالى: (أتبنون بكل ريع آية تعبثون).

والضريع: ييس الشيراق، وهو نبت، وقد تقدم تفسير ذلك والحجة عليه وكذلك قد تقدم ذكر حدود العروض ودوائرها وفكوكها، فلا معنى لإعادة ذلك.

والتقوض: يقال: تقوضت الصفوف: إذا انتقضت، وتقوضت الخلق: إذا تفرقت.

والأجزاء: رفع العاجز للنهوض.

والمخبول من أجزاء العروض: ما دخل عليه الخبن والطي، فالخبن: سقوط ثانيه الساكن، والطي: ذهاب رابعة الساكن، مثل: مستفعلن، سقطت منه السين والفاء، فحول إلى فعلين، واشتقاقه من الخبل بالتسكين: وهو فساد الأعضاء، قال أوس:

أبني لبني لستم بيدٍ ... إلا يداً مخبولة العضد

والمخبول: المخلوق.

ولوصم: العيب، قال الشاعر:

فإن تك جرم ذات وصم فإنما ... دلقتنا إلى جرم بلأأم من جرم

والمذال من الأجزاء: ما كان في آخره وتد مجموع فزيد عليه حرف من غير الجزء، مثل فاعلن فصار فاعلاتن، فإذا قطع أسقطت منه الألف والنون وأسكنت اللام، فيصير فاعل، فتحول إلى مثله من الفعل،

وهو مثل فعلن، والقطع في الأوتاد، والحذف في الأسباب.

والمشيع: ما كان في آخره سبب خفيف مثل فعولن فريد عليه الألف فصار فعولان، فإذا حذفته أسقطت اللام والنون والألف من آخره فبقي فعو، وهو المحذوف.

قوله: وبشر بغير السلامة مربع، يريد قول جرير:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً... أبشر بطول سلامة يا مربع

وهو مربع بن وعوعة بن سعيد بن قرط من بني كلاب بن ربيعة، وكان راوية جرير، قال الصنعاني: مربع لقبه، واسمه وعوعة.

والجبار: الهدر، يقال: ذهب دمه جباراً، أي هدر، ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: العجماء جبارٌ أي هدر، وإنما جعل جرح العجماء هدرًا إذا كانت منفلثة وليس معها قائد ولا سائق ولا راكب، فإذا كان معها أحد هؤلاء فهو ضامن، لأن الجناية له لا للعجماء، إلا فيمن لا يمكنه، نحو أن تركض ما خلفها برجلها لأنه لا يبصر ما خلفه ولا يمكنه منعها منه في حال سيره، فإذا كان واقفاً عليها في طريق لا يملكه، ضمن ما أصابت بيدها أو رجلها أو غير ذلك.

ومن ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أصول الفقه قوله: (الخراج بالضمان، والعجماء جبار، والمعدن جبار، والبئر جبار، وفي الركاز الخمس، والمنحة مردودة، والعارية مؤداة، والزعيم غارم، ولا يغلق الرهن بما فيه، ولا وصية لوارث، ولا قطع في ثمر ولا كثر، ولا قود إلا بحديد، والمرأة تعاقل الرجل إلى ثلث ديتها، ولا تعقل العاقلة عبداً ولا عمداً ولا صلحاً ولا اعترفاً، ولا طلاق في إغلاق، والبيعتان بالخيار ما لم يتفرقا، والجار أحق بسقبه، والطلاق بالرجال، والعدة بالنساء.

ونهي عن بيع المخابرة، والحقالة، والمزابنة، والمعومة، والثيب، وعن ربح ما لا يضمن، وعن بيع ما لم يقبض، وعن بيعتين في بيعة، وعن الغرر وبيع المواصفة، وعن تلقي الركبان، وعن الكالي بالكالي، وعن بيع وسلف، وعن العربان، وعن النجش، والمنابذة، والملامسة، وعن حلوان الكاهن، وعن عشب الفحل وعن الحجر، والملاقيح، والمضامين، وحبل الحيلة.

وقال: ليس في الجبهة ولا في النخة ولا في الكسعة صدقه.

فالخراج بالضمان في ضروب من البيع، مثل: رجل يشتري عبداً فيغله كل يوم ديناراً، ثم يجب له رده على بائعه لعيب يجده فيه، كان به قبل ابتياعه، فإنه يردده على بائعه، وله ما أغله بضمانة رقبته، لأنه لو تلف عنده كان من مال المشتري.

وقوله: والبئر جبار: قيل هي البئر العادية لا يعرف من حفرها تكون في فلاة، فمن وقع فيها فهو جبار؛ وقيل: هي البئر تكون في ملك الإنسان، فإن سقط فيها إنسان أو دابة فلا ضمان عليه؛ وقيل: هو رجل يستأجر من يخفر له بئراً في ملكه فينهار به، فلا ضمان عليه.

وقوله: والمعدن جبار: هي هذه المعادن التي يستخرج منها الذهب والفضة، فيحفر فيها قوم بالأجرة، وربما أثمار المعدن عليهم فقتلهم قدما، وهم جبار لأنهم عملوا بأجرة، وهذا أصل في كل عامل عمل بأجرة ثم

عطب أنه لا ضمان على مستأجره.

والركاز عند أهل الحجاز: الكنوز الجاهلية توجد مدفونة، وفيها ما في أموال المسلمين من كل مائتي درهم خمسة دراهم، ومن كل عشرين مثقالاً نصف مثقال، وما زاد فبحساب ذلك، هذه حكاية أبي القاسم الزجاجي عند أبي عبيد.

وقوله: لا يعلق الرهن بما فيه، أي لا يستحقه المرتهن ولا يحال بين الراهن وبينه إذا أدى فكاكه؛ والفقهاء مختلفون في الرهن إذا تلف عند المرتهن، فمنهم من يقول: هو بما عليه، ومنهم من يقول: هو من مال الراهن له فضله وعليه نقصانه.

وقوله: والمنحة مردودة: أصل المنحة الناقة والشاة يمنحها الرجل رجلاً آخر ينتفع بلبنها مدة ثم يردها، فردها واجب عليه إلى صاحبها؛ هذا أصل المنحة، ثم كثر استعمالها حتى جعلت الهبة والصلة: منحة. وللعرب أسماء توضع موضع العارية.

فمنها: المنحة، والعرية، والأفقار، والأخبال، والإكفاء، والأعمار، والأقارب. فالعرية: هي النخلة يهب الرجل ثمرها لرجل آخر عامه ذلك، وهي التي رخص في بيع ثمرها قبل أن تصرم، واشتقاقها من الأعراء والتجرد، كأنه لما وهب ثمرها فقد عراها.

والأفقار: أن يعطي رجل رجلاً دابته فيركبها ما أحب ثم يردها، واشتقاقه من فقار الظهر.

والأخبال: أن يعطي الرجل الرجل البعير أو الناقة، يركبها ويجتز ووبرها وينتفع بها ثم يردها، قال زهير:

هنالك إن يتسخبلوا المال يجبلوا ... وإن يسئلوا يعطوا وإن يبسروا يغلوا

واشتقاقه من قولهم: به خبل وخبال، والخبل: فساد الأعضاء، فإذا أصابت الرجل السنة استخبيل صاحبه،

أي استدعى منه معونته على ما به من خبل، فأخبله، أي أعانه، قال الشاعر:

لما أتاني حيدر مستخبلاً ... أخبلته قرماً هجاناً فابتهج

والأكفاء: أن يعطي الرجل الرجل الناقة لنتفع بلبنها ووبرها وما تلده في عامها ثم يردها، والفرق بين

الأخبال والأكفاء: أن المخبل يرد الولد، والمكفأ لا يرده، والإسم منه الكفأة، قال ذو الرمة:

كلا كفأتيها تنقصان ولم تجد ... لها ثيل سقب في النتاجين لأمس

يقول: إنما نتجت أناثا كلها، والهاء في له عائدة على الفحل في البيت الذي قبله.

وأما الأعمار والأقارب: فهو الدور والمسكن، والاسم منه: العمري، والرقي.

فالعمري: أن يسكن الرجل الرجل، داراً عمره، فإذا مات الساكن. أخذها المسكن، وهي مشتقة من العمر.

والرقي: أن يسكن الرجل الرجل داراً، فإذا مات المسكن، وردها الساكن على ورثته، يقال: أعمرتك داراً

وأرقيتك داراً.

وقوله: والعارية مؤداة: يقول ردها واجب على المعار إلى صاحبها.

وقوله: ولا وصية لوارث: فإن للرجل أن يوصي بثلث ماله، ولا يزيد عليه، ويستحب له أن يوصي بأقل من

الثلث، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسعد: والثلث كثير، لأن تترك عيالك أو ورثتك أغنياء خير

من أن تركهم عالة يتكفون الناس.

واختلف الناس في الثلث الذي يجوز للرجل أن يوصى به، هو يجوز أن يوصى به لأحد من الورثة؟ فقال أكثر الأئمة: لا يجمع بين الميراث والوصية، ولا تجوز الوصية لأحد من الورثة، وإنما تجوز لغير الوارث، واحتجوا بالخبر: لا وصية لوارث.

ومنهم من قال: يجوز أن يوصى بالثلث لبعض ورثته دون بعض، وإن معنى الخبر: لا وصية لوارث، فيما زاد على الثلث.

وقوله: لا قطع في ثمر ولا كثر، الكثر: جمار النخل وهو شحمه، ولا قطع في الثمر إذا أخذ من رؤوس الشجر، فأما إذا أحرز فحكمه حكم غيره من الأموال المحرزات، وفيه القطع. وقوله: لا قود إلا بحديد، فيه اختلاف بين الفقهاء.

منهم من قال: من قتل إنساناً بغير حديد لم يجب عليه القتل، وإنما تجب عليه الدية، فإن قتله بحديدة وجب عليه القود والقتل.

وبعضهم يقول: إذا قتله بما يمثله يقتل، قتل، مثل أن يرميه بصخرة عظيمة وما أشبه ذلك، فإنه يقتل. وقوله: والمرأة تعاقل الرجل إلى ثلث ديتها، أي تساوي الرجل فيما دون ثلث ديتها، ثم دية المرأة نصف دية الرجل في الثلث وفيما زاد على الثلث، ومساواتهما فيما دون الثلث من الدية، نحو الأصبع فإن فيها خمساً من الأبل وكذلك الأصبعان، والثلث مما لا يجب فيه ثلث الدية، فإن دية أعضاء الرجل فيه كدية أعضاء المرأة، فإذا بلغت الثلث صارت المرأة على النصف من دية الرجل، نحو دية اليد والرجل والعين، وما أشبه ذلك.

وقوله: ولا تعقل العاقلة عبداً ولا عمداً ولا صلحاً ولا اعترافاً، يقول: لا تحمل عاقلة الرجل قتل العمدة، لأن ذلك في صليب ماله، ولا صلحاً، ولا ما اعترف به، ولا عبداً. وقوله: ولا طلاق في إغلاق، الأغلاق: إلا كراه، وهو من إغلاق الباب، أي لا سبيل إلى التخلص مما أكره عليه.

وقوله: والبيعان بالخيار ما لم يتفرقا، هما البائع والمشتري، سميا ببيعين لأن كل واحد منهما يقال له: بائع، والبيع في كلام العرب من الأضداد، يقال: بعث الشيء إذا بعته، وبعته إذا اشترينته، قال الراجز: إذا الثريا طلعت عشاء ... فبع لراعي غنم كساء أي اشترى واختلف الفقهاء في افتراق البيعين.

فمنهم من قال: الافتراق افتراق الأبدان.

ومنهم من قال: الافتراق بالقول ووقوع العقد.

وقوله: والجار أحق بسقبه، أي بما لاصقه وقاربه والسقب: القرب، يقال: أسقبت دارك، أي دنت يري الشفعة.

وقوله الطلاق بالرجال والعدة بالنساء، وهو مذهب أهل المدينة، وذلك في الأمة تكون تحت الحر فإن عدتها حيضتان، والحرمة تكون تحت العبد فعدتها ثلاث حيض، وكذلك قال أهل العراق في العدة وخالفوا في

الطلاق، فقالوا: الطلاق بالنساء: وقال أهل المدينة: هو بالرجال.

وأما المخابرة: فهي المزارعة على النصف والثلث والرابع، وأكثر من ذلك وأقل، وهو الخبر أيضاً بالكسر، ومن ذلك قيل للآكار: وهو الزراع خبير، وكان ابن الأعرابي يقول: أصل المخابرة من خبير لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقرها في أيدي أهلها على النصف، فقيل: خابروهم، أي عاملوهم بخبير، قال: ثم تنازعوا، فنهى عن ذلك، ثم جازت بعد.

وأما المحاقلة، ففيها ثلاثة أقوال: قال بعضهم: هو بيع الزرع في سنبله بالحنطة. وقيل: هو أكثر الأرض بالحنطة.

وقيل: هي المزارعة بالثلث والرابع وأكثر من ذلك وأقل.

واشتقاقه من، الحقل وهو الزرع إذا تشعب ورقه قبل أن يغلظ سوقه.

وأما المزابنة: فهي بيع التمر في رؤوس النخل بالتمر كيلا، وبيع العنب على الكرم بالزبيب كيلا، واشتقاقه من الزبن، وهو الدفع، لأن المتبايعين إذا وقفوا فيه على العين ترابنا، ي تدافعا، فأراد الغابن أن يمضي البيع، وأراد المغبون أن يفسخه.

وروي عن مالك أنه قال: المزابنة كل شيء من الجزاف لا يعلم كيله ولا وزنه ولا عدده أبتيع بشيء مسمى من الكيل والوزن والعدد.

وأما المعلومة: مبيع النخل أو الشجر سنتين أو ثلاثاً أو أكثر من ذلك، وهو مشتق من العام.

قال الأصمعي: يقال للنخلة إذا حملت سنة، ولم تحمل سنة: قد عاومت وسأمت.

ويقال: عاومت فلاناً معاومة ومساهمة ومشاهرة.

وأما الثنيا: فيبيع الرجل شيئاً جزافاً لم يعرف كيله ولا وزنه ولا عدده، ثم يستثنى منه شيئاً، مكيلاً أو موزوناً أو معدوداً، قل ما استثناه أو كثر، فلا يجوز ذلك، لأنه لا يدري لعل ما استثناه يأتي على جميعه، إن كان لا يؤمن فيه مثل ذلك ولا يدري كم يبقى منه، هذا مذهب الشافعي في الاستثناء.

وقال مالك: من باع ثمرة فاستثنى منه مكيلاً فلا بأس بذلك، إذا كان المستثنى ثلث ذلك الشيء فما دونه، هذا هو الثنيا في البيع.

وأما في المزارعة: فإن يستثنى بعد الثلث أو النصف كيلاً معلوماً، فهذا معنى الثنيا.

وأما بيع ما لم يقبض: ففيه وجوه: منها أن يسلم الرجل في طعام ثم يبيعه من غير المسلم إليه، قبل أن يقبضه، فإن باعه بأكثر من الثمن فهو ربح ما لم يضمن.

وأما بيعتان: فمثل أن يشتري الرجل السلعة إلى شهر بدينارين، وإلى ثلاثة أشهر بثلاثة دنانير، وهو شرطان في بيع.

وبيع المواصفة: هو أن يبيع الرجل سلعة ليست عنده، ثم يبيعه المشتري بالصفة قبل القبض والرؤية، وإنما قيل لها: مواصفة، لأنه باع من غير نظر ولا جبارة ملك.

وكان عبد الله بن عمر يقول للبائع: لا تبع ما ليس عندك: ويقول للمشتري: لا تشتت ما ليس عنده.

وتلقى الركبان: هو تلقي الجلوبات، وكان أهل مصر إذا بلغهم ورود الأعراب بالسلع تلقوهم قيل أن يدخلوا مصر فاشترؤا منهم، ولا علم للأعراب بسعر مصر فغشوهم، ثم أدخلوه مصر فأغلوهم. ومثله النهي عن بيع حاضر لباد، وكان الإعراب إذا قدموا بالسلع توكل لهم ناس من أهل مصر في بيعها، وانطلق الأعراب إلى باديتهم، فنهوا عن ذلك، ليصيب الناس معهم. وأما الكالي بالكالي فهو النسبة بالنسبة مهموز.

قال أبو عبيدة: وهو مثل أن يسلم الرجل إلى الرجل مائة درهم إلى ستة في كر طعام، فإذا انقضت السنة ووجب الطعام عليه، قال الذي عليه الطعام للدافع: ليس عندي طعام، ولكن هذا، يعني الكر، بمائتي درهم إلى شهر، فهذه نسبة انتقلت إلى نسبة، وهو الكالي بالكالي، وما أشبهه، ولو كان قبض الطعام منه ثم باعه منه أو من غيره بنسبة، لم يكن كالتأكي.

قال الأموي: يقال بلغ الله بك كلاً العمر، أي آخره، وأبعده، وهو من التأخير. وأما البيع والسلف، فهو أن يقول الرجل لصاحبه أبيعك هذه السلعة بكذا على أن تسلفني كذا وكذا، لأنه لا يؤمن أن تبيعه السلعة بأقل من ثمنها، من أجل القرض.

وأما بيع العربان: فهو أن يساوم الرجل بسلعة ثم يدفع إلى صاحبها ديناراً أو درهماً عربوناً، على أنه اشترى سلعة كان الذي دفعه إليه من الثمن، وإن لم يشتريها كان ذلك الشيء لصاحب السلعة، لا يرتجعه منه، يقال: عربان وعربون، وأربان وأربون، وهو الذي تسميه العامة الربون.

وأما النجش في المبايعة: فهو أن يدخل الرجل في ثمن السلعة، وهو لا يريد شراءها ليزيد غيره بزيادته، وهو من نجش الصيد، وهو جوشه وسوقه إلى الشرك، يقال للصادق: ناجش، ونجش الأبل: جمعها بعد التفرق، قال الراجز:

اجرش لها يا ابن أبي كباش ... فما لها الليلة من إنفاش

غير السرى وسائق نجش

والمنابذة: أن يقول الرجل لصاحبه انبذ إلى الثوب أو غيره من المتاع، أو أنبذ إليك، وقد وجب البيع بكذا وكذا.

وقيل: هو أن يقول الرجل: إذا نبذت إليك الحصاة من يدي، فقد وجب البيع بكذا، وهو معنى قوله: إنه نهي عن بيع الحصاة.

والملامة: أن يقول الرجل إذا لمست ثوبي، أو لمست ثوبك، فقد وجب البيع بكذا.

وقيل: بل هو أن يلمس المتاع من وراء الثوب ولا ينظر إليه.

فهذه ييوع كان أهل الجاهلية يتبايعونها، فنهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها.

وأما حلوان الكاهن: فهو ما يعطاه الكاهن على كهانته، يقال: حلوته، إذا أعطيته على فعله.

والحلوان أيضاً: الرشوة، وهو ما يأخذ الرجل من مهر ابنته لنفسه، وكانت العرب تعبر به، قالت امرأة في زوجها:

لا يأخذ الحلوان من بناتنا

وعسب الفحل: كراؤه، الذي يؤخذ على ضرابه.  
والنجر: أن يشتري الرجل البعير أو الناقة أو غير ذلك بما في بطن ناقته، قبل أن تضعه.

والملاقيح: ما في البطون، وهي الأجنة لم تولد، واحدهما: ملقوحة.  
والمضامين: ما في أصلاب الفحول، كانوا يتبايعون الجنين الذي في بطن الناقة، وما يضرب الفحل في عامه  
وفي أعوام، وهذا الغدوي قال أبو عمرو الشيباني: الغدوي: أن يباع البعير أو الفرس أو غير ذلك بما  
يضرب هذا الفحل في عامه، وأنشد للفرزدق:  
ومهور نسوهم إذا ما أنكحوا ... غدوي كل هينقع تنبال  
وحبل الحيلة: نتاج النتاج، كأنه ولد ما يولد بعد إذا ولد ثم يولد ولداً، فذلك حبل الحيلة، وهذا كله كان  
لأهل الجاهلية يفعلونه ويتبايعون بينهم، ثم نهي عنه الإسلام.  
وأما الجبهة: ففي الخيل.

والنخعة: الرقيق.

والكسعة: الحمير، هذا قول أبي عبيدة.

وقيل: إن النخعة: البقر الحوامل، قال ثعلب: هذا هو الصواب، واصله من النخ وهو الشوق الشديد، قال  
الفراء: والنخعة أيضاً: أن يأخذ المصدق ديناراً بعد فراغه من الصدقة، وأنشد: وعمى الذي منع الدينار  
ضاحية دينار نخة كلب وهو مشهود وسميت الحمير: كسعة، لأنها تكسع مآخبرها، أي تضرب.  
وفي الحديث: أن رجلاً من المهاجرين، كسع رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال  
المهاجرون: يا للمهاجرين، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما بال دعوى الجاهلية.  
وفي الحديث أيضاً: لا صدقة في الإبل الجارة، ولا القتبوة.  
فالجارة: التي تجر بأزمتها وتقاد، وهي فاعلة في معنى مفعوله، ومنه قوله تعالى: (خلق من ماء دافق) أي  
مدفوق، ومثله قوله تعالى: (في عيشة راضية) أي مرضية، ومثله قولهم: شركاتم، وليل نائم.  
والقتبوة: التي توضع الأقتاب على ظهورها، وهي فعولة في معنى مفعوله، مثل ركوبة وحلوبة، لما يركبون  
ويحلبون.

وقوله: كما هلك الضيزن بابنته النصيرة، ودلاله نفيضة الجيش والحضيره، حين هويت سابور، واجتلبت  
لأهلها الثور، وكان الضيزن ملكاً من قضاة الحضرة العظيم الملك، فلم ينبج بذلك من الهلك، وعزاه سابور  
ذو الأكتاف الفارسي، وللدهر السهام الصائبة والقسى، فأطال عليه مدة الحصار، وما قدر منه على  
انتصار، فهم عنه بالإقلاع، حتى كان من النصيرة إطلاع، فرأت سابور فعشقتة، فرمت أباه بالحيف  
ورشقتة، وخانتة وهي عنده أمينة، وأرسلت إلى سابور أنها له بالفتح ضمينه، وشارطته على النكاح والإيثار،  
وأعلمته أن عورة الحصن من الثرثاء، وعبقت أباه المدام، وسقت الحراس والخدام، وأرسلت إليه من شدة  
الغلمة، عند اعتكار الظلمة، إن إئت من السرب، فهذه الليلة ليلة القرب؛ فبعث إليها بالبطل، ففوضى  
الدين بعد المطال، وطلع الفجر على أهل الحصن بالذما، وبلت العراض منه بالذما، فقتل سابور الضيزن

وقومه، ولن يعد معمراً يومه، وبدل الحضر خراباً بجده، وعضارة الأيام إلى مده، وأصبح خراباً تضعو به  
التعالب، وللقدر أسباب وجوالب، وبات سابور بالنضيرة معرساً، وكان في العواقب متفرساً، فتجافى جنبها  
عن المهاد، فسأها عما لقيت من السهاد، فشكت خشونة المضجع، ومنعها ذلك أن تمجع، فقال: إنه فراش  
حشوه زغب النعام، لا ما يتخذ من وبر الأنعام، ولم تتم الملوك على ألين ولا أوطأ منه، فما تجافيك أيتها  
المرأة عنه؟ ونظر إلى ورقة من آس بين عكنتين من عكنها، فتناولها فسأل موضعها دماً من بدنها، فقال: بم  
كان يغذوك أبواك، في طول مقامك معهما ومثواك؟ فقالت: بالمخ والزبد، وصفو الخمر والشهد، فقال: إذا  
كان هذا حالك معهما، فلن تصلحي لأحد بعدهما، وينبغي ألا أركن إليك، وقد فعلت ما فعلت بأبويك،  
وأمر بما فشدت ذائبها بين فرسين فقطعاها، ما رعت الصنيعة ولا رعاها، وصلاح الدهر إلى فساد، وكم  
رحم غابط من الحساد، ولكل أجل كتاب، وليس من الزمن أعقاب، أهون بأم دفر، وأيامها الشبيهة بأيام  
النفر، فتت منها الرجال بكعاب، غير برية من ألعاب؛ تحدد البعولة تحت النكاح، خديعة الزباء لجذيمة  
الوضاح، وكم وصفها بالمكر بصير، لو يطاع قصير، وحذر منها نذير، لو ينفع التحذير.  
النفيسة: الجيش الذين ينفضون الطريق، ينظرون هل فيها عدو أو خوف.  
والحضيرة: الجماعة أيضاً يغزون ليسوا بالكثير، قالت سعدى الجهنية ترثي أباها أسعد:  
يرد المياه حضيرةً ونفيسة ... ورد القطة إذا سمأل التبع  
والتبع: الظل ههنا.

وأما الضيزن، فهو الضيزن بن معاوية بن عبيد بن الأخرم بن سعد بن سليح بن عمرو بن حلوان بن عمران  
بن الحاف بن قضاة.

قال البربوعي، إسحاق بن زكريا: والحضر حصن كان بالموصل بناه الساطرون ابن اسطرون ملك  
السريانيين من أهل الموصل من رستاق، يقال له بأحرم، وهو الذي ذكره أبو دؤاد، واسمه جارية بن حجج  
الأيادي بقوله:

وأرى الموت قد تدلى من الحضر على رب أهله الساطرون

ولقد كان آمناً للدواهي ... ذا ثراء وجوهر مكنون

قال: وهو الذي عناه عدي بن زيد بقوله:

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة ... م تجني إليه والخابور

شاده مرمراً وجلله كلساً ... م فللطير في ذارة وكور

لم يهبه رب المنون فباد الملك ... م عنه فبابه مهجور

قال البربوعي: ثم كان أهل الحضر من بعد الساطرون تنوخ وهم بنو مالك بن فهم بن أسد بن وبرة بن  
تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة، وسليح بن عمرو بن حلوان بن عمران بن الحاف بن  
قضاة، ويزيد، وحيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة.

فغزاهم سابور ذو الأكتاف بن هرمز الملك الفارسي؛ وملكهم يومئذ الضيزن ابن جيهلة، أمه، بما يعرف،

وهو الضيزن بن معاوية بن عبيد بن الأخرم بن سعد ابن سليح؛ فحاصرهم سابور فأطال حصارهم، فلم يقدر فيهم بشيء، لامتناع حصنهم، حتى أشرفت النضيرة بنت الضيزن يوماً من الحصن فرأت سابور فعشقتة، فأرسلت إليه إن أنت ضمنت لي أن تتزوجني وتقدمني على نسائك دلتك على فتح هذا الحصن وقد كان سابور حين أطال حصارهم هم بالإقلاع عنهم، لما رأى من حصانة حصنهم فأجابها سابور إلى ذلك. فقالت له إئت على الثرثار، وهو نهر الحضر، فألق التين في الماء ثم اتبع ذلك التين، فحيثما رأيت التين قد غاب من النهر، فأدخل الرجل من ذلك الموضع، فإنك تصل إلى الحصن، ففعل سابور ذلك، فوجد التين يغيب في سرب يفضي إلى الحصن؛ وعمدت النضيرة فأسكرت أباهما، وأرسلت إلى سابور أن ادخل الليلة فإني قد أسكرت أبي، وسكر المقاتلة من أهل الحصن الذين يخاف بأسهم وقتالهم؛ فأدخل سابور الرجال من ذلك السرب، فظفر بالحصن فهدمه، وقتل أهله، ودعا بالنضيرة فبات معرساً بها، فجعلت تتمايل على الفراش ساهرة؛ فقال لها سابور: ما لي أراك مسهدة؟ فقالت: جنبي يتجافى عن فراشك هذا!! فقال: ولم؟ فوالله ما نامت الملوك على أوطأ منه ولا ألين، وإن حشوه لرغب النعام!! فلما أصبح نظر فإذا ورقة آس بين عكنتين من عكنها، فتناولها، فسأل موضعها دماً، فقال لها: بم كان أبواك يغذوانك؟ فقالت: بالزبد والمخ والشهد، وصفو الخمر!! فقال سابور: إذا لم تصلحي لأبويك، وكانت هذه حالك عندهما، فأنت أجدر ألا تصلحي لي، وما ينبغي لي أن آمنك، ولا أثق بك؛ فأمر بما فشدت ذوائبها بين فرسين ثم خلى عنهما فطعاها وقد ذكرت ذلك الشعراء، قال أبو دؤاد الأيادي.

ألم يحزنك والأنباء تنمي ... بما لاقت سراة بني العبيد  
ومقتل ضيزن وبني أبيه ... وأخلاس القبائل من يزيد  
أتاهم بالفيول مجملات ... وبالأبطال سابور الجنود  
فهدم من بروج الحضر صخرًا ... كأن ثقالة زبر الحديد  
وقال الأعشى:

ألم تر للحضر إذ أهله ... بنعمى وهل خالدٌ من سلم  
أقام به سابور الجنو ... د حولين تضرب فيه القدم  
وفي ذاك للمؤتسي إسوة ... ومأرب عفى عليها العرم  
رخام بنته لهم حميرٌ ... غذا جاء مواره لم يرم  
فأروى الزروع وأعناهما ... على سعة ماؤهم إذ قسم  
فصاروا أيادي ما يقدر و ... ن منه على شرب طفل فطم  
وقال عدي بن زيد:

والحضر صابت عليه داهيةٌ ... من قعره أيد مناكبها  
ربية لم توق والدها ... لخبها إذ أضاع راقبها  
أجشمها حبها لما فعلت ... إذا نام عنها للغي حاجبها  
إذا غبقتة صهباء صافية ... والخمر هل يهيم شاربها

وأسلمت أهلها بليتها ... تظن أن الرئيس خاطبها  
فكان حظ العروس إذ برق م الصبح دماء تجري سبائبها

وخرب الضر واستبيح وقد ... أحرق في خدرها مشاجبها  
لم يبق فيه إلا مراوح طيات ... وبور تصغو ثعالبها  
وقال أيضاً:

اقفر الحضر من نضيرة فالمر ... باع منها فجانب الثرثار  
إذا تواصلوا بالكبش لما أحسوه وقالوا مع الحذار حذار  
وقال آخر:

هلا بكيت لضيزن ... بالحضر إذ أمن الزمن  
منع العدو وكان ذا م الطولي بهم لو لم يكن  
فرمى به سهم النضيرة لليدين وللذقن  
باعت أبها والعشير م بوجه سابور الحسن

فأتى عليهم حينهم والبيض أخون مؤتمن والثبور بالضم: الهلاك، ومنه قوله تعالى (لا تدعوا اليوم ثبوراً  
واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً).

والغلمة: شدة شهوة الجماع، والقرب: الورد. وليلة القرب: ليلة أن ترد الأبل الماء، وذلك أن يسيمون  
الإبل وهم مع ذلك يسيرون نحو الماء، وإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجلوا نحوه، فتلك الليلة ليلة  
القرب.

والسرب: النفق تحت الأرض، وسيأتي تفسيره، وضغاء الثعالب: أصواتها. والذما: بقية النفس. وأم دفر:  
الدنيا، والدفر: التنن، يقال: للآمة إذا شتمت يا دفار، مثل قطام، أي دفرة منتنة وكنيتها دفرأ، أي سهكة  
من الحديد مدية.

والبعولة: جمع البعل، ومنه قوله تعالى، (وبعولتهن أحق بردهن) والزباء: امرأة من ملوك العماليق، وقيل من  
سليح.

وجذيمة الوضاح: هو جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن مالك بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران  
بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك ابن نصر بن الأزد.

وكان جذيمة ملكاً عظيماً ينزل الأنبار والحيرة، وكان في أيام الطوائف، وملك السواد ستين سنة، وقتل أبا  
الزباء وغلب على ملكه، والتجأت الزباء إلى أطراف مملكتها، وكان يغير على ملوك الطوائف، حتى غلبهم  
على كثير من بلادهم، وكان أبرص، فهابت العرب أن تقول: أبرص، فقالوا: الأبرش والوضاح.

وكانت الزباء أديبة عاقلة، فبعثت تخطبه على نفسها، ليتصل ملكها بملكه، فدعته نفسه إلى ذلك، فشاور  
وزرآه فأشاروا عليه أن يفعل إلا قصير بن سعد القضاعي فإنه قال: أيها الملك لا تفعل، فإن هذا خدعة  
ومكر، فعصاه، فأجابها إلى ما سألت.

فقال قصير لا يقبل لقصير رأي، فجرت مثلاً.

ثم كتبت إليه بعد ذلك أن صر إلي، فجمع أصحابه بشاطئ الفرات، فأشاروا عليه بالخروج إليها، فقال قصير: لا تفعل، فإنما تمدي النساء إلى الرجال، فعصاه. فقال: أيها الملك أما إذا عصيتني، فإذا رأيت جنودها قد أقبلوا إليك فترجلوا وحيوك، ثم ركبوا وتقدموا، فقد كذب ظني، وإن رأيتهم إذا حيوك أطافوا بك، فأني معرض لك العصا، وهي فرس جذيمة لا تدرك. فاركبها وانج، فلما أقبل أصحابها حيوه ثم أطافوا به، فقرب إليه قصير العصا، فشغل عنها، وركب قصير فنجاً، وأخذوا جذيمة، فظن إلى قصير وهو على العصا، وقد حال دونه السراب فقال: ما ضل من تجري به العصا فجرت مثلاً، وأدخل جذيمة على الزباء، وكانت مضمفورة الأسب فلما دخل تكشفت، وقالت له: أذاب عروس ترى يا جذيمة؟ أما أنه ليس ذلك من عوز المواس، ولا من قلة الأواس، ولكنها شيمة من أناس؛ وأمرت به فأجلس على نطع وجيء بطست من ذهب، فقطعت رواهشه، قال عدي بن زيد:

فقدمت الأديم لراهشيه ... وألقى قولها كذباً ومينا

وكان قيل لها: احتفظي بدمه، فإن أصابته الأرض منه قطرة طلب بثأره؛ فقطرت قطرة من الدم إلى الأرض، فقالت: لا تضيعوا دم الملك: فقال جذيمة: دعوا دماً ضيعه أهله، فأرسلها مثلاً، ومات.

ونجا قصير بن سعد على العصا، فصار إلى عمرو بن عدي بن نصر اللخمي، وهو ابن أخت جذيمة؛ فقال له قصير: ألا تطلب بثأر خالك؟ فقال عمرو: وكيف أقدر على الزباء، وهي أمتع من عقاب الجو؟ فأرسلها مثلاً. فقال له قصير: اجدع أنفي وأذني واضرب ظهري حتى تؤثر فيه، ودعني وإياها؛ ففعل عمرو ذلك، ولحق قصير بالزباء، وقال لها: لقيت ذلك من أجلك! قالت: وكيف ذلك؟ قال: إن عمراً قال إني أشرت على خاله بالخروج، حتى فعلت به ما فعلت؛ ثم أحسن خدمتها، وأظهر لها النصيحة، حتى حسنت منزلته عندها، ورجعها في التجارة، فبعثت معه عيراً إلى العراق، فصار قصير إلى عمرو مستخفياً، فأخذ منه مالاً وزاده على مالها، واشترى لها طرفاً من طرف العراق، ورجع إليها، فأراها تلك التجارة والأرباح، فسرت به، ثم كر كرة أخرى فأضعف لها المال، فلما كان في الكرة الثالثة، اتخذ جواليق من المسوح وجعل ربطها من أسافلها إلى داخل وأدخل في كل جوليقي رجلاً بسلاحه وواحد الجواليق جوليقي بضم الجيم وهو اللبيد أيضاً، ومنه اشتق اسم لبيد الشاعر. وأقبل إليها، فجعل يسير الليل ويكمن النهار، وأخذ عمراً معه، وكانت الزباء قد صور لها صورة عمرو قائماً وقاعداً وراكباً، وكانت قد اتخذت نفقاً قد أجرت عليه الفرات، من قصرها إلى قصر أختها زبينة، فلما قرب قصير من بلدها تقدم عن العير، وكان قد أبطأ عليها، وأخذ غير الطريق النهج فسالت عنه، فقيل لها: أخذ طريق الغوير فقالت: عسى الغويراً بؤساً فأرسلتها مثلاً، ودخل قصير إلى الزباء، فقال لها: قفي فانظري إلى العير، فجعلت تنظر إلى العير مقبلة تحمل الرجال، فقالت:

ما للجمال مشيها وتيداً ... أجنديلاً يحملن أم حديدا

أم صرفاناً بارداً شديداً ... أم الرجال جثماً قعوداً

ووصف قصير لعمرو باب السرب، ووصف له الزباء؛ فلما دخلت العير المدينة، وعلى الباب بوابون من

النبط، وفيهم واحد معه محصورة، فطعن بما جوالقاً منها فأصابته المخصرة رجلاً فضرط، فقال البواب بالنبطية: بشناً بشناً يعني: في الجوالق الشر الشر؛ وحلت الرجال ربط الجوالقات، وملتوا في المدينة بالسلاح، ووقف عمرو على باب السرب مصلاً سيفه، وأقبلت الزباء تبادر السرب، فلما رأت عمراً عرفته بالصفة، فمصت فص خاتمها، وكان مسموماً، وقالت: بيدي لا بيد عمرو. ويقال إن عمراً جملها بالسيف فقتلها واستباح بلدها؛ ورجع عمرو وقصير بالغنائم وخلفا في بلادها خيلاً تضبطها.

وقوله: فحبها للقلوب متيم، وكل يوم هي من بعل أيم.

يقال: تيمه: الحب إذا عبده، واشتقاق تيم الله من ذلك، أي عبد الله.

والأيم: المرأة التي لا بعل لها، يقال: آمت المرأة تميم أيمة، وفي الحديث أنه كن يعوذ من الأيمة، والحرب مائة، أي تميم فيها النساء، قال الشاعر:

ألم تر أن الله أنزل نصرة ... وسعد بباب القادسية معصم

فرحنا وقد آمت نساء كثيرة ... ونسوة خاتب صفر الوطاب

والصفر: الخالي. والوطاب: جمع وطب، وهو سقاء اللبن: ومن دعاء العرب: ماله صفر إنأؤه، وصفرت وطابه، أي ماتت ماشيته.

قال امرؤ القيس:

ألا يا لهف هندٍ من أناسٍ ... هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقاهم جدهم بني أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقاب

وأفلتتهن علياء جريصاً ... ولو أدركته صفر الوطاب

وقوله: قد دقوا بينهم عليها عطر منشم، وتجشم الصعب كل متجشم.

العرب تضرب المثل بعطر منشم في الشؤم، إذا تفاني الحيان في الحرب، فقليل: دقوا بينهم عطر منشم.

واختلف الناس في منشم ابنة الوحيد الخراعية، وإنما كانت تطيب الفتيان في الحرب، وتدق أو عية الطيب بينهم، وكان من لمس من طيبها لم يرجع في يومه ذلك حتى يبلي ويرى أثره أو يقتل أو يحمل جريحاً.

وقال بعضهم: هي من غدانة وهي صاحبة يسار الكواعب، وكان عبداً لها يعشقها ويعرض لها فزجرته، فلم

يزدجر، فقالت له يوماً: اصبر فإن للحرائر طيباً حتى أشمك منه، وأت بموسى، ثم اتكأت على أنفه

فاستوعبته فضرب المثل بعطر منشم.

وقال بعضهم: هي منشم بنت عامر، امرأة ثعلبة بن الأعرج الغنوي، قاتل شاس بن زهير بن جذيمة العبسي

الذي هاجت بسبب قتله الحرب بين هوازن وغطفان.

وذلك أن شاس بن زهير راح من عند النعمان بن المنذر - وكان تحت النعمان أخته النوار بنت زهير -

حتى إذا كان في بلد غنى جنة الليل، وردماء من مياه بني غنى وكان على ذلك الماء رجل من بني غنى يسمى

ثعلبة بن الأعرج، وكان صياداً يكمن للوحوش على ذلك الماء، وكان رامياً غلقاً فلما ورد عليه شاس، قال

له: هل في حوضك هذا شيء من الماء؟ قال: فيه ما يكفيك إن قنعت! فغضب شاس من كلامه، وقال: ممن

الفتى؟ قال من بني غني. قال شاس: إن كلامكم لفعيش!.

ومضى شاس يركض راحلته وهي موقرة هدايا، فاستدبره الفتى الغوي، وهو لا يعرفه، فشتم معه رائحة المسك، فسعى خلفه حتى أدركه، ثم رماه بسهم، فصرعه عن راحلته، فلما نظر في وجهه عرفه، فندم على قتله، ثم قام فحفر له ودفنه وأخفى مكانه، وأخذ راحلته فنحاهها عن الطريق ثم نحرها وأخذ من لحمها ما استطاع وأخذ ما عليها.

وكان مع شاس غلامان له قد تقدما إلى أهله، فأعلماهم بقدمه، فلما أبطأ على أهله سار زهير ومن معه إلى الموضوع يطلبونه قصصاً حتى وجدوه مدفوناً فحملوه إلى أهله فكفونوه وعقروا عليه، وبكاه الرجال والنساء، ولم يدر أحد من قتله.

ثم أن زهيراً عمد إلى راحلة له فحرها، وملاً منها جرابين كبيرين شحمًا ولحمًا، ثم دعا جارية له يقال لها سلامة، دهبية أريية، فقال لها: خذي هذين الجرابين فاذهبي في قبائل ذبيان وبني غني وبني عامر، واعرضي ما فيهما على النساء بالمسك والعنبر، وكان ذلك في سنة مجاعة أصابتهن.

فمرت سلامة تعرض على نسائهن ما معها، فلم تجد من ذلك شيئاً، حتى مرت بمنشم بنت عامر زوجة ثعلبة بن الأعرج، قاتل شاس بن زهير، وهي يومئذ حاملة مضطرة، فأعلمتها أنها تطلب مسكاً أو عنبراً لبنت لها تريد أن ترفها إلى زوجها؛ فقالت لها منشم: عندي قضاء حاجتك، إن كنت عني؛ قالت الجارية: لست مظهرة لك سرًا، فأخرجت لها منشم حاجتها وما تطلب؛ فلما نظرت سلامة إلى ذلك، قالت لها: من أين لك هذا المتاع الرفيع، ولا يكون إلا عند الملوك؟ فأعلمتها منشم بقصة زوجها وقصة شاس؛ فرجعت سلامة إلى مولها زهير بن جذيمة، فأخبرته الخبر، فقال زهير:

أتني سلامة بعد الضحى ... فمتك لي الستر من منشم

فلمست لشس إذاً والدًا ... ولا من جذيمة الأكرم

إذا لم أقم لغني العدا ... مقام امرئٍ ثائرٍ بالدم

وقال زهير بن أبي سلمى:

تداركتما عساً وذيان بعدما ... تفانوا ودفقوا بينهم عطر منشم

فلما تبين لزهير قاتل ولده، قال لبني غني وبني عامر: هلم إلى النصفة قبل الحرب؛ فقالوا: نحن نحكمك يا أبا شاس؛ فقال لهم زهير: إني مخيركم إحدى ثلاث، قالوا: وما هن يا أبا شاس؟ اجعل لنا في الثالثة مخرجاً!! قال إما أن تردوا شاساً حياً، وإما أن تملأوا لي ثوبي هذا من نجوم السماء، وإما أن تأتوني بغني كلها، رجاها ونسائها، فإن شئت قتلت، وإن شئت صفحت!!.

فقالوا: لا نقدر على واحدة منها، لا نقدر على إحياء الموتى، ولا على نجوم السماء، وأما بنو غني فإنهم أحرار لا ينقادون لأحد ولا يهدرون نفوسهم في جريرة غيرهم، ولكن يا أبا قيس نعطيك خيراً مما تطلبه، وندفع إليك قاتل وللك تحكم فيه بحكمك، وندفع إليك بعد ذلك عشر ديات حتى نرضيك؛ فقال زهير: ما كان شاس بجزور فأكل ثمنه، ولا قاتله مثله، فأقبله به، واستكبر؛ حتى هاجت الحرب بين هوازن وغطفان بسبب ذلك، وإنما دخلت هوازن مع بني غني لأنهم كانوا حلفاء، فقتل زهير في تلك الحرب، قتله خالد بن

كلاب، وقتل ثعلبة بن الأعرج وغيرهما، ولهم حديث.  
قوله: عارية تسترد م مستعيرها، وعرية يرتجعها معيرها، كم لها من آير، تعلن بدمها على المنابر، ومن لائم، وهو بما جد هائم، يغدو منها الزاهد، وهو لزنك العيش مجاهد، فقيل هو للدنيا رافض، وقد ركضه عن الدنو منها راکض، سمعت في الناس بزاهد واحد، ولا تحفى الغزاة لجاحد، رب الخورنق، في صفو عيش غير مرنق، فسره ما رأى من ملكه العقيم، وميز بصحيح من الفكر غير سقيم، فقال أو كلما آري إلى زوال؟ قيل نعم وتقلب من الأحوال، فقال: لأطلبن عيشاً لا يزول، وملكاً ربه عنه غير معزول، فأنخلع من ملكه ولبس الأمساح، وذهب في الأرض مترهباً وساح، وحق للعاقل أن يتوب، قبل أن يوافي أجله المكتوب.

العارة: أن يستعير الإنسان من شيء ثم يرده، ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (العارية مؤداة)، واشتقاقها من التعاور، وهو التداول، يقال: تعاوروا الشيء بينهم: إذا تداولوه، وعورت فلاناً الشيء: إذا داولته إياه، وأصل العارية: عورية، فأنقلبت واوها ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها.  
والعرية: النخلة يهب الرجل ثمرها لرجل آخر عامه ذلك، وهي التي رخص في بيع ثمرها في رأسها، وجمعها عرايا، قال سويد بن الصامت الأنصاري:

ليست بسنهاء ولا رجبية ... ولكن عرايا في السنين الحوائج  
الشدائد ويقال: أعار بنو فلان خيلهم: إذا سمنوها، وفرس معار: أي سمين.  
قال الشاعر:

أعبروا خيلكم ثم اركضوها ... أحق الخيل بالركض المعار  
وقال الطرماح:

وجدنا في كتاب بني تميم ... أحق الخيل بالركض المعار  
والآبر: الذي يلقيح النخل.  
والغزاة: الشمس.

ورب الخورنق والسدير: النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر بن عدي، الملك اللخمي، وهو النعمان الأكبر، وكان عظيم الملك، وكان أعور، وهو الذي بنى الخورنق، وهو الذي عناه المنخل الإشكري، واسمه أبي بن مسعود، والمنخل لقبه، بقوله:

وإذا سكرت فإنني ... رب الخورنق والسدير  
وإذا صحوت فإنني ... رب الشويهة والبعر

ويقال: إن أنو شروان بن قباذ هو الذي ملكه، فأشرف النعمان بن امرئ القيس يوماً على الورنق، فنظر إلى ما حوله، فقال: أكل ما أرى إلى فناء وزوال؟ قالوا: نعم، قال: فأبي خير فيما لا يبقى؟ لأطلبن عيشاً لا يزول.

فأنخلع من ملكه ولبس الأمساح وساح في الأرض، فلم يعلم أحد بمكانه، وهو الذي ذكره عدي بن زيد العبادي بقوله:

وتفكر رب الخورنق إذماشرف يوماً وللهدى تفكير  
سره حاله وكثرة ما يملكمو البحر معرضاً والسديو  
فارعوى قلبه وقال: فما غبطة ... حي إلى الممات يصير

وملك أنو شروان بعد أخاه المنذر بن امرئ القيس، الذي يقال له: ابن ماء السماء، وكانت أم المنذر من  
النمر بن قاسط، ويقال لها: ماء السماء، جمالها، وكان أيضاً يقال لعامر بن حارثة الأزدي: ماء السماء،  
سمي بذلك لأن الناس كانوا إذا أقحطوا، أقام ماله مقام القطر.

والمنذر بن امرئ القيس هذا جد النعمان الأصغر ابن المنذر بن امرئ القيس، سمي بالنعمان الأكبر.  
قوله: اللهم إني إليك تائب، ومن لم يتب من عبادك فهو خائب، توبة من يهضه الذنب، وأثقل منه الغارب  
والجنب، واستغفرك استغفار منيب هائد، إلى كل ما يسخطك غير عائد، قد اعترف، بما اقترف، ووجل مما  
عمل، فحجل، نادم من تلك الخطايا، وركوب تلك المطايا، التي اقتعد منها العشواء، فتابعت به الأهواء،  
حتى أوردته في المهالك، وسلكت به أضيق المسالك، فهو يتململ تلمل السليم، ويتأوه تأوه المليم، كدابة  
أديم ذي حلم، ومداوي ميت لا يحس بألم، كيف السبيل إلى الخلاص من الورطة، ودخوله باب حطه، لا  
خلاص إلا بالإخلاص، ولات حين مناص، لمن علق بشرك القناص، لو كظمت لما ظلمت، أو عفوت لما  
هنوت، فهل من متصدق على باتس فقير، مثقل من الذنوب وقير، بصدقة من حل، تفكك من الغل، أو دعوة  
مثابة، يرجي له بها الإجابة، إن الله يجزي المتصدقين ويثيب المتقين.

نحن بنو آدم وحواء، لأب وأم في الولادة سواء، فما فضل أخ على أخيه، إلا بالعمل الصالح وتوحيه، كلنا  
لله عبيد أكرمنا عنده من اتقاه، وصان وجهه عن حر النار ووقاه، لا نسأل يوم القيامة عن نسب، كل يؤخذ  
بما اجترح واكتسب، نجاة المخفون، وأمن الخائفون، أفلح من أخلص النية، قبل هجوم المنية، وبنك أسباب  
الأمل، ووصل حبال العمل، وشغله ذكر المعاد، عن ذكر هند وسعاد.  
اللهم قد علمت السرائر، وحفظت الجرائر، فأمني من الخيفة، وامح سيئاتي من الصحيفة، بقبول هذه التوبة،  
والتجاوز عن الحوبة.

اللهم إني غير قائم بشكرك، ولا آمن لمكرك، لا يجير عليك أحد، ولا لمخلوق دونك ملتحد، وقد استجرت  
من عذابك بكرمك، ومن بطشك بحلمك، وهربت منك إليك، وجعلت توكلي عليك، وقرعت باب  
فضلك بالسؤال، وطلب ما عندك من النوال، وجعلت جودك لي إليك شافعاً، ولما أخشى من الرد دافعاً،  
ولن تخيب سائلك، ولا ترد سائلك.

اللهم هذا مقام العائذ بك من عذابك، والثائب إلى ثوابك، فنفرا غفرا، ورأبا لما أفرط فيه وأفرى، لن يجدي  
الأسف، بعد ركوب المعتسف، ولا الأرق، بعد الغرق، إلا بعفو من الكريم، عن مطالبة الغريم، ومحو ما  
سلف، والصفح عما اجترم واستلف.

اللهم اهد ضليلاً جار عن اللقم، واشف عليلاً موفياً عن السقم، طال ما ضربت له الأمانى حبالها، وألبسته  
المطامع سربالها، فشام خلبا يومض في جهام، وقتاماً يحسه دفع الرهام، حتى انقضت أيام العنفوان، ومضت

بواذر الأوان، وقد شغل شغل ذات النحيين، وبلغ حزام رحله الطيبين، وهو في ذلك المضمار، يعلل النفس  
بضمار، قد أنفق رأس المال بالآمال، ومنع بالأثقال عن الانتقال، طمع في الدنيا طمع أشعب، فعني نفسه  
وأتعب، فظفر منها بخفي حنين، وبصر بكمه القلب لا العينين، يا صفر الكفين، بظفر الحفين، ويا ندم  
الكسعي، لنظيره في العي.

اللهم أقل عاثراً زلت به القدم، وطال تأسفه والندم، وارحم قنيصاً أوقع نفسه في الحباله، ومقرحاً مفعم  
الليد والباله. وافكك أسيراً يرسف في الصفاد، لا الصفد المستفاد، يا خير مدعو، وأفضل مرجو، يدعوه  
المضطر، ويرجوه القانع والمعتر، إنك بالإجابة جدير، وأنت على كل شيء قدير.

بمضه الذنب: أي أثقله. والهائد: التائب، ومنه قوله تعالى: (إنا هدنا إليك) قال إعرابي:  
إن امرؤً من مدحه هائد

والعشواء، في قول الخليل: الناقة التي لا تبصر ما أمامها فهي تخبط بيديها كل شيء، وترفع طرفها لا تنظر  
موقع يديها. فضرب بما المثل لمن لا يتبين في أمره، فقليل: كراكب العشواء، وركب العشواء، وهو يخبط  
خبط العشواء.

والسليم: المددوغ، وهو مما كني به عن العاهات، كالصير، وهو الأعمى. والمليم الذي يأتي بما يلام عليه،  
ومنه قوله تعالى: (فالتقمه الحوت وهو مليم) مثل: أقام يقيم إقامة فهو مقيم، وما شاكل ذلك من الألفاظ.  
والحلم: النغل، وهو مصدر حلم الأديم يحلم حلماً: إذا نغل، قال الوليد بن عقبة بن أبي عقبة يجرى معاوية  
على حرب علي رضي الله عنه:

قطعت الدهر كالسدم المعنى ... يهدر في دمشق فما يريم  
فإنك والكتاب إلي علي ... كدابغة وقد حلم الأديم  
والوقير: حامل الوقر، يقال فقير وقير.

والحوبة: الإثم، يقال في الدعاء: اللهم اغفر حوبتي، أي إثمي، وكذلك الحوب أيضاً.  
والنوبة: واحلة النوب، والناتبة: واحلة النوائب.

والملتحد: الملجأ، قال الله تعالى: (ولن تجد من دونه ملتحداً).

والبطش: الأخذ بقوة، ومنه قوله تعالى: (إن بطش ربك لشديد).

والغفر: مصدر غفر يغفر غفراً وغفراناً ومغفرة، ومعنى ذلك كله: ستر الذنوب، ومنه اشتقاق المغفرة.  
والمجترم: المكتسب للجرم، وكذل الجرم، ومنه قوله تعالى: (فعلي إجرامي) والجاتر: المائل. واللقم: الطريق  
الواضح. والخلب: البرق الكاذب. والجهام: السحاب الذي لا ماء فيه. والرهام: جمع رهمة، وهي المطرة.  
وعنفوان الشباب: أوله، وكذلك بادرته وشرخه وريقه.

وذات النحيين: امرأة كنت تبيع فيهما سمناً بسوق عكاظ. فأتى عليها خوات بن جبير الأنصاري في  
الجاهلية، فساومها في السمن وحل رباط أحد النحيين، فنظر إلى ما فيه ودفعه، فأمسكته بيدها لينظر إلى ما  
في الآخر، فلما فتح الآخر دفعه إليها، فأخذته بيدها الأخرى، ثم فجر بما، ويدها مشغولتان بالنحيين، مخافة  
أن يسلم السمن من النحيين، فضرب بما المثل في الشغل، فقليل: أشغل من ذات النحيين، ثم أسلم خوات بعد

ذلك وحسن إسلامه، وهو القاتل فيها:

وذات عيال واثقين بعقلها ... خلجت لها جار استها خلجات  
فأخرجته ريان ينطف رأسه ... من الرامك المدموم بالمقرات  
وشدت يديها إذ أردت خلاطها ... بنحيين من سمن ذوي عجات  
فكانت لها الويلات من ترك سمنها ... ورجعتها صفراً بغير بنات  
فشدت على النحيين كفاً شديدة ... على سمنها، والفتك من فعلاقي  
فلما أسلم وشهد بديراً، قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا خوات كيف شراؤك؟ وتبسم صلى الله  
عليه وسلم فقال: يا رسول الله قد رزق الله خيراً، وأعوذ بالله من الحور بعد الكور.

والعرب تقول، إذا اشتد الأمر: بلغ السيل الزبي، وجاوز الحزام الطيين، يعنون حزام الفرس والناقة  
وغيرهما، وهو منتهي الجهد، والطيان: الضرعان، واحدهما بطيء، وجمعه أطباء.  
ولما اشتد الحصار على عثمان بن عفان كتب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يستنجده: أما بعد، فقد  
بلغ السيل الزبي، وجاوز الحزام الطيين، وتمثل بقول الممزق العبدى، واسمه شلس بن مهازن:  
فأن كنت مأكولاً فكن خير آكل ... وإلا فأدر كني ولما أمزق  
فأمدته بالحسن والحسين في جماعة من بني هاشم، فدفعوا الناس عن باب دار عثمان، ففرضوا الدار ودخلوا  
عليه من خلفها فقتلوه، ولا علم للذين بالباب.

وخفي حين يضرب بما المثل لمن جاء خائباً، وحين إسكاف من أهل الحيرة، ساومه أعرابي في خفين،  
فاختلفا حتى أغضبه الأعرابي، فتركه حين حتى ارتحلن وتقدم له في طريقه، وألقى أحد الخفين في موضع  
وأحدهما في موضع آخر، فلما مر الأعرابي بالخلف الأول منهما، قال: ما أشبه هذا الخلف بخفي حنين، ولو  
كان معه الآخر لأخذه، ومضى حتى انتهى إلى الآخر، فلما رآه ندم على عدم أخذ الأول، فأناخ راحلته  
وأخذه، ورجع للأول فأخذه، وقد كمن له حنين، فأخذ الراحلة وما عليها، فأتى الأعرابي إلى الراحلة، فلم  
يجدها، فراح الأعرابي وليس معه غير الخفين؛ فقال له قومه: ما الذي أتيت به؟ فقال: بخفي حنين، فضربت  
العرب المثل بذلك لكل من جاء خائباً.

والكمه: العمى، والأكمه الأعمى، ومنه قوله تعالى: (وتبرئ الأكمه والأبرص)، قال سويد بن أبي كاهل  
اليشكري:

كمهت عيناه لما ابيضتا ... فهو يلحي نفسه لما نزع

والكسعي: صائد وقف على طريق الأطباء فمرت عليه وهو يرمي كل ظبي منها بسهم، فلم تتحير الأطباء  
حتى توارت عنه، فظن أنه أخطأها، فكسر قوسه، وعض على إبهامه فقطعها وقال:

ندمت ندامة لو أن نفسي ... تطاوعني إذا لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني ... لعمر أبيك حين كسرت قوسي

وهذا مما يعاب في الشعر، لأنه أتى بيت مردف وبيت لا ردف فيه وهو السناد، فضربت العرب المثل بندامة

الكسعي.

والقنيص المقنوص، مثل قتييل ومقتول وصريع ومصروع.

والحباله: حبال الصائد.

والمفرح: المثقل، يقال: أفرحه الدين إذا أثقله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يترك في

الإسلام مفرح)، وقال بيهس العنري:

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانةً ... وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

والمفعم: المملوء.

والليبد: الجوالق وهو الخرج، ومنه اشتق اسم لبيد الشاعر.

والبالة: شبيهة بالحراب والرسفان: مشي المقيد. والصفاد: الصيد، والصفد أيضاً: الغل وجمعه أصفاد، ومنه

قوله تعالى (مقرنين في الأصفاد) والصفد في هذا الموضع: العطاء قال: النابغة:

هذا الثناء فن تسمع لقائله ... فلم أعرض أبيت اللعن بالصفد

والمعتر: المتعرض للمسألة.

والقانع السائل، ومنه قوله تعالى: (وأطعموا القانع والمعتر).

والجدير: الحقيق بالشيء. يقال فلان جدير بكذا، وقمين به، وخليق به، وحقيق به، كل ذلك بمعنى.